سلسلة تراث علماء الجزائر ٠١

ديوان العلامة محمد البشير الإبراهيمي

المسمّى

المورد العذب النمير

من أشعار العلامة محمد البشير

جمع وترتيب

أبو عبد الله عقبة بن خالد الجزائري

غفر الله له

منشورات

مركز الأثر للبحث والتحقيق

المورد العذب النمير
من أشعار العلامة محمد البشير

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

مركز الأثر للبحث والتحقيق
الشراقة - الجزائر

00213665846124
markzalathar
markzalathar@gmail.com

سلسلة تراث علماء الجزائر ٠١

ديوان العلامة محمد البشير الإبراهيمي

المسمّى

المورد العذب النمير

من أشعار العلامة محمد البشير

جمع وترتيب
أبو عبد الله عقبة بن خالد الجزائري
غفر الله له

منشورات
مركز الأثر للبحث والتحقيق


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

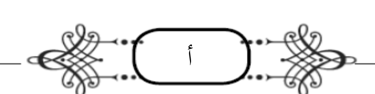
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد...

فإن العلم رحم واصلة، ولحمة جامعة بين أهله وإن تناءت بهم الديار، وتطاولت بينهم الأعصار، فمن بعض الواجب علينا أن نبُلَّ هذه الرابطة بِبِلَالِها، وأن نرعى حقها فيمن اعتزى إليها، ونحن نعيش زمنا اتخذت فيه الركاكة شعارا، والسخافة دثارا، فترى الواحد منهم يسمى أديبا، شاعرا، كاتبا، روائيا، مفكرا... وهو لا يكاد يتكلم بشيء مفيد، فضلا عن أن يأتي برأي سديد، في حين تُنكّر للأئمة الأعلام، من دعاة الهدى والرشاد، وأصحاب الفصاحة والبيان...

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الوَضِيعِ بِهِ وَتَرَى الشَّرِيفَ يَحُطُّهُ شَرَفُهْ

كَالبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ سُفْلًا وَتَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُهْ

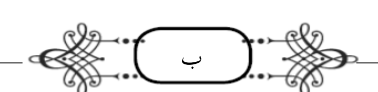
والعلامة الإبراهيمي أشهر من نار على علم في هذا الباب، وقد أجمع كل من تحدث عنه على إمامته في الدين، وطول باعه في علوم اللغة، وتضلعه في فنون القول، وثقوب نظره في قضايا الأدب صناعة ونقدا، مع ما كان عليه من صدق اللهجة، وقوة العزيمة، وجرأة في قول الحق، نذر نفسه لخدمة دينه ووطنه،





فكان بحق أحد عظماء الجزائر علما وعملا، لما قدّمه من أعمال جليلة للأمة، لخصها بقوله معتذرا عن عدم تفرغه للتأليف والكتابة: "ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب، ومع ذلك فقد ساهمت بالكتابة في موضوعات مفيدة، ولكن لم يساعدني الفراغ ولا وجود المطابع على طبعها، وقد بقيت كلها مسودات في مكتبتي بالجزائر"، ثم وفّق الله تعالى أحد أبنائه الأستاذ أحمد طالب الإبراهيمي، فقام بجمع ما تفرق من كتاباته، وطبعها في خمسة أجزاء كبيرة، إلا أنه اعتبرها "ضئيلة في حجمها بالنسبة إلى حياة الشيخ الحافلة، فإن كثيرا منها ضاع، وكثيرا مما ألقاه من دروس وخطب ومحاضرات لم يسجل لأنه كان يلقيه ارتجالا، ولم تتسن كتابة إلا أقل القليل منه، وكانت له مؤلفات وكتابات مخطوطة حول العديد من المواضيع في الدين واللغة والأدب والاجتماع ضاعت إبان حرب التحرير، إما عند بعض تلامذته، أو في بيته بالجزائر العاصمة حين اقتحمه الجيش الفرنسي سنة 1957 - وهو بالمشرق العربي- وعاث في مكتبته تخريبا ونهبا، ففقدت مخطوطاته ومعظم كتبه"، وكان من إخلاص الشيخ رحمه الله في علمه وعمله، أنه ترك تركت مسودات مؤلفاته كلها بالجزائر، ولم يأخذها معه في رحلته إلى المشرق ليطبعها هناك، لأنه كما قال: "لم أشأ أن أخلط عملا عموميا للجزائر بعمل شخصي لنفسي" فرحمه الله وجزاه خير ما يجزي به عباده المخلصين.

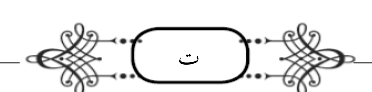







هذا، وقد جرى في خلدي وأنا أقرأ قول الإبراهيمي في شوقي: "**وإن لشوقي علي لحقا أوجبته على نفسي حين غاليت بقيمته في شعراء العربية غابرهم وحاضرهم**"، فقلت في نفسي: "**وإن للإبراهيمي عليَّ لحَقًّا أوجبته على نفسي حين غاليت بقيمته في شعراء العربية غابرهم وحاضرهم**"، فعزمت على جمع ما تفرق من شعره في سِفر واحد، فاستعنت الله تعالى في ذلك، وتتبعتها من خلال ما جمعه ابنه وطبعه في "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، وأضفت إلى ذلك بعض الأبيات من غيرها -وهي قليلة جدا-، ويجدر بنا التنبيه على أن كثيرا من أشعار الشيخ قيلت في مناسبات مرتبطة بتاريخ الجزائر وكفاحها ضد الاستعمار، ولا يمكن فهم مدلولاتها إلا بالرجوع إلى سياقاتها التاريخية، وقد أشار ابنه إلى مواضع كثير من ذلك، مع ما ذكره في الحاشية من تعليقات وشرح لبعض المفردات والمعاني، فأثبتّ ذلك كله، وجعلته مميزا بعلامة نجمة (*) قبله، وقدمت بين يدي الكتاب بترجمة ذاتية للعلامة الإبراهيمي، وسميته: "**المورد العذب النمير من أشعار العلامة محمد البشير**" أو "**ديوان العلامة محمد البشير الإبراهيمي**".

هذا ما وفقنا الله تعالى للوقوف عليه من آثار الإمام الإبراهيمي الشعرية، وأسأل الله تعالى أن يجزي خير الجزاء كل من أعان عليه برأي، أو توجيه، أو دلالة على شيء من مضمونه، وهو -بلا شك- بعض شعره، ولا يزال كثير منه في حكم المفقود، فالرجاء من كل من كان لديه شيء زائد على





ما في هذا الكتاب من أشعار الإمام –ولو بيتا واحد– سواء كان في كتاباته، أو منقولا عنه بالرواية أن يدلنا عليه إكمالا للفائدة، وأداء لبعض حق هذا الإمام، ونشرا لعلمه، والرجاء كذلك من رأى فيه نقصا أو عيبا أن يرشدني إليه لأصححه، وله من جزيل الشكر والثناء.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى والنصير

والحمد لله رب العالمين

كتبه أبو عبد الله عقبة بن خالد غفر الله له

للتواصل: djbsokba@gmail.com







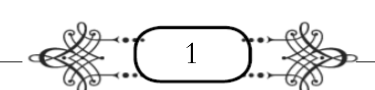




ترجمة الإمام الإبراهيمي










قال العلامة الإبراهيمي –رحمه الله تعالى–:[1]

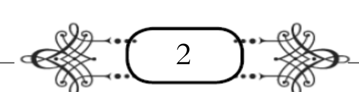
أنا محمد البشير الإبراهيمي، ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس في الرابع عشر من شهر شوال سنة ست وثلاثمائة وألف، ويوافق الثالث عشر من يونيو سنة 1889، كما رأيت ذلك مسجلا بخط جدي لأبي الشيخ عمر الإبراهيم رحمه الله في سجل أعده لتسجيل مواليد الأسرة ووفياتها.

قبيلتنا تعرف بـ"أولاد إبراهيم بن يحيى بن مساهل" ويرفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجذم الأول للأشراف الأدارسة، وإدريس هذا– ويعرف بإديس الأكبر– هو الذي خلص إلى المغرب الأقصى بعد "وقعة فخ" بين العلويين والعباسيين، وإليه ترجع أنساب الأشراف الحسنيين في المغربين: الأقصى والأوسط، ونسبنا هذا مستفيض بين سكان الأطلس أوراس وسفوحه الجنوبية إلى الصحارى، والشمالية إلى التلول، ولأجدادنا كتابات متناقلة عن هذا النسب.

وموطننا الذي تقلب فيه أجدادنا في تاريخ ضارب في القدم هو السلاسل الغربية المتفرعة من جبل أوراس، وهي قمم تفصل بينها مسالك أودية وطرق هابطة من التلول إلى الصحراء، وموقعها الغرب المائل للجنوب لمدينة قسنطينة عاصمة المقاطعة الشرقية للقطر الجزائري.

---

(1) ترجم الشيخ لنفسه في مناسبات مختلفة، ومنها: ما كتبه جوابا عن أسئلة مجلة "المصور" المصرية، ونشر في سنة 1955. ومنها ما كتبه بطلب من مجمع اللغة العربية بالقاهرة عندما انتخب عضوا عاملا فيه سنة 1961، ونشرتها مجلة "مجمع اللغة العربية"، مجلد 21، القاهرة، 1966. (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي165/5 و272/5).

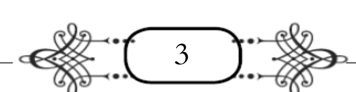







وبيتنا إحدى البيوتات التي حفظت رسم العلم وتوارثته قرونا من لدن خمول بجاية وسقوطها في القرن التاسع الهجري، وقد كانت بجاية دار هجرة للعلم وخصوصا للأقاليم المتاخمة لها مثل إقليمنا، وقد خرج من عمود نسبنا بالذات في هذه القرون الخمسة علماء في العلوم العربية، ونشروها بهمة واجتهاد في الأقاليم المجاورة لإقليمنا، ومنهم من هاجر إلى القاهرة في سبيل الاستزادة من العلم والتوسع فيه- على صعوبة الهجرة إذ ذاك- ومن آثار الاتصال بالقاهرة أنهم بعد رجوعهم سموا أبناءهم بأسماء كبار مشايخ الأزهر، وأنا أدركت في فروع بيتنا من تسمى بالأمير والصاوي والخرشي والسنهوري.

نشأت في بيت والدي كما ينشأ أبناء بيوت العلم، فبدأت في التعلم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتبع في بيتنا الشائع في بلدنا، وكان الذي يعلمنا الكتابة ويلقننا حفظ القرآن جماعة من أقاربنا من حفاظ القرآن، ويشرف علينا إشرافا عاليا عالم البيت بل الوطن كله في ذلك الزمان، عمي شقيق والدي الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي رحمه الله، وكان حامل لواء الفنون العربية غير مدافع، من نحوها وصرفها واشتقاقها ولغتها، أخذ كل ذلك عن البقية الصالحة من علماء هذه الفنون بإقليمنا، منهم العلامة المتقن الشيخ ربيع قري اليعلاوي، ومنهم العلامة الشيخ محمد أبو القاسم البوجليلي، ومنهم العلامة الشيخ محمد أبو جمعة القلي خاتمة المتبحرين في العربية والفقه، ولم يكن هؤلاء العلماء رحلوا إلى الأمصار الكبرى ذات الجامعات العلمية التاريخية كفاس وتونس والقاهرة، وإنما كانوا يتوارثون العلوم الإسلامية طبقة عن طبقة إلى الأجيال المتخرجة من مدن العلم الموجودة بوطننا

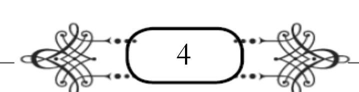







كبجاية، وقلعة بني حماد، وكلتاهما قريبة من مواطننا، وكلتاهما كانت منارا للعلم ومهجرا لطلابه، ومطلعا لشموسه، إلى الفترة التي تبدأ بالاحتلال التركي، وكان أئمة العلم لا يعتمدون في تخرجهم على الشهادات الرسمية، وإنما يعتمدون على الإجازات من مشايخهم الذين يأخذون عنهم.

فلما بلغت سبع سنين استلمني عمي من معلي القرآن وتولى تربيتي وتعليمي بنفسه، فكنت لا أفارقه لحظة حتى في ساعات النوم، فكان هو الذي يأمرني بالنوم، وهو الذي يوقظني منه، على نظام مضطرد في النوم والأكل والدراسة، وكان لا يُخْليني من تلقين حتى حين أخرج معه وأُماشيه للفسحة، فحفظت فنون العلم المهمة في ذلك السن مع استمراري في حفظ القرآن، فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه، وكنت أحفظ معه ألفية ابن مالك ومعظم الكافية له، وألفية ابن معطي الجزائري، وألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر، وأحفظ جمع الجوامع في الأصول، وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني، ورقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب، وأحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التلمساني شاعر المغرب والأندلس في المائة السابعة، وأحفظ معظم رسائل بلغاء الأندلس مثل ابن شهيد، وابن برد، وابن أبي الخصال، وأبي المطرف ابن أبي عميرة، وابن الخطيب، ثم لفتني عمي إلى دواوين فحول المشارقة ورسائل بلغائهم، فحفظت صدرا من شعر المتنبي، ثم استوعبته بعد رحلتي إلى الشرق، وصدرا من شعر الطائيين وحفظت ديوان الحماسة، وحفظت كثيرا من رسائل سهل بن هارون وبديع الزمان، وفي عنفوان هذه الفترة كنت حفظت بإرشاد عمي كتاب كفاية المتحفظ للأجدابي الطرابلسي، وكتاب



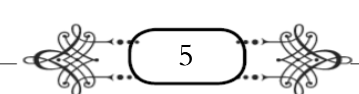


الألفاظ الكتابية للهمداني، وكتاب الفصيح لثعلب، وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب السكيت، وهذه الكتب الأربعة هي التي كان لها معظم الأثر في ملكتي اللغوية.

ولم يزل عمي رحمه الله يتدرج بي من كتاب إلى كتاب تلقينا وحفظا ومدارسة للمتون والكتب التي حفظتها حتى بلغت الحادية عشرة، فبدأ لي في درس ألفية ابن مالك دراسة بحث وتدقيق، وكان قبلها أقرأني كتب ابن هشام الصغيرة قراءة تفهم وبحث، وكان يقرئني مع جماعة الطلاب المنقطعين عنده لطلب العلم على العادة الجارية في وطننا إذ ذاك، ويقرئني وحدي، ويقرئني وأنا أماشيه في المزارع، ويقرئني على ضوء الشمع، وعلى قنديل الزيت وفي الظلمة، حتى يغلبني النوم، ولم يكن شيء من ذلك يرهقني، لأن الله تعالى وهبني حافظة خارقة للعادة، وقريحة نيرة، وذهنا صيودا للمعاني ولو كانت بعيدة، ولما بلغت أربع عشرة سنة، مرض عمي مرض الموت، فكان لا يخليني من تلقين وإفادة وهو على فراش الموت، بحيث أني ختمت الفصول الأخيرة من ألفية ابن مالك عليه وهو على تلك الحالة.

المرحلة الثانية

ولما مات عمي، شرعت في تدريس العلوم التي درستها عليه، وأجازني بتدريسها، وعمري أربع عشرة سنة لطلبته الذين كانوا زملائي في الدراسة عليه، وانثال عليَّ طلبة العلم من البلدان القريبة منا، والتزم والدي بإطعامهم والقيام عليهم كالعادة في حياة عمي، وربما انتقلت في بعض السنين إلى المدارس القبلية القريبة منا لسعتها واستيعابها للعدد الكثير من الطلبة وتيسر المرافق بها للسكنى، ودمت على تلك الحال إلى أن جاوزت العشرين من عمري، فتاقت نفسي إلى الهجرة إلى الشرق، واخترت المدينة

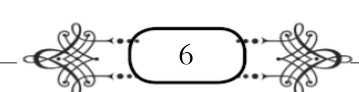




المنورة لأن والدي سبقني إليها سنة 1908 فرارا من ظلم فرنسا، فالتحقت به متخفيا أواخر سنة 1911 كما خرج هو متخفيا، ومررت في وجهتي هذه بالقاهرة، فأقمت بها ثلاثة أشهر، وحضرت بعض دروس العلم في الأزهر وعرفت أشهر علمائه، فممن عرفته وحضرت دروسه، الشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، حضرت درسه في البخاري في رواق العباسي، والشيخ يوسف الدجوي حضرت درسه في البلاغة، والشيخ عبد الغني محمود، والشيخ السمالوطي، حضرت لكليهما درسا في المسجد الحسيني، والشيخ سعيد الموجي ذكر لي أن له سندا عاليا في رواية الموطأ، فطلبت أن أرويها عنه بذلك السند وحضرت مجالسه بجامع الفاكهاني مع جمهور من الطلبة، وتوليت قراءة بعض الموطأ عليه من حفظي، وحضرت عدة دروس في دار الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ رشيد رضا في منيل الروضة، وزرت شاعر العربية الأكبر أحمد شوقي وأسمعته عدة قصائد من شعره من حفظي فتهلل رحمه الله واهتز، كما اجتمعت بشاعر النيل حافظ إبراهيم في بعض أندية القاهرة وأسمعته من حفظي شيئا من شعره كذلك.

المرحلة الثالثة

خرجت من القاهرة قاصدا المدينة المنورة، فركبت البحر من بور سعيد إلى حيفا، ومنها ركبت القطار إلى المدينة، وكان وصولي إليها في أواخر سنة 1911، واجتمعت بوالدي رحمه الله وطفت بحلق العلم في الحرم النبوي مختبرا، فلم يرق لي شيء منها، وإنما غثاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتحقيق شيء، ولم أجد علما صحيحا إلا عند رجلين هما شيخاي: الشيخ العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفيض

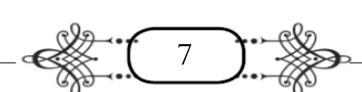







أبادي الهندي، فهما -والحق يقال- عالمان محققان واسعا أفق الإدراك في علوم الحديث وفقه السنة، ولم أكن راغبا إلا في الاستزادة من علم الحديث رواية ودراية، ومن علم التفسير، فلازمتهما ملازمة الظل، وأخذت عن الأول الموطأ دراية، ثم أدهشني تحقيقه في بقية العلوم الإسلامية، فلازمت درسه في فقه مالك، ودرسه في التوضيح لابن هشام، ولازمت الثاني في درسه لصحيح مسلم، وأشهد أني لم أر لهذين الشيخين نظيرا من علماء الإسلام إلى الآن، وقد علا سني، واستحكمت التجربة، وتكاملت الملكة في بعض العلوم، ولقيت من المشايخ ما شاء الله أن ألقى، ولكنني لم أر مثل الشيخين في فصاحة التعبير ودقة الملاحظة والغوص عن المعاني واستنارة الفكر، والتوضيح للغوامض، والتقريب للمعاني القصية.

ولقد كنت لكثرة مطالعاتي لكتب التراجم والطبقات قد كونت صورة للعالم المبرز في العلوم الإسلامية، منتزعة مما يصف به كتاب التراجم بعض مترجميهم، وكنت أعتقد أن تلك الصورة الذهنية لم تتحقق في الوجود الخارجي منذ أزمان، ولكنني وجدتها محققة في هذين العالمين الجليلين، وقد مات الشيخ الوزير بالمدينة في أعقاب الحرب العالمية الأولى، أما الشيخ حسين أحمد فقد سلمه الشريف حسين بن علي إلى الإنجليز في أواخر ثورته المشؤومة، فنفوه إلى مالطة، ثم أرجعوه إلى وطنه الأصلي "الهند" وعاش بها سنين وانتهت إليه رئاسة العلماء بمدينة العلم "ديويند"، ولما زرت باكستان للمرة الأولى سنة 1952 ميلادية كاتبته فاستدعاني بإلحاح إلى زيارة الهند ولم يقدر لي ذلك، وفي هذه العهود الأخيرة بلغتني وفاته بالهند.





وأخذت أيام مجاورتي بالمدينة علم التفسير عن الشيخ الجليل إبراهيم الاسكوبي، وكان ممن يشار إليهم في هذا العلم مع تورع وتصاون هو فيهما نسيج وحده.

وأخذت الجرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ أحمد البرزنجي الشهرزوري في داره أيام انقطاعه عن التدريس في الحرم النبوي، وكان من أعلام المحدثين، ومن بقاياهم الصالحة.

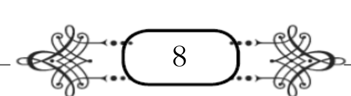
وأخذت أنساب العرب وأدبهم الجاهلي، والسيرة النبوية عن الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي، وهو أعجوبة الزمان في حفظ اللغة العربية وأنساب العرب، وحوادث السيرة.

وأتممت معلوماتي في علم المنطق عن الشيخ عبد الباقي الأفغاني بمنزله، وكان رجلا مسنا منقطعا عن أسباب الدنيا، قرأت عليه الحكمة المشرقية، وكان قيما عليها، بصيرا بدقائقها.

وذاكرت صاحبنا الشيخ أحمد خيرات الشنقيطي سنين عديدة في اللغة والشعر الجاهلي، ومنه المعلقات العشر، وصاحبنا محمد العمري الجزائري، أمهات الأدب المشهورة خصوصا الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، فقد ختمناهما مطالعة مشتركة فاحصة متأنية، وكذلك فعلنا بكتاب الأغاني من أوله إلى آخره.

وبالجملة فقد كانت إقامتي بالمدينة المنورة أيام خير وبركة عليَّ، فكنت أنفق أوقاتي الزائدة في إلقاء دروس في العلوم التي لا أحتاج فيها إلى مزيد كالنحو والصرف والعقائد والأدب، وكنت أتردد على المكتبات الجامعة، فلا يراني الرائي إلا في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، حتى استوعبت معظم كتبها النادرة قراءة، وفي مكتبة







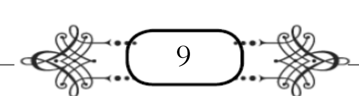


السلطان محمود، وفي مكتبة شيخنا الوزير، وفي مكتبة بشير آغا، أو في مكتبات الأفراد الغاصة بالمخطوطات، مثل مكتبة آل الصافي، ومكتبة رباط سيدنا عثمان، وفي مكتبة آل المدني وآل هاشم، ومكتبة الشيخ عبد الجليل برادة، ومكتبة الوزير التونسي العربي زروق، كما كنت أستعير كثيرا من المخطوطات الغريبة من أصدقائي وتلامذتي الشناقطة، أذكر منها ديوان غيلان ذي الرمة، فأقرأها وأحفظ عيونها، وقد حفظت في تلك الفترة معظم ديوان ذي الرمة.

كل هذا وأنا لم أنقطع عن إلقاء الدروس، وجاءت الحرب العالمية الأولى فلم أنقطع عن هذا النظام المحكم في حياتي العلمية، ولما جاءت سنة 1917 أمرت الحكومة العثمانية بترحيل سكان المدينة كلهم إلى دمشق بسبب استفحال ثورة الشريف حسين بن علي، وعجز الحكومة عن تموين الجيش الذي بلغ عدده خمسين ألفا، وتموين المدنيين الذين يبلغ تعدادهم ثمانين ألفا، فاقتضى تدبير قوادها العسكريين إذ ذاك أن ينقل سكان المدينة إلى مصدر الأقوات في دمشق، بدل أن تنقل الأقوات منها إليهم، فكنت من أوائل المطيعين لذلك الأمر، وخرجت مع والدي إلى دمشق في شتاء سنة 1917، وكان من أول ما يعنيني لقاء رجال العلم وكانوا أول من بدأ بالفضل فزاروني في منزلي وتعارفنا لأول لقاء، وهدتني المجالس الأولى إلى تمييز مراتبهم فاصطفيت منهم جماعة من أولهم الصديق الحميم الشيخ محمد بهجت البيطار.

المرحلة الرابعة

ما لبثت شهرا حتى انهالت علي الرغبات في التعليم بالمدارس الأهلية، فاستجبت لبعضها، ثم حملني إخواني على إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد بالجامع الأموي



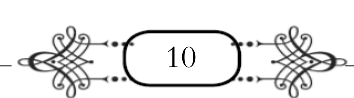


بمناسبة حلول شهر رمضان فامتثلت وألقيت دروسا تحت "قبة النصر" الشهيرة على طريقة الأمالي؛ فكنت أجعل عماد الدرس حديثا أمليه من حفظي بالإسناد إلى أصوله القديمة، ثم أملي تفسيره بما يوافق روح العصر وأحداثه، فسمع الناس شيئا لم يألفوه ولم يسمعوه إلا في دروس الشيخ بدر الدين الحسني، ثم بعد خروج الأتراك من دمشق وقيام حكومة الاستقلال العربي دعتني الحكومة الجديدة إلى تدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية، وهي المدرسة الثانوية الوحيدة إذ ذاك مشاركا للأستاذ اللغوي الشيخ عبد القادر المبارك، فاضطلعت بما حملت من ذلك، وتلقى عني التلامذة دروسا في الأدب العربي الصميم، وكانت الصفوف التي أدرس لها الأدب العربي هي الصفوف النهائية المرشحة للبكالوريا، وقد تخرج عني جماعة من الطلبة هم اليوم عماد الأدب العربي في سوريا منهم: الدكتور جميل صليبا، والدكتور أديب الروماني، والدكتور المحايري، والدكتور عدنان الأتاسي.

ولما دخل الأمير فيصل بن الحسين دمشق اتصل بي وأرادني على أن أبادر بالرجوع إلى المدينة لأتولى إدارة المعارف بها، ولم يكن ذلك في نيتي وقصدي، لما طرأ على المدينة من تغير في الأوضاع المادية والنفسية فأبيت عليه، وما فتئ يلح علي وآبى إلى أن سنحت الفرصة فكررت راجعا إلى الجزائر موطن آبائي وعشيرتي.

المرحلة الخامسة

أعمالي في الجزائر، بعد رجوعي من الحجاز والشام وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعمالي فيها، كان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر، ومن مخبآت الغيوب لها أن يرد علي بعد استقراري في المدينة المنورة سنة وبضعة أشهر أخي ورفيقي في

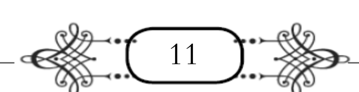







الجهاد بعد ذلك، الشيخ عبد الحميد بن باديس، أعلم علماء الشمال الافريقي، ولا أغالي، وباني النهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية للجزائر، وبيت ابن باديس في قسنطينة بيت عريق في السؤدد والعلم، ينتهي نسبه في سلسلة كعمود الصبح إلى المعز بن باديس، مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان، ومدت ظلها على قسنطينة ومقاطعتها حينا من الدهر، ومع تقارب بلدينا بحيث لا تزيد المسافة بيننا على مائة وخمسين كيلومترا، ومع أننا لدتان في السن يكبرني الشيخ بنحو سنة وبضعة أشهر، رغم ذلك كله، فإننا لم نجتمع قبل الهجرة إلى المدينة، ولم نتعارف إلا بالسماع، لأنني كنت عاكفا في بيت والدي على التعلم، ثم على التعليم، وهو كان يأخذ العلم عن علماء قسنطينة متبعا لتقاليد البيت، لا يكاد يخرج من قسنطينة، ثم بعد بلوغ الرشد ارتحل إلى تونس، فأتم في جامع الزيتونة تحصيل علومها.

كنا نؤدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي، ونخرج إلى منزلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح ثم نفترق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية ثلاثة الأشهر التي أقامها بالمدينة المنورة، كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتينا، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة، وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة 1913 ميلادية هي التي

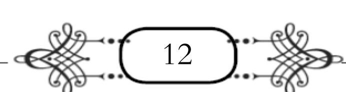




وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931.

ورجع الشيخ إلى الجزائر من سنته تلك بعد أن أقنعته بأني لاحق به بعد أن أقنع والدي أن رجوعي إلى الجزائر يترتب عليه إحياء للدين والعربية، وقمع للابتداع والضلال، وإنكاء للاستعمار الفرنسي، وكان هذا هو المنفذ الوحيد الذي أدخل منه على نفس والدي ليسمح لي بالرجوع إلى الجزائر.

وشرع الشيخ بعد رجوعه من أول يوم في تنفيذ الخطوة الأولى من البرنامج الذي اتفقنا عليه، ففتح صفوفا لتعليم العلم، واحتكر مسجدا جامعا من مساجد قسنطينة لإلقاء دروس التفسير، وكان إماما فيه، دقيق الفهم لأسرار كتاب الله، فما كاد يشرع في ذلك ويتسامع الناس به حتى انهال عليه طلاب العلم من الجبال والسهول إلى أن ضاقت بهم المدينة، وأعانه على تنظيمهم وإيوائهم وإطعام المحاويج منهم جماعة من أهل الخير ومحبي العلم، فقويت بهم عزيمته وسار لا يلوي على صائح، واشتعلت الحرب العالمية الأولى وهو في مبدإ الطريق، فاعتصم بالله فكفاه شر الاستعمار، وكان له من وجود والده درع وقاية من بطش فرنسا التي لا تصبر على أقل من هذه الحركات، وكان لوالده مقام محترم عند حكومة الجزائر، فسكتت عن الابن احتراما لشخصية الوالد، وظهرت النتائج المرجوة لحركته في السنة الأولى، وكانت في السنة الثانية وما بعدها أكبر وعدد الطلبة أوفر، إلى أن انتهت الحرب، ورجعت أنا إلى الجزائر فلقيني بتونس، وابتهج لمقدمي أكثر من كل أحد لتحقيق أمله المعلق علي، وزرته بقسنطينة قبل أن أنقلب إلى أهلي، ورأيت بعيني النتائج التي حصل عليها أبناء

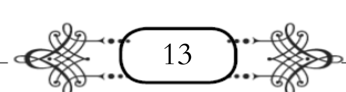







الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم ابن باديس، واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة العلمية المباركة لها ما بعدها، وأن هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر، وأن هذه المجموعة من التلاميذ التي تناهز الألف هي الكتيبة الأولى من جند الجزائر، ولمست بيدي آثار الإخلاص في أعمال الرجال، ورأيت شبانا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة وتركيب عربي حر، ومعان بليغة، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمة، وأوصاف رائعة في المجتمع الجزائري، وتشريح لأدوائه، ورأيت جماعة أخرى من أولئك التلامذة وقد أصبحوا يحبرون المقالات البديعة في الصحف، فلا يقصرون عن أمثالهم من إخوانهم في الشرق العربي، وآخرون يعتلون المنابر فيحاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية، فيرتجلون القول المؤثر، والوصف الجامع، ويصفون الدواء الشافي بالقول البليغ.

وحللت بلدي وبدأت من أول يوم في العمل الذي يؤازر عمل أخي ابن باديس؛ بدأت أولا بعقد الندوات العلمية للطلبة، والدروس الدينية للجماعات القليلة، فلما تهيأت الفرصة انتقلت إلى إلقاء الدروس المنظمة للتلامذة الملازمين، ثم تدرجت لإلقاء المحاضرات التاريخية والعلمية على الجماهير الحاشدة في المدن العامرة والقرى الآهلة، وإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد الديني كل جمعة في بلد، ثم لما تم استعداد الجمهور الذي هزته صيحاتي إلى العلم، أسست مدرسة صغيرة لتنشئة طائفة من الشبان نشأة خاصة وتمرينهم على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالغذاء الضروري من العلم، وكانت أعمالي هذه في التعليم الذي وقفت عنايتي عليه فاترة أحيانا لخوفي

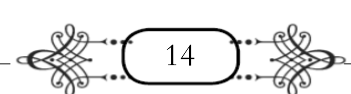




من مكائد الحكومة الاستعمارية، إذ ليس لي سند آوي إليه كما لأخي ابن باديس، وكانت حركاتي منذ حللت بأرض الوطن مثار ريب عند الحكومة ومنبع شكوك، حتى صلاتي وخطبي الجمعية، فكنت أتغطى لها بألوان من المخادعة حتى أني تظاهرت لها عدة سنين بتعاطي التجارة وغشيان الأسواق لإطعام من أعولهم من أفراد أسرتي، ولكنها لم تنخدع ولم تطمئن إلى حركتي، فكان بوليسها يلاحقني بالتقارير ويضيق الخناق على كل من يزورني من تونس أو الحجاز، كل هذا وأنا لم أنقطع عن الدروس لطلاب العلم بالليل.

في هذه الفترة ما بين سنتي 1920 و 1930 كانت الصلة بيني وبين ابن باديس قوية وكنا نتلاقى في كل أسبوعين أو كل شهر على الأكثر، يزورني في بلدي سطيف، أو أزوره في "قسنطينة، فنزن أعمالنا بالقسط ونزن آثارها في الشعب بالعدل، ونبني على ذلك أمرنا، ونضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختل أبدا، وكنا نقرأ للحوادث والمفاجآت حسابها، فكانت هذه السنوات العشر كلها إرهاصات لتأسيس جمعية العلماء الجزائريين.

كملت لنا على هذه الحالة عشر سنوات كانت كلها إعدادا وتهيئة للحدث الأعظم وهو إخراج جمعية العلماء من حيز القول إلى حيز الفعل، وأصبح لنا جيش من التلامذة يحمل فكرتنا وعقيدتنا مسلح بالخطباء والكتاب والشعراء، يلتف به مئات الآلاف من أنصار الفكرة وحملة العقيدة يجمعهم كلهم إيمان واحد، وفكرة واحدة، وحماس متأجج، وغضب حاد على الاستعمار، كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة في تربية النشء هي: **ألا نتوسع له في العلم، وإنما**

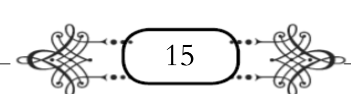




نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا.

كانت سنة 1930 هي السنة التي تم بتمامها قرن كامل على احتلال فرنسا للجزائر، فاحتفلت بتلك المناسبة احتفالا قدرت له ستة أشهر ببرنامج حافل مملوء بالمهرجانات ودعت إليه الدنيا كلها، فاستطعنا بدعايتنا السرية أن نفسد عليها كثيرا من برامجها، فلم تدم الاحتفالات إلا شهرين، واستطعنا بدعايتنا العلنية أن نجمع الشعب الجزائري حولنا ونلفت أنظاره إلينا، تكامل العدد وتلاحق المدد العدد الذي نستطيع أن نعلن به تأسيس الجمعية، والمدد من إخوان لنا كانوا بالشرق العربي مهاجرين أو طلاب علم، فأعلنا تأسيس الجمعية في شهر مايو سنة 1931 بعد أن أحضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا من وضعي أدرته على قواعد من العلم والدين لا تثير شكا ولا تخيف، وكانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم المسلم، وتعتقد أننا لا نضطلع بالأعمال العظيمة فخيبنا ظنها والحمد لله.

دعونا فقهاء الوطن كلهم، وكانت الدعوة التي وجهناها إليهم صادرة باسم الأمة كلها، ليس فيها اسمي ولا اسم ابن باديس، لأن أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق لنا من الحملات الصادقة على جمودهم، ووصفنا إياهم بأنهم بلاء على الأمة وعلى الدين لسكوتهم على المنكرات الدينية، وبأنهم مطايا للاستعمار، يذل الأمة ويستعبدها باسمهم، فاستجابوا جميعا للدعوة، واجتمعوا في يومها المقرر، ودام اجتماعنا في نادي الترقي بالجزائر أربعة أيام كانت من الأيام المشهودة في تاريخ الجزائر، ولما تراءت الوجوه وتعالت أصوات الحق أيقن أولئك الفقهاء أنهم ما زالوا في

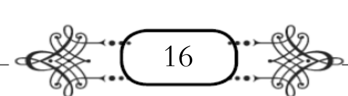




دور التلمذة، وخضعوا خضوع المسلم للحق، فأسلموا القيادة لنا، فانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء جمعتهم وحدة المشرب، ووحدة الفكرة ووحدة المنازع الاجتماعية والسياسية، ووحدة المناهضة للاستعمار، وقد وكل المجتمعون ترشيحهم إلينا فانتخبوهم بالإجماع، وانتخبوا ابن باديس رئيسا، وكاتب هذه الأسطر وكيلا نائبا عنه، وأصبحت الجمعية حقيقة واقعة قانونية، وجاء دور العمل.

هذه المرحلة من حياتي هي مناط فخري وتاج أعمالي العلمية والاجتماعية، والأفق المشرق من حياتي، وهذه هي المرحلة التي عملت فيها لديني ولغتي ووطني أعمالا أرجو أن تكون بمقربة من رضى الله، وهذه هي المواقف التي أشعر فيها كلما وقفت أرد ضلالات المبتدعة في الدين، أو أكاذيب الاستعمار، أشعر كأن كلامي امتزج بزجل الملائكة بتسبيح الله.

كلفني إخواني أعضاء المجلس الإداري في أول جلسة أن أضع للجمعية لائحة داخلية نشرح أعمالها كما هي في أذهاننا لا كما تتصورها الحكومة وأعوانها المضللون منا، فانتبذت ناحية ووصلت طرفي ليلة في سبكها وترتيبها، فجاءت في مائة وسبع وأربعين مادة، وتلوتها على المجلس لمناقشتها في ثماني جلسات من أربعة أيام، وكان يحضر الجلسات طائفة كبيرة من المحامين والصحافيين العرب المثقفين بالفرنسية، فأعلنوا في نهاية عرض اللائحة إيمانهم بأن العربية أوسع اللغات، وأنها أصلح لغة لصوغ القوانين ومرافعات المحامين، وكأنما دخلوا في الإسلام من ذلك اليوم، وخطب الرئيس عند تمام مناقشة اللائحة وإقرارها بالإجماع خطبة مؤثرة أطراني فيها بما أبكاني من الخجل، وكان مما قال: عجبت لشعب أنجب مثل فلان أن يضل في دين أو يخزى في دنيا، أو





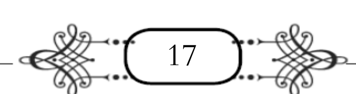
يذل لاستعمار، ثم خاطبني بقوله: وَرِي بك زناد هذه الجمعية، كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة، أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه، ويفسدان عليه دينه ودنياه:

1- استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار.

2- واستعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه، المتاجرون باسم الدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية، وقد طال أمد هذا الاستعمار الأخير وثقلت وطأته على الشعب حتى أصبح يتألم ولا يبوح بالشكوى أو الانتقاد، خوفا من الله بزعمه.

والاستعماران متعاضدان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، ومظهرهما معا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى في الانفلات، وتفقيرها لئلا تستعين بالمال على الثورة، **فكان من سداد الرأي وإحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون، وكذلك فعلنا**، ووجد المجلس الإداري نظاما محكما فاتبعه، لذلك كانت أعمال الجمعية متشعبة وكان الطريق أمام المجلس الإداري شاقا ولكنه يرجع إلى الأصول الآتية:

1- تنظيم حملة جارفة على البدع والخرافات والضلال في الدين، بواسطة الخطب والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والأندية والأماكن العامة





والخاصة، حتى في الأسواق، والمقالات في جرائدنا الخاصة التي أنشأناها لخدمة الفكرة الإصلاحية.

2- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار في ما تصل إليه أيدينا من الأماكن، وفي بيوت الآباء، ربحا للوقت قبل بناء المدارس.

3- تجنيد المئات من تلامذتنا المتخرجين، ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب.

4- العمل على تعميم التعليم العربي للشبان على النمط الذي بدأ به ابن باديس.

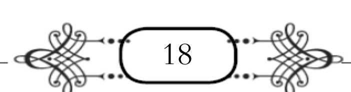
5- مطالبة الحكومة برفع يدها عن مساجدنا ومعاهدنا التي استولت عليها، لنستخدمها في تعليم الأمة دينها، وتعليم أبنائها لغتهم.

6- مطالبة الحكومة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجزتها ووزعتها على معمريها، لتصرف في مصارفها التي وقفت عليها، وكانت من الكثرة بحيث تساوي ميزانية دولة متوسطة.

7- مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الإسلامي في الأحوال الشخصية مبدئيا.

8- مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين الدينيين.

هذه معظم الأمهات التي تدخل في صميم أعمال الجمعية، منها ما بدأناه بالفعل ولاقينا فيه الأذى، فصبرنا حتى كانت العاقبة لنا، ومنها ما طالبنا به حتى أقمنا حق الأمة فيه، وفضحنا الاستعمار شر فضيحة، ومجموع هذه المطالب في ظاهرها دينية، ولكنها في معناها وفي نظر الاستعمار هي نصف الاستقلال.

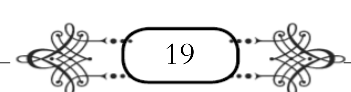




كانت السنة الأولى من عمر الجمعية سنة غليان؛ من جهتنا في تكوين الشعب في كل مدينة وكل قرية لتنفيذ مقاصد الجمعية، وغليان السخط علينا من الاستعمار لأننا فاجأناه بما تركه مشدوها حائرا لا يدري ما يفعل ولا من أين يبدأ في مقاومة حركتنا، وتفرق أعضاء الجمعية على القطر كله يرشدون ويعظون ويزرعون الوعي، ويراقبون حركة التعليم ويحضرون أماكنه.

وعقدنا الاجتماع العام في السنة الثانية، فكانت النتيجة باهرة، والعزائم أقوى والأمة إلينا أميل، وخرج المترددون عن ترددهم فانضموا إلينا، وأعيد انتخاب المجلس فأسفر عن بقاء القديم وزيادة أعضاء ظهرت مواهبهم في العلم، وكشر الاستعمار عن أنيابه، فبدأ يمنعنا من إلقاء الدروس في المساجد الواقعة في قبضته، وثارت نخوة الأمة فأنشأت بمالها بضعة وتسعين مسجدا حرا في سنة واحدة في أمهات القرى.

في هذه السنة قررت الجمعية تعيين العلماء الكبار في عواصم المقاطعات الثلاث ليكون كل واحد منهم مشرفا على الحركة الاصلاحية والعلمية في المقاطعة كلها، فأبقينا الشيخ ابن باديس في مدينة قسنطينة وحملناه مؤونة الإشراف على الحركة في جميع المقاطعة، وخصصنا الشيخ الطيب العقبي بالجزائر ومقاطعتها، وخصصوني بمقاطعة وهران وعاصمتها العلمية القديمة تلمسان، وكانت هي إحدى العواصم العلمية التاريخية التي أخنى عليها الدهر فانتقلت إليها بأهلي، وأحييت بها رسوم العلم، ونظمت دروسا للتلامذة الوافدين على حسب درجاتهم، وما لبثت إلا قليلا حتى أنشأت فيها مدرسة دار الحديث، وتبارى كرام التلمسانيين في البذل لها حتى برزت للوجود تحفة فنية من الطراز الأندلسي، وتحتوي على مسجد وقاعة محاضرات،

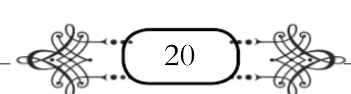




وأقسام لطلبة العلم، واخترت لها نخبة من المعلمين الأكفاء للصغار، وتوليت بنفسي تعليم الطلبة الكبار من الوافدين وأهل البلد، فكنت ألقي عشرة دروس في اليوم، أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، وأختمها بدرس في التفسير بين المغرب والعشاء وبعد صلاة العتمة أنصرف إلى أحد النوادي فألقي محاضرة في التاريخ الإسلامي، فألقيت في الحقبة الموالية لظهور الإسلام من العصر الجاهلي إلى مبدإ الخلافة العباسية بضع مئات من المحاضرات.

وفي فترة العطلة الصيفية أختم الدروس كلها وأخرج من يومي للجولان في الإقليم الوهراني مدينة مدينة وقرية قرية، فألقي في كل مدينة درسا أو درسين في الوعظ والإرشاد، وأتفقد شعبها ومدارسها، وكانت أيام جولتي كلها أيام أعراس عند الشعب، يتلقونني على عدة أميال من المدينة أو القرية، وينتقل بعضهم معي إلى عدة مدن وقرى، فكان ذلك في نظر الاستعمار تحديا له ولسلطته، وفي نظر الشعب تمجيدا للعلم والدين وإغاظة للاستعمار، فإذا انقضت العطلة اجتمعنا في الجزائر العاصمة وعقدنا الاجتماع العام وفي أثره الاجتماع الإداري وقدَّم كل منا حسابه، ونظمنا شؤون السنة الجديدة، ثم انصرفنا إلى مراكزنا.

بلغت إدارة الجمعية وهي في مستهل حياتها من النظام والقوة مبلغا قويا بديعا فأصبحنا لا نتعب إلا في التنقل والحديث، أما الحكومة الاستعمارية فإننا بنينا أمرنا من أول خطوة على الاستخفاف بها وبقوانينها، وقد كنا نعلن في جرائدنا كل أسبوع بأن القوانين الظالمة لا تستحق الاحترام من الرجال الأحرار، ونحن أحرار فلتفعل فرنسا ما شاءت، وكان هذا الكلام ومثله أنكى عليها من وقع السهام لأنها لم تألف

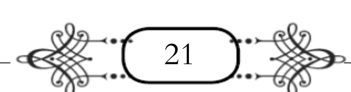




سماعه، وقد اطمأنت إلى أن الشعب الجزائري قد مات كما صرح بذلك أحد ساستها الكبار في خطبة ألقاها على ممثلي الأمم في المهرجان الذي أقامته في عيدها المئوي لاحتلال الجزائر، وكان مما قال: "لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن، فقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار".

وكانت أعمال الإخوان في المقاطعتين الأخريين مشابهة لأعمالي بمقاطعة وهران لأننا نجري على منهاج واحد، ونسير على برنامج واحد عاهدنا الله على تنفيذه.

ولما ضاقت فرنسا ذرعا بأعمالي ونفد صبرها على التحديات الصارخة لها، وأيقنت أن عاقبة سكوتها عنا هو زوال نفوذها وخاتمة استعمارها، اغتنمت فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية، وأصدر رئيس وزرائها إذ ذاك "دالاديي Daladier" قرارا يقضي بإبعادي إلى الصحراء الوهرانية إبعادا عسكريا لا هوادة فيه، لأن في بقائي طليقا حرا خطرا على الدولة، كما هي عبارته في حيثيات القرار، ووكل تنفيذ قراره للسلطة العسكرية فنقلوني للمنفى في عاشر أفريل سنة 1940، وبعد استقراري في المنفى بأسبوع تلقيت الخبر بموت الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله بداره في قسنطينة بسرطان في الأمعاء، كان يحس به من سنوات ويمنعه انهماكه في التعليم وخدمة الشعب من التفكير فيه وعلاجه، وقد شيع جنازته عشرات الألوف من الأمة رغما عن قسوة الأحكام العسكرية وقت الحرب، واجتمع المجلس الإداري للجمعية ورؤساء الشعب يوم موته وانتخبوني رئيسا لجمعية العلماء بالاجماع، وأبلغوني الخبر وأنا في المنفى فأصبحت أدير الجمعية وأصرف أعمالها من المنفى بالرسائل المتبادلة بيني

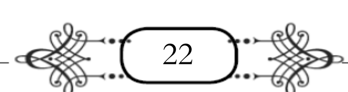




وبين اخواني بواسطة رسل ثقات، وكنت حين بدأت نذر الحرب تظهر وغيومها تتلبد أجتمع بالشيخ ابن باديس في داري بتلمسان فقررنا ماذا نصنع إذا قامت الحرب، وقررنا من يخلفنا إذا قبض علينا، وقلبنا وجوه الرأي في الاحتمالات كلها، وقدرنا لكل حالة حكمها، وكتبنا بكل ما اتفقنا عليه نسختين، ولكن كانت الأقدار من وراء تدبيرنا فقبضه الله إليه.

بقيت في المنفى ثلاث سنين تقريبا، ولما أطلق سراحي من المنفى أول سنة ثلاث وأربعين كانت فاتحة أعمالي تنشيط حركة إنشاء المدارس، فأنشأت في سنة واحدة ثلاثا وسبعين مدرسة في مدن وقرى القطر كله، كلها بأموال الأمة وأيديها، واخترت لتصميمها مهندسا عربيا مسلما فجاءت كلها على طراز واحد لتشهد للأجيال القادمة أنها نتاج فكرة واحدة.

وتهافتت الأمة على بذل الأموال لتشييد المدارس حتى أربت على الأربعمائة مدرسة، ولم أتخل بعد رئاستي للجمعية وخروجي من المنفى عن دروسي العلمية للطلبة وللعامة، ولما رأت فرنسا أن عقابها لي بالتغريب ثلاث سنوات لم يكف لكسر شوكتي، وأنني عدت من المنفى أمضى لسانا وقلبا وعزيمة مما كنت، وأن الحركة التي أقودها لم تزدد إلا اتساعا ورسوخا، انتهزت فرصة نهاية الحرب ودبرت للجزائر ثورة مفتعلة فقتلت من الشعب الجزائري المسلم ستين ألفا، وساقت إلى المعتقلات سبعين ألفا معظمهم من أتباع جمعية العلماء، وألقت بي في السجن العسكري المضيق تمهيدا لمحاكمتي بتهمة التدبير لتلك الثورة، فلبثت في السجن سنة إلا قليل، ثم أخرجوني بدعوى صدور عفو عام على مدبري الثورة ومجرميها وكان من "زملائي" في السجن الدكتور شريف

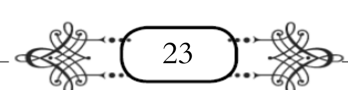







سعدان رحمه الله، والصيدلي فرحات عباس والمحامي شريف حاج سعيد وغيرهم، ولما خرجت من السجن عدت إلى أعمالي أقوى عزيمة مما كنت، وأصلب عودا وأقوى عنادا، وعادت المدارس التي عطلتها الحكومة زمن الحرب، وأحييت جميع الاجتماعات التي كانت معطلة بسبب الحرب، ومنها الاجتماع السنوي العام، وأحييت جريدة "البصائر" التي عطلناها من أول الحرب باختيارنا باتفاق بيني وبين ابن باديس لحكمة، وهي أننا لا نستطيع تحت القوانين الحربية أن نكتب ما نريد، ولا يرضى لنا ديننا وهمتنا وشرف العلم وسمعة الجمعية في العالم أن نكتب حرفا مما يراد منا، فحكمنا عليها بالتعطيل وقلنا: بيدي لا بيد عمرو، وحسنا فعلنا، كذلك عطلنا مجلة "الشهاب" الناشرة لأفكار الجمعية، ولما قررنا إحياء جريدة "البصائر" ألزمني إخواني أن أتولى إدارتها ورئاسة تحريرها فقبلت مكرها، وتضاعفت المسؤوليات، وثقلت الأعباء، فرئاسة الجمعية وما تستلزم من رحلات وما يتبع الرحلات من دروس ومحاضرات، كل ذلك كان يستنزف جهدي، فكيف إذا زادت عليها أعباء الجريدة وتحريرها؟ ولكن عون الله إذا صاحب امرأ خفت عليه الأثقال.

كنت أقوم للجمعية بكل واجباتها، وأقوم للجريدة بكل شيء حتى تصحيح النماذج، وأكتب الافتتاحيات بقلمي، وقد تمر الليالي ذوات العدد من غير أن أطعم النوم، وقد أقطع الألف ميل بالسيارة في الليلة الواحدة، وما من مدرسة تفتح إلا وأحضر افتتاحها وأخطب فيه، وما من عداوة تقع بين قبيلتين أو فردين إلا وأحضر بنفسي وأبرم الصلح بينهما، وأرغم الاستعمار الذي من همه بث الفتن، وإغراء العداوة والبغضاء بين الناس، فكنت معطلا لتدبيراته في جميع الميادين.

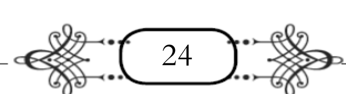







ضرورة الانتقال إلى التعليم الثانوي

بلغ عدد المدارس الابتدائية العربية أربعمائة وزيادة، وبلغ عدد تلامذتها إلى اليوم الذي سافرت فيه إلى الشرق مئات الآلاف بين بنين وبنات، وبلغ عدد معلميها ألفا وبضع مئات، وبلغت ميزانيتها الخاصة -وهي فرع من الميزانية العامة لجمعية العلماء- مائة مليون فرنك وزيادة إلى نهاية خروجي من الجزائر سنة 1952، ولما بلغ عدد المتخرجين من مدارسنا بالشهادة الابتدائية عشرات الآلاف، وجدت نفسي أمام معضلة يتعسر حلها، ذلك أن حاملي هذه الشهادة ذاقوا حلاوة العلم فطلبوا المزيد، وأرهقوني من أمري عسرا، وألحوا علي أن أتقدم بهم خطوة إلى الأمام، وحرام علي- على حد تعبيرهم- أن أقف بهم دون غاياته، فكان واجبا علي أن أخطو بهم إلى التعليم الثانوي، وأهبت بالأمة أن تعينني بقوة أبلغ بها غرض أبنائها، فاستجابت فكان ذلك مشجعا على إنشاء معهد ثانوي بمدينة قسنطينة نسبناه إلى إمام النهضة ابن باديس، تخليدا لذكره، واعترافا بفضله على الشعب، فاشترينا دارا عظيمة واسعة من دور عظماء البلدة، وجعلنا منها معهدا ثانويا، وهيأنا له من سنته الأساتذة والتلامذة والكتب والمال، فكان التعليم فيه بالمعنى الكامل عند غيرنا من الأمم ببرامجه وكتبه وأدواته، وكان هذا المعهد تاجا لمدارس جمعية العلماء وغرة في أعمالها، وكانت نيتي معقودة على إنشاء معهدين ثانويين آخرين، أحدهما بمدينة الجزائر، والثاني بمدينة تلمسان، وقد بلغ تلامذة المعهد الباديسي في السنة الأولى ألفا أو يزيدون، وكلهم منتخبون من مدارسنا الابتدائية من جميع القطر، ثم اشترينا من مال الأمة دارا أخرى تتسع لسكنى سبعمائة طالب، وبعد خروجي لهذه الرحلة افتتحها إخواني من بعدي



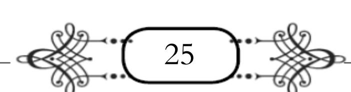


بعد أن قسموها إلى قاعات نوم فسيحة بأسرتها، ودواليب الثياب، وكتب المطالعة، على ترتيب بديع، وفي الدار ما يريح الطالب من مغتسلات، وحمامات، ومطابخ، وغرف طعام.

مالية جمعية العلماء

مالية جمعية العلماء تأتيها من موردين: إشتراكات الشعب الشهرية والتبرعات غير المحدودة، وميزانيتها في السنوات الأخيرة أصبحت ضخمة وقد قسمتها إلى أقسام، فمالية بناء المدارس لا تدخل خزينة الجمعية، بل تقبضها الجمعية المحلية وتنفقها على البناء، فإذا تم البناء جرى الحساب علنا على رؤوس الأشهاد بحضرتي وسد بابها، والمالية الخاصة بأجور المعلمين والقومة على المدرسة تؤخذ من آباء التلاميذ بواسطة أمين مال الجمعية المحلية في مقابل إيصالات رسمية مختومة بختمها، ولكل مدرسة جمعية محلية قانونية تنتخبها جمعية العلماء من أعيان المدينة أو القرية، ولا تحاسب جمعية العلماء إلا في آخر السنة في الاجتماع العام، والمال الذي يتحصل من الاشتراك العام في جمعية العلماء هو الذي يدخل إلى خزانتها، ويحاسب عليها أمين مالها في التقرير المالي الذي يتقدم به إلى الاجتماع العام، ويضاف إليه ما يتحصل من التبرعات غير المحدودة.

أما الجريدة فإنها قائمة بنفسها من أثمان الاشتراك فيها، وقد قررت في كل اجتماع عام أن تعرض على المجلس الإداري جميع المداخيل المذكورة من أجور التعليم، والاشتراكات العامة والتبرعات، كل ميزانية على حدة، وكل مدرسة يفيض دخلها على خرجها يدخل المبلغ الفائض في الخزينة العامة، وكل مدرسة ينقص دخلها عن





خرجها يعتمد لها من الخزينة العامة ما يسدد عجز ميزانيتها، وكل هذا على نظام بديع يؤدي إلى اشتراكية بين المدارس مع بعضها، وبين الشعب والجمعية المحلية.

أثر أعمالي وأعمال إخواني في الشعب

أثر أعمالنا في الشعب بارز لا ينكره حتى أعداؤنا من الاستعماريين، وخصومنا من إخواننا السياسيين، فمن آثارنا؛

1- بث الوعي واليقظة في الشعب حتى أصبح يعرف ما له وما عليه.

2- ومنها إحياء تاريخ الإسلام وأمجاد العرب التي كان الاستعمار يسد عليه منافذ شعاعها حتى لا يتسرب إليه شيء من ذلك الشعاع.

3- ومنها تطهير عقائد الإسلام وعباداته من أوضار الضلال والابتداع، وإبراز فضائل الإسلام، وأولها الاعتماد على النفس، وإيثار العزة والكرامة، والنفور من الذلة والاستكانة والاستسلام.

4- ومنها أخذ كل شيء بالقوة.

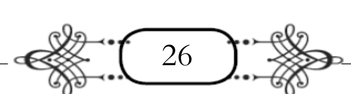
5- ومنها العلم، هذه الكلمة الصغيرة التي تنطوي تحتها جميع الفضائل.

6- ومنها بذل المال والنفس في سبيل الدين والوطن.

7- ومنها نشر التحابب والتآخي بين أفراد المجتمع.

8- ومنها التمسك بالحقائق لا بالخيالات والأوهام.

فكل هذه الفضائل كان الاستعمار يغطيها عن قصد لينساها المسلمون على مر الزمان، بواسطة التجهيل وانزواء العقل والفكر، وقد وصل الشعب الجزائري إلى ما وصل إليه، بفضل جمعية العلماء، وما بذلناه من جهود في محو الرذائل التي مكن لها





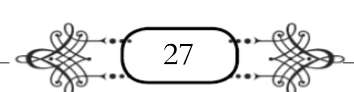
الاستعمار، وتثبيت الفضائل التي جاء بها الإسلام، ولو تأخر وجود الجمعية عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا، ولو سلكنا سبيلا غير الذي سلكناه في إيقاظ الأمة وتوجيهها في السبيل السوي لما قامت هذه الثورة الجارفة في الجزائر، التي بيضت وجه العرب والمسلمين، ولو نشاء لقلنا: "**إننا أحيينا اللسان العربي، والنخوة العربية، وأحيينا دين الإسلام وتاريخه المشرق، وأعدنا لهما سلطانهما على النفوس وتأثيرهما في العقول والأرواح، وشأنهما الأول في الاتعاظ والأسوة**"

فاحيينا بذلك كله الشعب الجزائري فعرف نفسه، فاندفع إلى الثورة يحطم الأغلال ويطلب بدمه الحياة السعيدة والعيشة الكريمة، ويسعى إلى وصل تاريخه الحاضر بتاريخه الغابر.

مؤلفاتي

لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب، ومع ذلك فقد ساهمت بالكتابة في موضوعات مفيدة، ولكن لم يساعدني الفراغ ولا وجود المطابع على طبعها، وقد بقيت كلها مسودات في مكتبتي بالجزائر، فمن أجل ما كتبت:

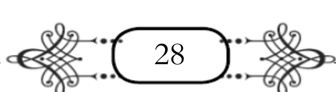
1. "**عيون البصائر**" وهي من المقالات التي كتبتها في جريدة "**البصائر**" في سلسلتها الثانية.





2. كتاب "**بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر**" والتزمت فيها اللهجة السائدة اليوم في مواطن هلال بن عامر.
3. كتاب "**النقايات والنفايات في لغة العرب**" جمعت فيه كل ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء أو مرذوله.
4. كتاب "**أسرار الضمائر في العربية**"
5. كتاب "**التسمية بالمصدر**"
6. كتاب "**الصفات التي جاءت على وزن فَعَل**" بفتح العين.
7. كتاب "**نظام العربية في موازين كلماتها**"
8. كتاب"**الاطراد والشذوذ في العربية**" في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
9. كتاب "**ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة**"
10. "**رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان**"
11. رواية "**كاهنة أوراس**" بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال.
12. "**رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية**"
13. كتاب "**حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام**" بدأت فيه من أيام إقامتي في دمشق بعد الحرب الأولى، وأتممته بعد ذلك في فترات، وبحثت فيه ينابيع المال في الإسلام، واستخرجت ينابيع أخرى غير منصوصة يلتجئ إليها جماعات المسلمين إذا حزبهم أمر، أو فاجأتهم حادثة.
14. كتاب "**شعب الإيمان**" جمعت فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية.

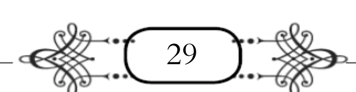




15. وهناك محاضرات وأبحاث كتبها عني التلامذة في حين القائها، وهناك فتاوى متناثرة.
16. وأعظم ما دونت، "**ملحمة رجزية**" نظمتها في السنين التي كنت فيها مبعدا في الصحراء الوهرانية، وهي تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه، وقد تضمنت فنونا من المواضيع: تاريخ الإسلام ووصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا، وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله، ولأفانين في الهزل للمذاهب الاجتماعية والفكرية والسياسية المستجدة، والإنحاء على الابتداع في الدين، وتصوير لأولياء الشيطان، ومحاورات أدبية رائعة بينهم وبين الشيطان، ووصف للاستعمار ومكائده ودسائسه وحيله وتخديراته للشعوب للقضاء على مقوماتها.

ولم أقرأ للرجاز رجزا سلسا يلتحق بالشعر الفني مثل هذه الملحمة إلا لابن الخطيب في "**نظم الدول**"، ولشوقي في "**رجز دول العرب وعظماء الإسلام**"، ولبعض الشناقطة، وكان الرجز موقوفا على نظم المتون العلمية، وهي مقيدة بالاصطلاح العلمي، لذلك كان باردا بعيدا عن الفن، خاليا من الإشراق والروعة حتى عده المعري من سفساف القريض وتخيل للرجاز جنة حقيرة، وأنا أعتبره بحرا كبقية بحور الشعر العربي، يرتفع فيه أقوام وينخفض آخرون، ولـ "**مهيار الديلمي**" قصائد كثيرة من مسلسلاته من وزن هذا البحر، ولم يقعد بها عن الإجادة أنها من الرجز، وشوقي إمام الشعر في وقتنا هذا يقول في شأن الغاضين من الرجز، الظانين بأنه مركب لمن عجز:

يَرَوْنَ رَأْيًا وَأَرَى خِلاَفَهْ الْكَأْسُ لَا تُقَوِّمُ السُّلاَفَهْ

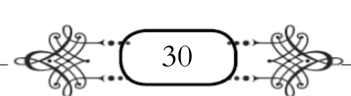




تركت مسودات مؤلفاتي كلها بالجزائر ولم أصحبها معي لتطبع أو يطبع بعضها هنا كما كنت آمل، لأني لم أشأ أن أخلط عملا عموميا للجزائر بعمل شخصي لنفسي.

خلاصة الخلاصة

1. ولدتُ عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام 1306هـ، الموافق للرابع عشر من شهر يونيو سنة 1889م.
2. حفظت القرآن ومتون العلم الكبيرة وأنا ابن تسع سنين، وتلقيت علوم الدين والعربية في بيت أسرتي على عمي القائم بتربيتي الشيخ محمد المكي الإبراهيمي وكان علامة زمانه في العلوم العربية.
3. مات عمي وأنا ابن أربع عشرة سنة، بعد أن أجازني في العلوم التي تلقيتها عليه.
4. وهبني الله حافظة خارقة، وذاكرة عجيبة تشهدان بصدق ما يحكى عن السلف وكانتا معينتين لي في تحصيل العلم في هذا السن.
5. بعد موت عمي خلفته في إلقاء الدروس إلى أن جاوزت العشرين سنة.
6. بيتنا عريق في العلم خرج منه جماعة أفذاذ في علوم الدين والعربية في الخمسة قرون الأخيرة، بعد انحطاط عواصم العلم الشهيرة في المغرب.
7. رحلت إلى المدينة أنا ووالدي مهاجرين فرارا من الاستعمار الفرنسي، فكنت من مدرسي الحرم النبوي الشريف، وتلقيت فيها علم التفسير، وعلم الحديث، رواية ودراية، وعلم الرجال وأنساب العرب، ومكثت في المدينة المنورة قريبا من ست سنين، ثم انتقلنا إلى دمشق في أثناء الحرب العالمية الأولى فكنت من أساتذة العربية في المدرسة السلطانية بها مدة سنتين، في عهد حكومة الاستقلال العربي.





8. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى رجعت إلى بلدي بالجزائر، وبقيت بها أنشر العلم في فترات متقطعة إلى سنة 1931 ميلادية، وكنت أحد اثنين يرجع لهما الفضل في تكوين جمعية العلماء أنا وعبد الحميد بن باديس، وكنت في طليعة العاملين على إحياء العلوم الدينية والعربية بالجزائر من الابتدائية إلى العالية، وكنت أبرز المشيدين لأربعمائة مدرسة في مدن القطر الجزائري وقراه، وفي طليعة المجاهدين في سبيل الإصلاح الديني وحرب التدجيل والابتداع في الدين وبث الوعي الوطني، وتصحيح الموازين الفكرية والعقلية في نفوس أفراد الشعب الجزائري.

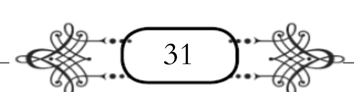
9. بعد ظهور جمعية العلماء للوجود انغمست في أعمالها وتشكيلاتها وانقطعت إلى العلم وتأسيس مدارسه ووضع برامجه، وكيلا لها في حياة ابن باديس ورئيسا لها بعد موته على ما هو مفصل في الخلاصة، وفي سنة 1952 ميلادية رحلت إلى الشرق بتكليف من جمعيتي، وكان الباعث على هذ الرحلة أمرين:

الأول: السعي لدى الحكومات العربية لتقبل لنا بعثات من أبناء الجزائر.

الثاني: مخاطبة حكومات العرب والمسلمين في إعانتنا ماليا حتى تستطيع الجمعية أن تواصل أعمالها بقوة، لأن الميدان اتسع أمامها، والشعب الجزائري محدود القوة المالية، إذا لم يعنا إخواننا فربما تنتكس حركتنا، وهذا ما ينتظره الاستعمار لنا.

10. وقد قدمت مصر ثم زرت باكستان والعراق وسوريا والحجاز، فأما قبول البعثات فقد حصلت فيه على الغرض، وأما الإعانة بالمال فقد كانت طفيفة، وقامت الثورة الجزائرية المباركة سنة 1954، واستفحل أمرها فانقطعت مكرها عن زيارة الجزائر.

نفعنا الله بما علمنا وبما علمنا إنه مجازي العاملين المخلصين.





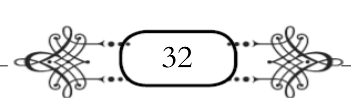
قلت: هذا ما ذكره الإبراهيمي عن نفسه، ونتم الجزء الأخير من حياته —من بعد الاستقلال إلى وفاته– بما ذكره نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في تقديمه لما جمعه من آثار والده، قال:

المرحلة الأخيرة (1962 – 1965): وهي التي عاد الإبراهيمي فيها إلى وطنه بعد استعادة الاستقلال حتى وفاته في 20 مايو1965، وخلال هذه المرحلة اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة، وبسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي، فانحصر نشاطه في حدثين ختمنا بهما الجزء الخامس من آثاره:

– إلقاء أول خطبة جمعة بعد استعادة الاستقلال، افتتح بها مسجد "كتشاوة" بالعاصمة، الذي رجع كما كان مسجدا بعد أن حوله الاستعمار الفرنسي إلى كتدرائية طوال قرن وثلث، وقد ألقى الإبراهيمي هذه الخطبة المشهودة بحضور وفود من جميع الدول العربية والإسلامية.

– إصدار بيان 16 أفريل 1964، الذي دعا فيه السلطة آنذاك للعودة إلى الحكمة والصواب، وإلى جادة الإسلام، بعد أن رأى البلاد تنحدر نحو الحرب الأهلية، وتنتهج نهجا ينبع من مذاهب دخيلة مضادة لعقيدتنا وروحنا وجذورنا. اهـ

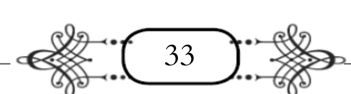
توفي بمنزله بحيدرة يوم الخميس 19 محرم سنة 1385هـ، الموافق 20 ماي عام 1965، عن عمر يناهز السادسة والسبعين عاما، ودفن في مقبرة "سيدي محمد" بحي بلكور، وقد خرج الآلاف لتشييع جنازته، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا.





قضايا الهوية








الإسلام

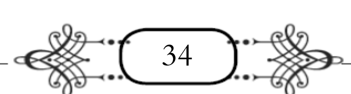
"إن الإسلام هو دين التحرير العام، فنرسل هذا الوصف إرسالا بدون تحفظ ولا استثناء، لأنه الحق الذي قامت شواهده، وتواترت بيناته، ومن شواهده وشهوده تلك الأجيال التي صحبت محمدا صلى الله عليه وسلم، وآمنت به، واتبعت النور الذي أنزل معه، ثم الذين صحبوهم، ثم الذين اتبعوهم بإحسان، ونحمد الله على أن العلاقة بين الألفاظ ومعانيها لم تنقطع عند جميع العقلاء من أجناس البشر، والعقلاء هم حجة الله على من سواهم، وما زال الخير يسمى خيرا، والشر يسمى شرا، والفضيلة فضيلة، والرذيلة رذيلة" (الآثار 357/4)

العروبة

"إن العربية هي لسان العروبة الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل إلا أن تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد... وإن الشعب الجزائري فرع باسق من تلك الدوحة الفينانة، وزهرة عبقة من تلك الروضة الغناء، عدت عليه عوادي الدهر، فنسي مجد العروبة، ولكنه لم ينس أبوتها، وابتلاه الاستعمار عن قصد بالبلبلة، فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلا الضاد، ولم يبق من العروبة مع هذا وذاك إلا سمات وشمائل، ولا من العربية إلا آيات ومخائل، وجاءت جمعية العلماء على عبوس من الدهر، وتنكر من الأقوياء، فنفخت من روح العروبة في تلك الأنساب فإذا هي صريحة، وسكبت من سر البيان العربي في تلك الألسنة فإذا هي فصيحة، وأجالت الأقلام في كشف تلك الكنوز فإذا هي ناصعة بيضاء لم يزدها تقادم الزمان إلا جدة" (الآثار 57/3)











الإسلام[1] [الرجز]

1. بُورِكْتَ يَا دِينَ الْهُدَى مَا أَثْبَتَكْ ... حَقُّكَ بَتَّ الْمُبْطِلِينَ وَبَتَكْ[2]
2. مَنْ ذَا يُجَارِيكَ وَأَنْتَ السَّيْلُ ... وَالسَّيْلُ فِيهِ غَرَقٌ وَوَيْلُ
3. مَنْ ذَا يُسَارِيكَ وَأَنْتَ النَّجْمُ ... وَالنَّجْمُ نُورٌ لِلْهُدَى وَرَجْمُ[3]
4. شِعَارُكَ الرَّحْمَةُ وَالسَّلامُ ... لِلْعَالَمِينَ، وَاسْمُكَ الْإِسْلَامُ
5. الْحَقُّ مِنْ سِمَاتِكَ الْجَلِيَّهْ ... وَالْعَدْلُ مِنْ صِفَاتِكَ الْعَلِيَّهْ
6. وَالْعَقْلُ مُنْذُ كُنْتَ مِنْ شُهُودِكْ ... وَالْفِكْرُ بَعْدَ الْعَقْلِ مِنْ جُنُودِكْ
7. كَانَا كَتِبْرٍ فِي التُّرَابِ أُرْصِدَا ... فَمَسَحَتْ يُمْنَاكَ عَنْهُمَا الصَّدَا
8. يَا دِينُ إِنَّ الدَّيْنَ ليس يُنْسَى ... بَلْ يُقْتَضَى مُعَجَّلًا أَوْ يُنْسَا[4]
9. يَا دِينُ إِنَّ الصَّبْغَ لَنْ يَحُولَا ... وَإِنَّ عِنْدَكَ لَهُمْ ذُهُولَا

---

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 484/3.

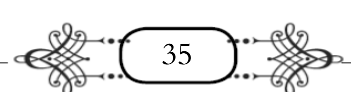
قال الإبراهيمي: كنت أنظم كل أربعة منها لتوضع في إطار بجانب اسم الجريدة، ثم ضممتها للملحمة الرجزية من نظمي، وهي تبلغ عشرات الألوف من الأبيات، منها نحو خمسة آلاف في تاريخ الإسلام وحقائقه.اهـ

ولذلك ستأتي أبيات مكررة أثبتناها كما هي في الآثار.

(2) "بَتَّ" الْبَتُّ: القطع المستأصل، يقال: "بَتَتُّ" الحبل و"أَبْتَتُّ"، و"بَتَك" كذلك بمعنى قطع، و"البَتْكُ" القَطْعُ، و"الْبَاتِكُ" السيف القاطع. (مقاييس اللغة 170/1، و 195/1)

(3) "الرَّجْمُ" هو الرمي بالحجارة، والنجم فيه نور يهتدي به السائر في الظلام، وهو أيضا رجم للشياطين، كما جمع الله لها الوصفين في قوله: "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ"

(4) "يُنْسَا" بترك الهمز للوزن أي "يُنْسَأ" بمعنى يُؤَخر.

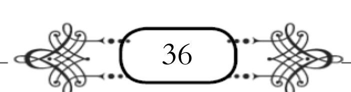







10. وَعِنْدَكَ التُّرَاثُ وَالطَّوَائِلُ (1) أَقْرَضَهَا الْأَوَائِلَ الْأَوَائِلُ
11. تَجَمَّعُوا عَنْكَ لِأَخْذِ الثَّارِ وَأَقْبَلُوا فِي الْقَسْطَلِ (2) الْمُثَارُ
12. عَوَّضْتَهُمْ مِنَ الْخَسَارِ الرِّبْحَا فَأَبْصَرُوا بَعْدَ الظَّلَامِ الصُّبْحَا
13. عَلَّمْتَهُمْ كَرَامَةَ الْإِنْسَانِ وَجِئْتَهُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
14. أَلْحَفْتَهُمْ مُلَاءَةَ الْأَمَانِ وَسُسْتَهُمْ بِالْعَهْدِ وَالضَّمَانِ
15. وَذِمَّةٍ جِوَارُهَا لَا يُخْفَرُ (3) وَنِعْمَةٍ آثَارُهَا لَا تُكْفَرُ
16. أَشْرَكْتَهُمْ مَعَ بَنِيكَ فِي حُقُوقْ حَكَمْتَ أَنَّ سَلْبَهَا مِنْهُمْ عُقُوقْ
17. أَفْرَطْتَ فِي الرَّحْمَةِ وَالْإِكْرَامِ فَأَفْرَطُوا فِي الْبَغْيِ وَالْإِجْرَامِ
18. وَفِي الْعِبَادِ مَنْ إِذَا لِنْتَ اجْتَرَى وَمَنْ إِذَا صَدَقْتَهُ الْقَوْلَ افْتَرَى
19. وَمَنْ إِذَا سَقَيْتَهُ الْمَحْضَ الْمَرِي سَقَاكَ شَوْبًا مِنْ قَذًى وَكَدَرِ
20. عُرُوقُ لُؤْمٍ فِي الْغَرَائِزِ الَّتِي مَهْمَا تَسَامَتْ لِلْعُلَا تَدَلَّتِ
21. إِنَّ الضَّلَالَ وَالْهَوَى وَالْأَثَرَهْ(4) وَكُلُّ شَرٍّ قَدْ مَحَوْتَ أَثَرَهْ
22. وَاتَّصَلَتْ مِنْ بَعْدِ مَا فُصِلْتَا وَنَبَتَتْ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُؤْصِلْتَا
23. تَجَسَّمَتْ فَأَصْبَحَتْ جِبَالَا وَاسْتَوْثَقَتْ حَتَّى غَدَتْ حِبَالَا

(1)"الطَّوَائِلُ" ج "طَائِلَة" أي عداوة وطلب ثأر. (لسان العرب414/11)
(2)"القَسْطَل" أو "القَصْطَلُ" بالسين والصاد: الغبار، ويقال أيضا: "القَسْطَال" و"القُسْطُول" و"القَسْطَلان"، أي الغُبار الساطِع. (تهذيب اللغة291/9، الصحاح 1801/5، لسان العرب 557/11)
(3)"أَخْفَرَ يُخْفِرُ" إذا نقض العهد، وضدها "خَفَر، يَخْفِر" يخفر إذا أجار. (مقاييس اللغة203/2)
(4)"الْأَثَرَة" الاستبداد بالشيء. (الصحاح575/2)





24. ثُمَّ تَدَاعَتْ فِي حِمَى الصُّلْبَانِ وَرِعْيَةِ الْقُسُوسِ وَالرُّهْبَانِ [1]

25. إِنْ طَلَبُوا عِنْدَكَ ثَارَ الْغَلَبِ فَهَلْ تَرَاهُمْ أَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ؟

26. لَا وَالَّذِي بِكَ الْعُقُولَ حَرَّرَا وَثَبَّتَ الْحَقَّ بِهَا وَقَرَّرَا

27. وَجَعَلَ الْقُرْآنَ حُجَّةَ الْأَبَدْ هُوَ الْمَعِينُ العِدُّ وَالْكُتْبُ الزَبَدْ[2]

28. مُفَصَّلًا أَنْزَلَهُ نُجُومَا وَلِلْهُدَى سَيَّرَهُ زَحُومَا[3]

29. قَدْ أَمِنُوا إِلَّا بِحَقٍّ سَيْفَكَ وَأَمِنُوا عَلَى الزَّمَانِ حَيْفَكَ[4]

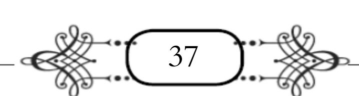
---

(1)"الْقُسُوس" ج "القِسِّيس" ويجمع أيضا على "قِسِّيسِينَ" و"قَساوِسَة"، وهو رئيس النصارى في العلم والدين. (القاموس المحيط ص: 566)

(2)"العِدُّ" بكسر الدال: الماء الدائم الذي لا ينقطع كماء العين والبئر، والجمع "أَعْدَاد". (تهذيب اللغة1/67)
"الْكُتْبُ" بسكون التاء، ج: كتاب، و"الزَبَد" المقصود به هنا زبد الماء، وهو ما يعلوه ويطفو عليه من قذى. وفيه إشارة إلى المثل الذي ضربه الله تعالى في القرآن للحق والباطل، فقال سبحانه: "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا"، ثم قال: "كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ"، والمعنى: أن الحق والباطل إذا اجتمعا لا ثبات للباطل، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ولا يبقى إلا الماء وذلك هو الذي ينتفع به. (تفسير ابن كثير4/447)

(3)"نُجُوما" النجوم هنا من "تَنْجِيم الدَّيْن" وغيره، وهو إعطاؤه في أوقات معلومة متتابعة، وكذلك أُنزل القرآن كما قال تعالى: "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ" أي منجما على الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.
و"زَحُومَا" أي مزاحِما، يقال: ناقة زَحُوم: هي التي تزاحم على الحوض.

(4)"سَيْفَكَ" بالنصب مفعول به لـ"أمنوا" والتقدير: أمنوا سيفك إلا بالحق. "حَيْفَكَ" جوْرك وَظُلْمك.





30. وَلَمْعَةٌ مِنْ صَارِمٍ يُسَلُّ ... كَوَمْضَةٍ مِنْ عَارِضٍ يَنْهَلُّ[1]

31. وَالْأَرْضُ أَحْوَجُ لِدَرْءِ العَيْثِ ... مِنْهَا إِلَى جَلْبِ الْحَيَا وَالْغَيْثِ[2]

32. مَا سُلَّ سَيْفٌ فِيكَ إِلَّا لِمَدَى ... لَوْ لَمْ يَجُزْهُ النَّاسُ ظَلَّ مُغْمَدَا

[الدين][3] [الرجز]

1. يَا دِينُ إِنَّ الدَّيْنَ لَيْس يُنْسَى ... بَلْ يُقْتَضَى مُعَجَّلًا أَوْ يُنْسَا

2. يَا دِينُ إِنَّ الصَّبْغَ لَنْ يَحُولَا ... وَإِنَّ عِنْدَكَ لَهُمْ ذُحُولَا

3. وَعِنْدَكَ التُّرَاثُ وَالطَّوَائِلُ ... مِمَّا قَرَى الْأَوَائِلَ الْأَوَائِلُ

4. وَهَذِهِ أَخْلَافُهُمْ[4] تَدَاعَتْ ... بِصُورَةٍ قَدْ أَفْظَعَتْ وَرَاعَتْ[5]

---

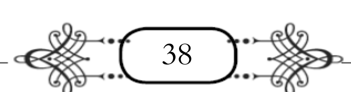
(1)ال"صَارِم" السيف، و"الوَمْضُ" و"الوَمِيضُ" لمعان البَرْق، و"العارض" السحاب، يقال: "هَلَّ" السحاب و"انْهَلَّ" بالمطر "ينهل، انْهِلَالًا" و"انْهَلَّت" السماء إذا صبّت بشدة. (تهذيب اللغة5/242 و65/12، مقاييس اللغة6/11)، أراد أن السيف إذا سُل بالحق كان فيه الخير والنفع مثل النفع بالمطر والغيث إذا انهلّ.

(2)"العَيْثُ" مصدر "عَاثَ يَعِيثُ" إذا أسرع في الفساد، "الْغَيْث" هو الخير والإخصاب، وهذا الذي أشار إليه هو معنى القاعدة الأصولية **"درء المفسدة أولى من جلب المصلحة"**

(3)العنوان من وضعنا، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي2/150.

(4)"أَخْلَاف" ج "خَلَف" بسكون الام وفتحها، القرن يأتي بعد القرن، ولا يكون الخَلَف، إلا من الأخيار، ولا يكون الخلْف إلا من الأشرار. (المحكم5/196)

(5)"رَاعَتْ" أفزعت، و"الرَّوْعُ" بفتح الراء: "الفَزَعُ". (الصحاح3/1223)





5. تَأَلَّبُوا عَنْكَ لِأَخْذِ الثَّارِ ... وَأَجْلَبُوا فِي الْقَسْطَلِ[1] الْمُثَارُ
6. وَنَصَبُوا لِكَيْدِكَ الْأَشْرَاكَا ... مِنْ أَلْفِ عَامٍ لَمْ تَزَلْ دِرَاكَا[2]
7. يَا كَيْدَةً كَادُوا لِهَذَا الدِّينِ ... مُجْتَاحَةً لَوْلَا صَلَاحُ الدِّينِ[3]
8. وَوَقْعَةٌ بِالسَّهْلِ مِنْ حِطِّينِ[4] ... دِمَاؤُهُمْ فِي تُرْبِهَا كَالطِّينِ
9. تَكَوَّنُوا مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَكَانُوا ... وَاخْشَوْشَنُوا مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَلَانُوا
10. وَاتَّصَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُصِلْتَا ... وَنَبَتُوا مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُأْصِلْتَا
11. لَمْ يُنْسِهِمْ طُولُ الْمَدَى السُّيُوفَا ... لَامِعَةً وَالْخَيْلَ وَالزُّحُوفَا
12. وَنَظَرُوا فِي أَصْلِكَ اعْتِبَارَا ... لِيَفْقَهُوا الْحِكَمَ وَالْأَسْرَارَا

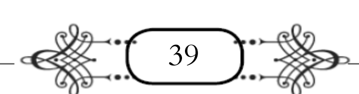
---

(1)"القَسْطَل" أو "القَصْطَلُ" بالسين والصاد: الغبار، ويقال أيضا: "القَسْطَال" و"القُسْطُول" و"القَسْطَلان"، أي الغُبار الساطِع. (تهذيب اللغة291/9، الصحاح1801/5، لسان العرب 557/11)

(2)"الْأَشْرَاك" ج "الشَرَكُ" بفتح الشين والراء، وهي حبالة الصائد. (الصحاح1594/4). و"دِراك" بكسر الدال إتباع الشيء بعضه على بعض. يقال: دَارَكَ الرجلُ صوتَه أي تابعه. (المحكم750/6، لسان العرب221/5، القاموس938/1)، والمعنى أن كيدهم للإسلام متتابع لا انقطاع فيه.

(3)"صَلَاحُ الدِّينِ" الأيوبي، يوسف بن أيوب، أبو المظفر، يلقب بالملك الناصر، (532هـ-589 هـ)، من أشهر سلاطين الإسلام، قمع الله به الصليبيين، وكان أعظم انتصاراته عليهم يوم حطين الذي تلاه استرداد طبرية وعكا، ثم افتتاح القدس سنة 583هـ.

(4) وقعة عظيمة كانت سنة(583هـ) بين المسلمين بقيادة السلطان صلاح الدين والصليبيين، وهزم الصليبيون فيها هزيمة نكراء، مهدت الطريق لفتح القدس، قال ابن كثير: قتل منهم ثلاثون ألفا في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فلله الحمد دائما كثيرا طيبا مباركا. (البداية والنهاية321/12)





13. وَاقْتَبَسُوا مِنْكَ الْأُصُولَ وَالسُّنَنْ ... فَفَرَّعُوا بِهَا الْهِضَابَ وَالفَنَنْ[1]

14. وَأَخَذُوا فِي الْكَوْنِ بِالْأَسْبَابِ ... وَإِنْ غَدَوْا فِي الدِّينِ فِي تَبَابِ

15. كَأَنَّهُمْ فِي الرَّأْيِ وَالْإِعْدَادِ ... مِنْ عُصْبَةِ الزُّبَيْرِ وَالْمِقْدَادِ[2]

المنابر[3] [الْبَسِيط]

1. إِنَّ الْمَنَابِرَ فِي الْإِسْلَامِ مَا نُصِبَتْ ... إِلَّا لِتَرْفَعَ صَوْتَ الْحَقِّ فِي النَّاسِ

2. فَاخْتَرْ لِأَعْوَادِهَا لَا مَنْ يَلِينُ لَهُ ... فِي الْحَقِّ عُودٌ وَلَا يُصْغِي لِخَنَّاسِ

3. وَمَنْ إِذَا رِيعَ سِرْبُ الدِّينِ خَفَّ لَهُ ... وَلَمْ يَكُنْ لِعُهُودِ اللهِ بِالنَّاسِي[4]

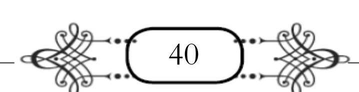
---

(1)"فَرَّع" كلمة ضد يقال: فرّع الرجل في الجبل إذا صَعِد فيه وفرّع إذا انحدر.
و"الْهِضَاب" ج: الهَضَبة، وكل جبل خُلِق من صخرة واحدة، وكل صخرة راسية ضخمة تسمى "هَضَبة".
و"الفَنَنْ" الغصن، يجمع على "أَفْنان" ثم "أَفانِين" (تهذيب اللغة6/2،65/214)

(2)"الزُّبَيْر" بن العوام بن خويلد رضي الله عنه، حواري رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وابن عمته صفية رضي الله عنها، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي سنة 33هـ قريبا من البصرة.
و"الْمِقْدَاد" بن عمرو رضي الله عنه، ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث فتبناه، صاحبي مشهور وأحد السابقين الأولين، توفي سنة 33هـ بالجرف قرب المدينة.

(3)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي485/3.

(4)"رِيعَ" بالبناء للمفعول أي "فَزِعَ" يقال: "رِيع" فلان "يُراع" إذا فزع. و"السِّرْبُ" بكسر السين النفس، يقال: فلان آمن في سِرْبِه، أي: في نفسه. (تهذيب اللغة114/3 و287/12).
أراد أن الخطيب الذي ينبغي أن يكون ممن يغار على محارم الدين أن تنتهك، فإذا حصل ذلك فزع وتحرك بخفة ولبّى النداء بسرعة، ولم ينس عهد الله.





[خوف الكفار من عودة المسلمين لدينهم][1][الرجز]

1. قَدْ تَحَرَّكْتَ فَقَالُوا: حَيٌّ — كَمَا اسْتَجَاشَ لِلنَّذِيرِ الْحَيُّ[2]
2. فَحَذِرُوا أَنْ تَسْتَعِيدَ الْكَرَّهْ — وَأَنْ تُعِيدَ لِلْعَوَالِي الْجَرَّهْ
3. وَأَنَّ هَذِي الثَّوْرَةَ الرُّوحِيَّهْ — تُعِيدُ تِلْكَ الفَوْرَةَ النَّوحِيَّهْ[3]
4. وَذَكَرُوا آثَارَكَ الْخَوَالِدَا — وَمَجْدَكَ الْفَذَّ الصَّرِيحَ التَّالِدَا[4]
5. وَذَكَرُوا أَنَّهُمُو فِي الْقِدَمِ — لَمْ يُدْرِكُوا شَأْوَكَ فِي التَّقَدُّمِ[5]
6. وَذَكَرُوا مَا فِيكَ مِنْ إِصْلَاحِ — لِلْجَمْعِ وَالْفَرْدِ وَمِنْ فَلَاحِ
7. وَذَكَرُوا كَيْفَ طَوَيْتَ الْمَغْرِبَيْنْ — فِي فَجِّكَ الْأَغَرِّ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنْ
8. وَكَيْفَ خَرَّجْتَ رُعَاةَ الْأُمَمِ — مِنْ أُمَّةٍ كَانَتْ رُعَاةَ الغَنَمِ

---

(1)العنوان من وضعنا. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي151/2.

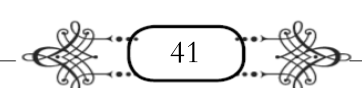
(2)"اسْتَجَاشَ" أي طلب جيشا.

(3)"الفَوْرَة" هي الشدة في الشيء، يقال: "فَوْرَةُ الحَرِّ" شدته، و"فَوْرَةُ العشاء" بعد العَتَمَةِ. (الصحاح783/2). "النَّوحِيَّة" نسبة إلى "النَّوْحَة" وهي القوة، ويقال كذلك: "النَّيْحَة".(لسان العرب628/2، تاج العروس 200/7). أراد أن الإصلاح الروحي يعيد للأمة قوّتها الشديدة التي كانت لها، ولهذا يحذر الأعداء منه ومن دعاته.

(4)"الْفَذّ" الفرد في نوعه، ويجمع على "أَفْذاذ" و"فُذُوذ". و"التَّالِد" و"التَّليد" و"التِّلادُ" مال قديم يرثه الرجل عن آبائه. (تهذيب اللغة61/14، الصحاح450/2)

أراد أن الغرب ذكروا مآثر وأمجاد المسلمين الأصلي الذي ورثوه عن آبائهم، فهم يحرصون على ألا يستعيدوه.

(5)"شَأْوَكَ"، "الشَأْوُ" الغاية والأمد، وكذلك: السَّبْقُ، يقال: "شَأَوْتُ" القَوْمَ شَأْواً، و"شَأَيْتُهم شَأْياً" سبقتهم. (لسان العرب417/14، مقاييس اللغة238/3)





[خيانة الدين] [1] [الرجز]

1. ثُمَّ اسْتَعَانُوا مِنْ بَنِيكَ بِثُبَاتْ [2] لَيْسَ لَهُمْ فِي مَوْقِفِ الْحَقِّ ثَبَاتْ
2. اسْتَجْلَبُوهُمْ بِالدَّهَا وَالْكَيْدِ وَاسْتَدْرَجُوهُمْ لِلزُّبَى كَالصَّيْدِ [3]
3. اسْتَضْعَفُوهُم وَاسْتَخَفُّوا شَانَهُمْ وَأَلْبَسُوهُمْ ضِلَّةً مَا شَانَهُمْ [4]
4. وَسَحَرُوا أَعْيُنَهُمْ وَاسْتَرْهَبُوا وَرَغَّبُوا بِعَاجِلٍ وَرَهَّبُوا

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي151/2.

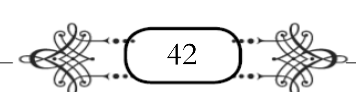
(2)"ثُبَات" ج: "ثُبَة" وهي الجماعة من الناس، وأصلها "ثُبَيٌ" وتجمع أيضا على "ثُبًى" و"ثُبونَ و"ثِبِين" وتلحق بالجمع المذكر السالم، ومنه قوله تعالى: "فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا" أي انفروا جماعة بعد جماعة أو انفروا كلكم. (تهذيب اللغة113/15، الصحاح2291/6، تفسير ابن كثير357/2)

(3)"بِالدَّهَا" بالقصر للوزن أي بِالدَّهَاء. "زُبَى" ج: "زُبية" الرابية لا يعلوها الماء، و"الزُبْيَةُ" أيضا الحفرة "يَتَزَبَّى" فيها الرجل للصيد، وتحتفر للذئب أو الأسد فيصطاد فيها سميت بذلك لأنهم كانوا يحفرونها في موضع عال. على حد قول الشاعر:

فَكَانَ وَالْأَمرَ الَّذِي قَد كِيدَا كَاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فاصْطِيدا

وقوله: "اللَّذْ" اسم موصول، وهو لغة في "الَّذِي" (تهذيب اللغة184/13، لسان العرب353/14)

(4)"ضِلَّة" بكسر الضاد، الضلال. (تهذيب اللغة320/11)





لغة العرب[1][البَسِيط]

1. نَغَارُ عَنْ أَحْسَابِنَا أَنْ تُمْتَهَنْ وَالْحُرُّ عَنْ مَجْدِ الْجُدُودِ مُؤْتَمَنْ
2. وَلُغَةُ الْعُرْبِ لِسَانٌ مُمْتَحَنْ إِنْ لَمْ يَذُدْ أَبْنَاؤُهُ عَنْهُ، فَمَنْ؟[2]

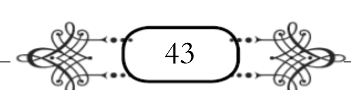
الاشتراكية[3] [مجزوء الرمل]

1. بَاعَ أَمْنًا وهُدُوًّا وخِــلَالاً أَخَــوِيَّـــهْ
2. وَغُـــدُوًّا وَرَوَاحًـــا فِي فِجَاجِ الْوَطَنِيَّهْ
3. وَاشْتَرَى لَفْظًا سَخِيفًا خَتْمُهُ فِي النُّطْقِ "كِيَّهْ"

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي485/3.

(2)"مُمْتَحَن" أي مذلل موطوء، والمعنى أن لسان العرب في هذه الأعصار قد ذل لفشو اللحن فيه، وهجره واستبداله بلهجات محلية ورطنات أعجمية، ولساننا العربي من عرضنا، فيجب أن نغار عليه ونذود عنه. وقوله "فَمَنْ" أي فمن يذود عنه إن لم نفعل ذلك نحن؟

(3)ذكرها عنه الأستاذ محمد الهادي الحسني، وقال: أملاها عليّ الشيخ موسى الأحمدي نويوات. وقال: المقصود باللفظ السخيف هو "الاشتراكية"، والذي باع واشترى هو الرئيس ابن بلة غفر الله له.








الطُـرُقِـيَّـة

"إن لنا في الدعوة الإصلاحية سلفا صالحا يبتدئ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينتهي إلا بقيام الساعة، وإن لهم في بدعهم وضلالاتهم سلفا طالحا يبتدئ من الشيطان ولا ينتهي إلا بقيام الساعة، وإن بين سلفنا في الهداية وسلفهم في الضلال في القرون والأجيال نحوا مما بيننا وبينهم اليوم، وإن العاقبة في كل قرن وكل جيل للحق...الخلاف بيننا وبينهم في طرقهم وزواياهم وما يرتكبونه باسمها من المنكرات التي فرقت كلمة المسلمين وجعلت الدين الواحد أديانا، فقلنا لهم ولا نزال نقول: **"لا طرقية في الإسلام"**، وأقمنا على ذلك الأدلة من الدين وتاريخه الأول والعقل ومقتضياته، فلماذا يرجعون بنا بعد هذا كله إلى العلم الذي هو بريء منهم وهم برآء منه"

(الآثار 303/1)

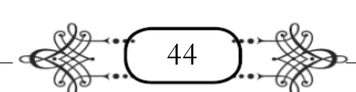
الاستشراق

"علمنا أن الاستشراق أصبح صنعة لا علما، وأن الاستعمار ينشطها لمآرب له فيها؛ وعلمنا أنه لأمر ما كان ازدهار الاستشراق مقارنا لازدهار الاستعمار"

(الآثار3/355)











[الغوثية والقطبية][1] [الطَّوِيل]

1. فَإِنْ شِئْتُمُو أَنْ تَسْمَعُونِي مُحَاضِرًا   أُحَاضِرْكُمْ عَنْ حَضْرَةِ الْغَوْثِ وَالْقُطْبِ[2]
2. هُنَالِكَ يَدْرِي الْجَاهِلُونَ حَقِيقَتِي   وَيَهْتَزُّ نَادِيكُمْ وَيُعْرَفُ مَا خَطْبِي
3. وَأَنَّ سُكُوتِي مَسْحَةٌ مُسْتَعَارَةٌ   مِنَ الْمِدْفَعِ الصَّخَّابِ وَالصَّارِمِ الشَّطْبِ
4. أَنَا الْمَرْءُ لَا أُعْطِي إِلَى الْقُطْبِ مِقْوَدِي   وَلَوْ دَفَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ إِلَى الْقُطْبِ

اِفْتِرَاءُ مُسْتَشْرِقٍ[3] [الرَّجز]

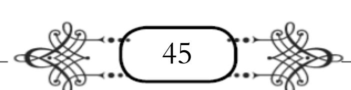
4. وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْمَغْرُورِ   وَمَا أَتَى مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ
5. مَعْلُولَةُ الْآرَاءِ وَالْأَنْظَارِ   عَارِيَةُ السَّوْءَاتِ لِلنُّظَّارِ
6. لَقِيطَةٌ لَقِيَهَا كِفَاحِي   مُرِيبَةٌ كَالنَّسْلِ مِنْ سِفَاحِ
7. جَانَبَتِ الْحَقَائِقَ الْمَلْمُوسَهْ   وَجَافَتِ الْوَقَائِعَ الْمَحْسُوسَهْ

---

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي1/288.

(2)"الْغَوْثِ وَالْقُطْبِ" من مصطلحات الصوفية، وهي من أعلى ألقاب الولاية عندهم، ويعتقدون في أصحابها أنهم يتصرفون في الكون، وهذه ألفاظ مبتدعة تحمل في طياتها الشرك بربوبية الله تعالى، فالقطب عندهم: عبارة عن رجل واحد، هو موضوع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام، وحين يلتجأ إليه في كشف الكربات يسمى بالغوث. وبعضهم يفسر: أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى يقول: إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته. (مجموع الفتاوى27/96، التعريفات للجرجاني ص:163و177)

(3)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي1/413.





8. ضَمَّنَهَا أَحْكَامَهُ عَلَى الْأُمَمْ — تَبًّا لَهُ مِنْ حَاكِمٍ وَمَا حَكَمْ

9. مُقَدِّمَاتٌ بَعْدَهَا نَتَائِجْ — لَكِنَّهَا مَحْلُولَةُ الْوَشَائِجْ

10. عَدَا عَلَى التَّارِيخِ وَهْوَ أَبْلَجُ — لَكِنْ بَيَانُ الْمُفْتَرِينَ يَحْلَجُ(1)

11. وَأَنْكَرَ الْخَصَائِصَ الْمُسَلَّمَهْ — لِمَنْ غَدَوْا نُورَ الْعُصُورِ الْمُظْلِمَهْ

12. وَخَصَّ بِالذَّمِ وَبِالتَّنْقِيصِ — سَامًا وَابْنَيْهِ عَلَى التَّخْصِيصِ(2)

13. وَمَنْ يَكُنْ ذَا نَسَبٍ لَصِيقِ — أَزْرَى بِكُلِّ نَسَبٍ عَرِيقِ

14. يَا غِرُّ مَهْمَا زِدْتَ فِي التَّسَامِي — لَنْ تُدْرِكَ الْأَصْلَ الْمُنِيفَ السَّامِي

15. وَهَلْ لِجِنْسِكُمْ مِنَ النُّبُوَّةِ — وَمِنْ زَكَاءِ النَّبْتِ وَالْبُنُوَّةِ

16. وَمِنْ سُمُوِّ الرِّيحِ وَالضَّمِيرِ — وَمِنْ رُقِيِّ الْفِكْرِ وَالتَّفْكِيرِ

17. بَعْضُ الَّذِي أَوْرَثَنَا الْخَلِيلُ — وَنَسْلُهُ الْمُبَارَكُ الْجَلِيلُ

18. وَهَلْ لَكُمْ مَا شَادَ إِسْرَائِيلُ — وَمَا بَنَى لِلْحَقِّ إِسْمَاعِيلُ

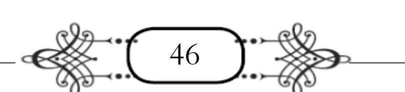
19. يَا غِرُّ، أَوْ يَا هِرُّ، إِنَّ الْهِرَّا — لَيْسَ يُخِيفُ اللَّيْثَ أَنْ أَهَرَّا(3)

---

(1)"أَبْلَج" أي واضح و"أَبْلَجه" أَوْضَحه. "يَحْلَجُ" مضارع "حَلَجَ"، وأقرب معانيه المناسبة هنا أنه بمعنى سار يسير، يقال: حَلَجَ القوم يَحْلجُونَ ليلتهم، إذا ساروها. (مقاييس اللغة2/96)

(2)"سَامٌ" أحد أبناء نوح عليه السلام الثلاثة، والآخران هما: "حَامٌ" و"يَافِثُ"، وكان من نسل **"سام"** إبراهيم عليه السلام، وابنيه إسماعيل عليه السلام جد العرب، وإسحاق عليه السلام جد بني إسرائيل، وأما الإفرنج، وهم الأروبيون، فينتسبون إلى يافث. (أخبار الزمان ص:109، البداية والنهاية1/130).

(3)"هَرَّ" الكلب "يَهِرّ هَرِيرا"، وهو دون النباح، و"أَهَرَّه" جعله يهرّ، وفي المثل: "شَرّ أهَرَّ ذَا نَاب" (المحكم 4/97)





20. يَا غِرُّ إِنَّ الْمَجْدَ لَا يُجْتَلَبُ بِذَمِّكَ الْغَيْرَ وَلَا يُسْتَلَبُ

21. يَا غِرُّ لَوْ مَجَّدْتَ قَوْمَكَ بِمَا فِيهِمْ وَلَمْ تَزِدْ لَكَانَ أَسْلَمَا

22. وَلَمْ تَجِدْ مَنْ يَنْقُدُ الْكِتَابَا أَوْ يَقْتَضِيكَ اللَّوْمَ وَالْعِتَابَا

23. لَكِنْ عَدَوْتَ طَوْرَكَ الْمَحْدُودَا وَقُلْتَ قَوْلًا مُفْتَرًى مَرْدُودَا

24. فَلَا تَلُمْ إِذَا انْبَرَتْ أَقْلَامُ لِلْحَرْبِ وَالْمَوْتُورُ لَا يُلَامُ

25. وَمَنْ رَمَى النَّاسَ بِغَيْرِ حَقِّ رَمَوْهُ بِالْحَقِّ وَغَيْرِ الْحَقِّ

26. وَمَنْ أَصَابَ مِنْهُمُو أُصِيبَا وَكَانَ يَوْمُ الْمُلْتَقَى عَصِيبَا

27. وَمَنْ يَحُطُّ مَنْ يَشَا وَيَصْنَعُ كَمَا يَشَا فَالدَّهْرُ لَيْسَ يَخْضَعُ

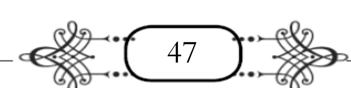
28. قَدْ قُلْتَ فَاسْمَعْ مَا يُقَالُ فِيكَا رَدًّا وَدَحْضًا وَالثَّرَى بِفِيكَا

29. وَإِنَّ كَلْبَ السُّوءِ قَدْ يَجُرُّ لِقَوْمِهِ الْبَلْوَى بِمَا يَجُرُّ

30. نَغَارُ عَنْ أَحْسَابِنَا أَنْ تُمْتَهَنْ وَالْحُرُّ عَنْ مَجْدِ الْجُدُودِ مُؤْتَمَنْ

31. أَنْكَرْتَ فَضْلَ الْعُرْبِ فِيمَا ابْتَكَرُوا مِنْ صَالِحَاتٍ شَأْنُهَا لَا يُنْكَرُ

32. أَنْكَرْتَ مَا شَادُوهُ لِلْحَضَارَةِ وَمَا كَسَوْهَا مِنْ حُلَى النَّضَارَةِ



توضيح:

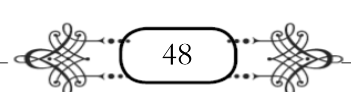
ليس بين أيدينا ما يبين من يكون هذا المستشرق، ولكن ذكر أحمد الإبراهيمي في تعليقه أنه يُرَجّح أن يكون "ألْفْرِدْ بِل Alfred bel" الذي أشار إليه الإمام في تعليقه على كتاب "السعادة الأبدية للشيخ أبي مدين"(1)، وهذا الكتاب لـ"محمد حميدو" المدرس بالمدارس الدولية التابعة للحكومة الاستعمارية، ألفه تقربا وتزلفا للطرقية وللمصالح الاستعمارية، ولهذا شحنه بما يحب هؤلاء من النبز والطعن في المصلحين، وأنهم ينكرون كرامات الصالحين كالشيخ أبي مدين، وهذا من الكذب عليهم، ويلخص الإبراهيمي حالة المصلحين وهؤلاء الطرقيين بقوله:

"اعلموا يا هؤلاءِ، أننا لا ننكر الكرامات، بمعنى أننا نقول: إنها لا تقع، ولم تقع، ولن تقع، لا، فنحن أعقل من أن نقول هذا، وإنما ننكر افتتانكم بها، وغلوكم فيها إلى هذا الحد الذي شغلكم عن الاقتداء بالصالحين في الصالحات، وننكر على من غشكم بها فألهاكم بما لا ينفع عما ينفع، وننكر على الجاهلين الذين لا يفرقون بين ما يمكن وقوعه وما لا يمكن وقوعه".

ثم يفتح الشيخ النار على ذلك المستشرق المذكور وأن هذا العمل من إيحائه، وأنه يستغل سذاجة وسخافة وجهل الطرقيين للتوصل بذلك إلى تشويه الإسلام، فيقول الإبراهيمي عنه:

"هو رجل له دعوى في الاستشراق، وتطفل على موائد المستشرقين، وله اشتغال بالمباحث الإسلامية، وبالأخص الدين والعادات، وهو يتناول هذه المباحث

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي212/1.





بعقل مريض، ونفس مملوءة حقدا على الإسلام، وغايته من كل أعماله **تصوير الإسلام للأوروبيين تصويرا مشوها قبيحا**، وحمل الجاهلين منهم بحقائقه **على اعتقاد أن الإسلام هو هذه المظاهر السخيفة التي يقوم بها الطرقيون**، ثم وجد من ضباع الطرقيين مطية ذلولا لبلوغ غايته تلك، فقد أوحى إليهم-بعد أن اشترى ضمائرهم "بزردة" وضمائر الطرقيين في بطونهم- أن يجتمعوا لميقات يوم معلوم في صعيد واحد على اختلاف نحلهم، ويُمَثِّلوا بغاية الدقة أمام آلة التصوير السينمائي كل ما في الطرق من مهازلَ ومخازٍ على أنها شعائر إسلامية- كما يقول الحافظي[1]- ففعلوا، ولاعبت السفافيدُ[2] البطونَ، ولعبت الأشداق[3] بقطع الزجاج وأوراق الهندي الشائكة[4]، وخرجت الحيات والأفاعى من أَسْفَاطها[5] لتزين هذا المشهد الإسلامي ولا تنس- فإن القوم لم ينسوا- الأعلام المرفرفة والبنادير المهفهفة، والشارات المختلفة، والكر والايجاف، والرقص والارتجاف، كل ذلك، والآلة المصورة لا تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا سجلتها، وخرج من كل ذلك فيلم سينمائي محبوك ليعرض على العالم المتمدن مكتوبا

---

(1)الحافظي: هو رئيس جمعية الطرقيين في الماضي.

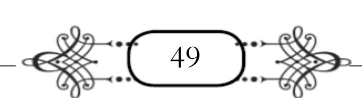
(2)"سَّفَافِيد" ج: "سَفُّودُ" و"سُفُّود" بالتشديد، حديدة ذات شعب يشوى بها اللحم. (لسان العرب 218/3)

(3)"أَشْدَاق" ج: "شِدْق" وهو جانب الفم.

(4)يعني "الكرموس" وهو معروف.

(5)"أَسْفَاط" ج: "سَفَطُ" بفتح السين والفاء، شيء كالقفة.

وفي هذه الأشياء التي ذكرها إشارة إلى الأعمال الشيطانية التي يقوم بها هؤلاء، ويزعمون أنها من الكرامات.





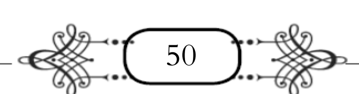
عليه: **"هذا هو الإسلام"** ولم ينقص من كماله إلا أن السينما لم تكن ناطقة إذ ذاك، ولولا ذلك لسجلت الأذكار، والآهات والشخرات والنخرات ولتشرفت عواصم الحضارة بسماع **"والشبليكو يا إلهي"**[1].

ونحن لا نقول في هذا الفيلم إلا أنه فضيحة مسجلة، ولا نلوم هذا المدير المستشرق على عمله هذا؛ لأنه عمله الذي خلق له، ووقف نفسه عليه، **وإنما نعد هذا العمل من أوزار الطرقية الآثمة، ومصائبها على الإسلام،** ولو لم يكن هؤلاء الطرقيون محسوبين علينا، ولم يكن إفكهم محسوبا عند أمثال هذا المدير على ديننا، لما زاد اهتمامنا بهم على اهتمامنا بمستشرق جاهل نرد خطأه في العلم، ولا نقوم زيغه في العقيدة، ولكن القوم محسوبون علينا كرها بطبولهم، ومزاميرهم، وزجاجهم، ومساميرهم، وسبحهم، وأعلامهم، وأنصابهم، وأزلامهم، وهيهات أن نسكت عنهم حتى نصفي معهم الحساب، ونميز القشر من اللباب.

علمنا كل هذا، وعلمنا أن هذا المدير المتقاعد المستشرق لا يزال مغيظا محنقا على الإصلاح، ولا يزال يعظ الطرقيين بتلمسان ويذكرهم خالصا مخلصا بلزوم التمسك بالعوائد الإسلامية، وبلزوم المحافظة على **"البردة"** وملحقاتها في الجنائز، كل ذلك لمحبته في الإسلام والمسلمين ولمحافظته على الآثار، فلم نرتب في أن للرجل أثرا في كتاب السعادة الأبدية.

---

(1)*أخبرنا بعض مصلحي تلمسان أن للعيساوية ذكرا مخصوصا يقولون فيه: "والغزالي يا إلهي"، "والشبلي يا إلهي" وانهم يحرفون كلمة "الشبلي" فيقولون: "والشبليكو" وهكذا يحفظها الأتباع على الأشياخ، وسبحان من طبع على قلوبهم.



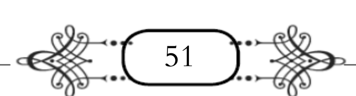





قضايا العلم والتعليم والعلماء













العلم والتعليم

"الأمية بمعناها اللغوي العرفي وهو الجهل بالقراءة والكتابة، مرض فتاك، ونقيصة مجتاحة، ورذيلة فاضحة، وشلل وزمانة في جسم الأمة التي تبتلى بها... وأكبر جناية تجنيها الأمية على الأمم هي القضاء على التفكير، والتفكير هو المعيار الذي توزن به القيم العقلية في الأمة سموا وإسفافا.

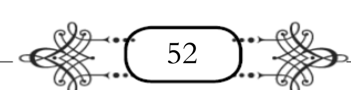
(الآثار 202/1)

"الثورة التعليمية التي أحدثها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية والتربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه، والتعاليم الحقة التي كان يبثها في نفوسهم الطاهرة النقية، والإعداد البعيد المدى الذي كان يغذي به أرواحهم الوثابة الفتية. فما كادت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذ ابن باديس مستكمل الأدوات من فكر صحيحة وعقول نيرة ونفوس طامحة، وعزائم صادقة، وألسن صقيلة، وأقلام كاتبة. وتلك الكتائب الأولى من تلاميذ ابن باديس هي طلائع العهد الجديد الزاهر"

(الآثار 181/1)













العلماء

"إن مثل العلماء العاملين المصلحين كمثل الماء المعين؛ هذا يسوقه الله إلى الأرض الجرز فتهتز بعد همود، وتربو بعد جمود، فتنبت ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأولئك يبعثهم الله في أمتهم فيؤذنون فيها فتستيقظ بعد رقود، وتتحرك بعد ركود، وتنهض بعد قعود، وتنشط بعد خمود، وترشد بعد غواية، وتتآلف بعد تخالف، وتتعارف بعد تناكر، وتتصالح بعد تدابر، وتنسجم بعد تنافر، وتتوحد بعد تفرق، وتلتئم بعد تمزق، وتتخلق بعد انحلال، وتنتظم بعد اختلال، وتصح بعد اعتلال، وتهتدي بعد ضلال. وتتذكر بعد نسيان، وتتآخى بعد عدوان"

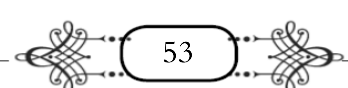
(الآثار 25/1)

"نحن لا نعترف بالعلم لهذا الصنف المتهافت على أبواب الزوايا المتعيش من فضلاتها، ويأبى لنا شرف العلم أن يكون هؤلاء المسلوبو الإرادة، الفاقدو الاستقلال في العلم نظراءنا في المناظرة، لأننا بلوناهم في العمل فوجدناهم جبناء، وبلوناهم في العلم فوجدناهم يحكمون الهوى ولا يحكمون الدليل، وبلوناهم في الكتابة فوجدنا أمثلهم يسمي البدع المنكرة عوائد دينية"

(الآثار 302/1)











يا طالب[1][السَّرِيع]

1. لَا تَأْسَ بَعْدَ الْيَوْمِ "يَا طَالِبُ" فَالْعِلْمُ غَالٍ شَأْنُهُ غَالِبُ
2. أَنْتَ بِعَيْنِ الرَّعْيِ فِي أُمَّةٍ قَدْ جَلَبَ الْخَيْرَ لَهَا جَالِبُ
3. تَبَوَّإِ الدَّارَ وَعُذْ بِالْحِمَى لَا ضُرَّ بَعْدَ الْيَوْمِ يَا طَالِبُ

إنْ أَرَدتَّ [أن تكون كاتبا أو شاعرا][2][مجزوء الرمل]

1. إِنْ أَرَدْتَ الدَّهْرَ تَغْدُو كَاتِبًا يَعْلُو وَيُعْلَى
2. ثُمَّ تَغْدُو صَحَفِيًّا[3] مِنْ ذَوِي الْأَهْرَامِ أَعْلَى
3. لَا تَخَفْ فَالْأَمْرُ سَهْلٌ[4] مُمْكِنٌ صُنْعًا وَجَعْلَا

---

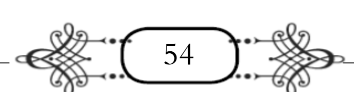
(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي2/455.

(2)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي4/410.

(3)"صَحَفِيّ" بفتحتين، نسبة إلى "صحيفة" وهو الذي يخطئ في قراءة الصحيفة، ويطلق اليوم على من يشتغل في الجرائد ونحوها. قال في القاموس(ص:826): وبضمتين لحن.

(4)سهولة الأمر في أن يصبح المرء كاتبا رفيع المقام متعلقة بالواقع الذي صوَّره الناظم، القائم على التضليل وقلب الحقائق، لا في نفس الأمر، فكون المرء كاتبا مبرزا دونه خرط القتاد، وقديما قال ابن قتيبة(أدب الكاتب ص:10): رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطأوا مركب العجز، وأعفوا أنفسهم من كد النظر، وقلوبهم من تعب التفكر، حين نالوا الدرك بغير سبب، وبلغوا البغية بغير آلة.اهـ

رحم الله ابن قتيبة ما عساه يقول لو رأى كثيرا من أهل زماننا ممن يُسمى كاتبت وأديبا وشاعرا.





4. قُمْ فَدَجِّلْ ثُمَّ ضَلِّلْ وَاجْعَلِ الْمَرْأَةَ بَعْلَا
5. وَاجْعَلِ الْكُنْيَةَ صَوْنًا لِامْرِئٍ قَدْ سَاءَ فِعْلَا
6. فَلَكَمْ غَطَّتْ سَخِيفًا وَلَوْ أَنَّ الِاسْمَ يُعْلَى
7. وَامْنَحِ الطَّابِعَ أَجْرًا وَامْنَحِ الْكَاتِبَ جَعْلَا
8. وَاجْعَلِ الْعُنْوَانَ تَاجًا وَاجْعَلِ الْإِمْضَاءَ نَعْلَا
9. وَامْلَإِ الْجِسْمَ هَوَاءً وَفَــقَاقِــيــعَ وَسَــعْــلَا
10. وَاجْعَلِ الْخَادِعَ بَرًّا وَاجْعَلِ الْأَسْفَلَ أَعْلَى
11. وَادْعُ بِالْخَيْرِ لِحَيٍّ ضَمَّ ذَكْوَانَ وَرِعْلَا[1]
12. فَإِذَا أَنْتَ بِهَذَا كَاتِبٌ قَوْلًا وَفِعْلَا
13. وَإِذَا بَحَّ حِمَارٌ دَعْ "نَعَمْ" دَأْبًا وَدَعْ "لَا"[2]

---

(1)"ذَكْوَان وَرِعْل" حيَّان من أحياء العرب، غدروا بسبعين صحابيا وقتلوهم، وذلك في غزوة الرجيع، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ، اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ كُنَّا نُسَمِّيهِمْ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ. (رواه البخاري105/5 ومسلم468/1)

(2)"الدَأْب" العادة، أي اجعل عادتك دائما قول نعم، ووافق المتكلم وإن كان حمارا، وإياك أن تقول: "لا" فتخسر منزلتك ووصفك بالكاتب.






14. إنْ أَرَدْتَ الدَّهْرَ تَغْدُو … شَاعِرًا يَرْعَى وُيرْعَى

15. فَاجْعَلِ الْأَلْفَاظَ أَصْلًا … وَالْمَعَانِي الْغُرِّ فَرْعَا

16. وَاجْعَلِ السُّخْفَ مِجَنًّا … وَالْخَنَا تُرْسًا وَدِرْعَا[1]

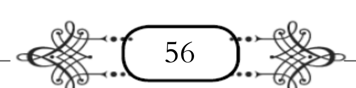
17. وَإِذَا نَـابَـكَ نَـقْـدٌ … لَا تَضِقْ بِالنَّقْدِ ذَرْعَا

18. إَنَّـمَا الـنَّاسُ سَـوَامٌ[2] … فِي مَرَاعِي الِجَهْلِ صَرْعَى

---

(1)"المِجَنّ" و"التُرْس" و"الدِرْع" بمعنى، والمراد أنه يتخذ السخافة والخنا الذي هو البذاءة والفحش غطاء يستتر وراءه، كما هو مشاهد عند كثير ممن ينتسب للأدب والشعر، فتجد الواحد منهم يُكرَّم ويُحتفى به في المحافل الدولية، ويتوج بالألقاب الكبيرة، وهو عري من الأدب بنوعيه –أدب النفس وأدب الدرس– وما ذلك إلا لرواج بضاعة هؤلاء في عصر السخافة والركاكة والانحطاط العلمي والخلقي.

(2)"السَوَام" ما يرعى من البهائم في الفلوات، يقال "سَامَت، تَسُومُ، سَوْما" إذا رعت حيث شاءت. (تهذيب اللغة 75/13)





كليّة الأعظمي[1] [العبرة بالحقائق لا بالأسماء][2][الرجز]

1. غَيْرِي تَرَاهُ قَانِعًا غَيْرَ ظَمِي[3] لِلْعَمَلِ الْمُرَتَّبِ الْمُنَظَّمِ
2. أَمَّا أَنَا فَلَوْ هَشَمْتَ أَعْظُمِي لَمْ أَسْتَسِغْ صُنْعَ أَخِينَا الْأَعْظَمِي
3. وَمَنْ يُسِيغُ خَرْدَلًا بِالْخَلِّ؟
4. يَا عِبْرَةً غَطَّتْ عَلَى كُلِّ الْعِبَرْ الْمُبْتَدَا مِنْ فِعْلِهِ صَارَ الْخَبَرْ
5. وَلَوْ جَرَتْ أَحْكَامُهُ عَلَى الْإِبَرْ صَيَّرَهَا مِثْلَ الصَّوَارِي فِي الْكِبَرْ
6. وَقَالَ لِلنَّاسِ اقْعُدُوا فِي الظِّلِّ
7. مَدْرَسَةٌ حَبَتْ خُطًى وَمَا مَشَتْ صَوَّرَهَا كُلِّيَّةً فَانْتَفَشَتْ
8. وَلَوْ دَعَاهَا مَعْهَدًا لَانْتَعَشَتْ وَانْصَرَفَتْ لَهَا الْعُيُونُ وَعَشَتْ
9. وَأَصْبَحَتْ أَهْلًا لِحَمْلِ الْكَلِّ

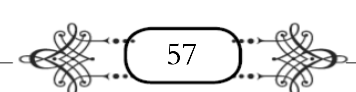
---

(1)محمد حسن الأعظمي، مؤسس وعميد كلية اللغة العربية بكراتشي–باكستان، وقد وصفه الإبراهيمي بقوله(الآثار52/4): هو رجل نشيط في أعماله، وممن يحسنون العربية فهما وكتابة، وقد جاور في الأزهر سنوات، ومازج الأدباء والكتاب.

(2)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي402/4.

(3)"ظَمِئ" فهو "ظَمِئٌ" و"ظمآن" أي عطشان.

والمقصود أن غيره كانوا راضين بصنيع الأعظمي، وأما هو فلم يعجبه صنيعه، فهو يرى بنظر ثاقب إلى حقائق الأمور لا إلى مجرد الأسماء. وقد بيّن الإبراهيمي هذا المعنى بقوله (الآثار53/4): وقد انتقدتُ عليه تسمية هذه المدرسة بالكلية، لأنها لم ترق إلى هذه الدرجة، وإنما اسمها الصحيح معهد اللغة العربية، وأن التساهل في الأسماء كالتساهل في الأفعال كلاهما قبيح وكلاهما يحدث سوء القدوة، وما أحقنا بالتزام الواقع واحترامه وتسمية الأشياء بأسمائها، وأن الاسم كالثوب، إن قصر شان، وان طال شان.





10. لَا تَعْظُمُ الْأَشْيَاءُ بِالْأَسْمَاءِ وَلَا يُقَاسُ النُّورُ بِالظَّلْمَاءِ
11. إِنَّ سَرَابَ الْبِيدِ غَيْرُ الْمَاءِ وَإِنْ دَعَوْتَ النَّهْرَ بِالدَّأْمَاءِ (1)
12. جَعَلْتَ كُلَّ عَائِبٍ فِي حِلِّ
13. فَكُنْ حَكِيمًا صَادِقًا فِي الْوَصْفِ وَكُنْ صَنَاعًا(2) مَاهِرًا فِي الرَّصْفِ
14. وَلَا تُسَوِّ ثَمَرًا بِالْعَصْفِ (3) فَالْحُكْمُ لِلشَّيْءِ بِحُكْمِ النِّصْفِ
15. كَالْحُكْمِ لِلْجُزْءِ بِحُكْمِ الْكُلِّ
16. كِلَاهُمَا غِشٌّ وَأَيُّ غِشِّ يَنْفَحُ أَهْلِيهِ بِرِيحِ الْحُشِّ (4)
17. وَيُورِدُ الظَّمْآنَ رَشْحَ النَّشِّ (5) يَا مَنْ وَصَفْتَ جَلْمَدًا بِالْهَشِّ
18. اِنْطَحْهُ يَشْهَدْ عُمْرَكَ الْمُوَلِّي

---

(1)"الْبِيد" جمع "الْبَيْدَاء" أي الفلاة. و"الدَأْماءُ" البحر، على "فَعْلاء" قال الأفوهُ الأوديّ (الصحاح 1917/5):

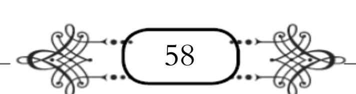
وَاللَّيْلُ كَالدَّأْمَاءِ مُسْتَشْعِرٌ مِنْ دُونِهِ لَوْنًا كَلَوْنِ السَّدُوسِ

(2)"الصَنَاع" المرأة الحاذقة في عملها، ورجل "صَنَعٌ"، هكذا فيما بين يديّ من المصادر.

(3)"الْعَصْف" التبن.

(4)"الْحُشّ" مثلث الحاء: "البستان"، ويطلق على مكان قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين. (القاموس المحيط ص:590)

(5)"الرَشْح" الندى يبدو من الشيء كالعرق، و"النَّشّ" نضوب الماء وذهابه، يقال: "نَشَّ" الغدير "يَنِشُّ، نَشًّا ونَشِيشًا" يبس ماؤها ونضب. (لسان العرب353/6)





إلى علماء نجد[1] [الرَّجَز]

1. إِنَّا إِذَا مَا لَيْلُ نَجْدٍ عَسْعَسَا ... وَغَرَبَتْ هَذِي الجَوارِي خُنَّسَا[2]
2. وَالصُّبْحُ عَنْ ضِيَائِهِ تَنَفَّسَا ... قُمْنَا نُؤَدِّي الوَاجِبَ الْمُقَدَّسَا
3. وَنَقْطَعُ اليَوْمَ نُنَاجِي الطُّرُسَا[3] ... وَنَنْتَحِي بَعْدَ العِشَاءِ مَجْلِسَا
4. مُوَطَّدًا عَلَى التُّقَى مُؤَسَّسَا ... فِي شِيخَةٍ[4] حَدِيثُهُمْ يَجْلُو الأَسَى
5. وَعِلمُهُمْ غَيْثٌ يُغَادِي الجُلَسَا ... كَأَنَّنَا شَرْبٌ[5] يَحُثُّ الأَكْؤُسَا
6. مِنْ خَمْرَةِ الآدَابِ عَبًّا وَاحتِسَا ... خَلَائِقٌ زُهْرٌ تُنِيرُ الغَلَسَا[6]
7. وَهِمَمٌ غُرٌّ تَعَافُ الدَّنَسَا ... وَذِمَمٌ طُهْرٌ تُجَافِي النَّجَسَا
8. يُحْيُونَ فِينَا مَالِكًا وَأَنَسَا ... وَالْأَحْمَدَيْنِ وَالإِمَامَ الْمُؤْتَسَا[7]

---

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي126/4.

*وضع هوامش هذه الأرجوزة والتي تليها الأستاذ الشيخ الجيلالي الفارسي رحمه الله وهو من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين.

(2)*عسعس الليل: مضى، أظلم. الجواري: الكواكب السيارة. الخنس: الرواجع، ج خانس أي راجع.

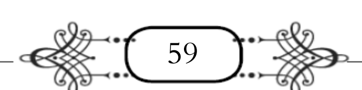
(3)*الطروس، ج. طِرْس: الصحيفة، والْمُراد بها الكتب، وحذف الواو للضرورة.

(4)*الشَيخة، ج. شيخ. الأسى: الحزن.

(5)*الشَّرْبُ، ج. شارب: كصحب وصاحب.

(6)*العَبُّ: الشرب بلا تنفس. الاحتساء: الشرب شيئًا بعد شيء. الغَلَسُ: ظُلْمَةُ آخر الليل.

(7)*يريد بالأحمدين: الإمام أحمد بن حنبل والإمام تقي الدين أحمد بن تيمية، والإمام المؤتسى هو الإمام محمد ابن عبد الوهاب. المؤتَسى: المقتدى به.





9. قَدْ لَبِسُوا مِنْ هَدْيِ طَهَ مَلبَسَا ضَافٍ عَلَى العَقْلِ يَفُوقُ السُّنْدُسَا(1)

10. فَسَمْتُهُمْ مِنْ سَمْتِهِ قَدْ قُبِسَا وَعِلمُهُمْ مِنْ وَحْيِهِ تَبَجَّسَا (2)

11. بُورِكْتِ يَا أَرْضًا بِهَا الدِّينُ رَسَا وَأَمِنَتْ آثارُهُ أَنْ تَدْرُسَا

12. وَالشِّرْكُ فِي كُلِّ البِلَادِ عَرَّسَا(3) جَذْلَانَ يَتْلُو كُتْبَهُ مُدَرِّسَا

13. مُصَاوِلًا مُوَاثِبًا مُفْتَرِسَا حَتَّى إِذَا مَا جَاءَ جَلْسًا(4) جَلَسَا

14. مُنْكَمِشًا مُنْخَذِلًا مُقْعَنْسِسَا (5) مُبَصْبِصًا قِيلَ لَهُ اخْسَأْ فَخَسَا

15. شَيْطَانُهُ بَعْدَ العُرَامِ خَنَسَا لَمَّا رَأَى إِبْلِيسَهُ قَدْ أَبْلَسَا (6)

16. وَنُكِّسَتْ رَايَاتُهُ فَانْتَكَسَا وَقَامَ فِي أَتْبَاعِهِ مُبْتَئِسَا

17. مُخَافِتًا مِنْ صَوْتِهِ مُحْتَرِسَا وَقَالَ إِنَّ شَيْخَكُمْ قَدْ يَئِسَا

18. مِنْ بَلَدٍ فِيهَا الهُدَى قَدْ رَأَسَا وَمَعْلَمُ الشِّرْكِ بِهَا قَدْ طُمِسَا

19. وَمَعْهَدُ العِلمِ بِهَا قَدْ أُسِّسَا وَمَنْهَلُ التَّوْحِيدِ فِيهَا انْبَجَسَا (7)

20. إِنِّي رَأَيْتُ وَالحِجَى لَنْ يُبْخَسَا شُهْبًا عَلَى آفَاقِهِ وَحَرَسَا

---

(1)*السندس: نوع من الحرير.

(2)*السمت: هيئة أهل الخير. تبجّس: تفجر.

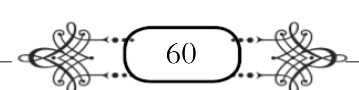
(3)*عرّس بالمكان: نزل به لاستراحة من السفر والمراد هنا أقام.

(4)*جلس: بلاد نجد، قاله في القاموس. (القاموس المحيط ص:536)

(5)*المقعنسس: من خرج صدره ودخل ظهره. بصبص الكلب: حرّك ذنبه. اخسأْ: اذْهَبْ؛ أُبْعُدْ.

(6)*العُرام: الشراسة والأذى. أَبْلَسَ: يئس.

(7)*انبجس: انفجر.





21. فَطَاوِلُوا الخَلفَ وَمُدُّوا الْمَرَسَا[1] وَجَاذِبُوهُمْ إِنْ أَلَانُوا الْمَلمَسَا
22. لَا تَيْأَسُوا وَإِنْ يَئِسْتُ فَعَسَى أَنْ تَبْلُغُوا بِالحِيلَةِ الْمُلتَمَسَا
23. وَلَبِّسُوا إِنَّ أَبَاكُمْ لَبَّسَا حَتَّى يَرَوْا ضَوْءَ النَّهَارِ حِنْدِسَا[2]
24. وَالطَّامِيَاتِ[3] الزَّاخِراتِ يَبَسَا وَجَنِّدُوا جُنْدًا يَحُوطُ الْمَحْرَسَا
25. مَنْ هَمُّهُ فِي اليَوْمِ أَكْلٌ وَكِسَا وَهَمُّهُ بِاللَّيْل خَمْرٌ وَنِسَا
26. وَفِيهِمُ حَظٌّ لَكُمْ مَا وُكِسَا[4] وَمَنْ يَجِدْ تُرْبًا وَمَاءً غَرَسَا
27. تَجَسَّسُوا عَنْهُمْ فَمَنْ تَجَسَّسَا تَتَبَّعَ الخَطْوَ وَأَحْصَى النَّفَسَا
28. تَدَسَّسُوا فِيهِمْ فَمَنْ تَدَسَّسَا[5] دَانَ لَهُ الحَظُّ القَصِيُّ مُسْلِسَا
29. وَأَوْضِعُوا[6] خِلَالَهُمْ زَكًى خَسَا وَاخْتَلِسُوا فَمَنْ أَضَاعَ الخُلَسَا
30. تَلقَوْنَهُ فِي الأُخْرَيَاتِ مُفْلِسَا أَفْدِي بِرُوحِي التَّيِّهَانَ الشَّكِسَا[7]

---

(1)*الْمَرَسُ، ج. مَرَسَةٍ: الحبل- فالمرس: الحبال.

(2)*الحِنْدِسُ: الظلمة، ج. حنادس.

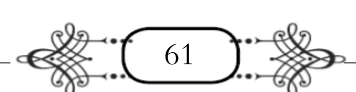
(3)*الطاميات: الممتلئات. الزاخرات: المرتفعات، وهما وصفان لموصوف محذوف تقديره: والبحار الطاميات الخ. المحرس: مكان الحراسة، وأراد به الشخص المحروس مجازًا من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه، وقد أبدل منه قوله: مَنْ همه الخ.

(4)*الوَكْس: النقص، ما وكس: ما نقص.

(5)*دسّ عليه وتَدَسَّسَ: أعمل المكر فيه.

(6)*أوْضَعَ: أسرع. الزَّكا: العَدَدُ الزوجُ. الخَسَا: العَدَدُ الفردُ.

(7)*التيهان: المتكبر. الشكس: الصعب الخلق.





31. يَغْدُو بِكُلِّ حَمْأَةٍ [1] مُرْتَكِسَا وَمَنْ يَرَى الْمَسْجِدَ فِيهِمْ مَحْبِسَا

32. وَمَنْ يُدِيلُ بِالأَذَانِ الجَرَسَا وَمَنْ يَعُبُّ [2] الخَمْرَ حَتَّى يَخْرَسَا

33. وَمَنْ يُحِبُّ الزَّمْرَ صُبْحًا وَمَسَا وَمَنْ يَخُبُّ فِي الْمَعَاصِي مُوعِسَا[3]

34. وَمَنْ يَشِبُّ طِرْمِذَانًا [4] شَرِسَا وَمَنْ يُقِيمُ لِلمَخَازِي عُرُسَا

35. يَا عُمَرَ الحَقِّ وُقِيتَ الأَبْؤُسَا وَلَا لَقِيتَ مَا بَقِيتَ الأَنْحُسَا [5]

36. لَكَ الرِّضَى إِنَّ الشَّبَابَ انْتَكَسَا وَانْتَابَهُ دَاءٌ يُحَاكِي الهَوَسَا [6]

37. وَانْعَكَسَتْ أَفْكَارُهُ فَانْعَكَسَا وَفُتِحَتْ لَهُ الكُوَى فَأَسْلَسَا [7]

38. فَإِنْ أَبَتْ نَجْدٌ فَلَا تَأْبَى الحَسَا[8] فَاقْسُ عَلَى أَشْرَارِهِمْ كَمَا قَسَا

---

(1)*الحَمْأة: الطين الأسود، والمراد بها: الرذائل والأوساخ. المرتكس: المنتكس المنغمس.

(2)*يَعُبُّ: يشرب بلا تنفس.

(3)*يَخُب: يهرول. مُوعِس: سارَ في الرمل.

(4)*الطَرِمِذَانُ: المباهي، المفاخر.

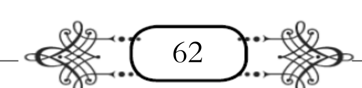
(5)*الأبؤُس، ج. بؤس: الشدة والفقر. الأنحُس، ج نحس: ضد السعد.اهـ

و"عمر" هو فضيلة الشيخ: عمر بن حسن، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية، وفي الآثار للإبراهيمي (224/5) رسالة أرسلها إليه يحثه فيها بأمر أغنياء السعودية بمساندة الثورة الجزائرية بأموالهم.

(6)*الهَوَسُ: ضرب من الجنون.

(7)*أسْلس: انقاد.

(8)*الحسا: بَلَدٌ بنجد.





39. سَمِيُّكَ الفَارُوقُ فَالدِّينُ أُسَى   نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ الفَتَى وَمَا أَسَا[1]
40. غَرَّبَهُ إِذْ هَتَفَتْ بِهِ النِّسَا   وَلَا تبَالِ عَاتِبًا تَغَطْرَسَا
41. أَوْ ذَا خَبَالٍ لِلخنَا تَحَمَّسَا   أَوْ ذَا سُعَارٍ بِالزِّنَى تَمَرَّسَا[2]
42. شَيْطَانُهُ بِالْمُنْدِيَاتِ[3] وَسْوَسَا   وَلَا تُشَمِّتْ مِنْهُمُ مَنْ عَطَسَا
43. وَلَا تَقِفْ بِقَبْرِهِ إِنْ رُمِسَا   وَلَا تَثِقْ بِفَاسِقٍ تَطَيْلَسَا
44. فَإِنَّ فِي بُرْدَيْهِ ذِئْبًا أَطْلَسَا   وَإِنْ تَرَاءَ مُخْفِيًا مُقَلنِسَا
45. فَسَلْ بِهِ ذَا الطُّفْيَتَيْنِ الأَمْلَسَا   تَأَمْرَكَ الْمَلعُونُ أَوْ تَفَرْنَسَا[4]
46. يَا شَيْبَةَ الحَمْدِ رَئِيسَ الرُّؤَسَا   وَوَاحِدَ العَصْرِ الهُمَامَ الكَيِّسَا
47. وَمُفْتِيَ الدِّينِ الَّذِي إِنْ نَبَسَا   حَسِبْتَ فِي بُرْدَتِهِ شَيْخَ نَسَا[5]

---

(1)*الأُسَى، ج. أسوة: وهي القدوة. نصر بن حجاج الخ. يشير إلى قصة عُمر رضي الله عنه مع هذا الشاب الجميل الذي فتن الحسناوات بجماله، فقد رُوي أن عمر بن الخطاب كان ذات ليلة يعُسُّ بالمدينة المنورة فسمع امرأة تقول:

أَلَا سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا   أَمْ لَا سَبيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاج

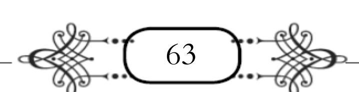
فلمَّا أصبح استدعاه، فإذا هو أصبحُ الناس وجهًا وأحسنُهم شَعرا، فأمر بقص شعره فبدا حسنه، فأمر أن يُعْتَمَّ فازداد حسنًا، فقال عمر: والله لا يقيم بأرض أنا فيها، وأمر له بما يُصلحه وسيَّره إلى البصرة.

(2)*الخبال: الفساد. الخَنَا: الفُحْشُ. السُّعار: الحرُّ، شدة الجوع والعطش.

(3)*الْمُنْدِيات، ج. مُنْدِيةٍ: الكلمة القبيحة يندى لها الجبين حياءً.

(4)*ذو الطفيتين: نوع من الحيات الخبيثة. تأمرك: صار أمريكيًا. تفرنس: صار فرنسيًا.

(5)*شيخ نسا: يريد الإمام النسائي صاحب السنن (215 - 303هـ).





48. رَاوِي الأَحَادِيثِ مُتُونًا سُلَّسَا غُرًّا إِذَا الرَّاوِي افْتَرَى أَوْ دَلَّسَا
49. وَصَادِقَ الحَدْسِ إِذَا مَا حَدَسَا وَمُوقِنَ الظَّنِّ إِذَا تَفَرَّسَا
50. وَصَادِعًا بِالحَقِّ حِينَ هَمَسَا بِهِ الْمُرِيبُ خَائِفًا مُخْتَلِسَا
51. وَفَارِسًا بِالْمَعْنَيَيْنِ اقْتَبَسَا غَرَائِبًا مِنْهَا إِيَاسُ أَيِسَا
52. بِكَ اغْتَدَى رَبْعُ العُلُومِ مُونِسَا وَكَانَ قَبْلُ مُوحِشًا مُعَبِّسَا
53. ذَلَّلتَهَا قَسْرًا وَكَانَتْ شُمُسَا (1) فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ الزُّلَالِ الْمُحْتَسَا
54. فَتَحْتَ بِالعِلمِ عُيُونًا نُعَّسَا وَكَانَ جَدُّ العِلمِ جَدًّا (2) تَعِسَا
55. وَسُقْتَ لِلجَهْلِ الأُسَاةَ النُّطُسَا(3) وَكَانَ دَاءُ الجَهْلِ دَاءً نَجَسَا
56. رَمَى بِكَ الإِلحَادَ رَامٍ قَرْطَسَا(4) وَوَتَرَتْ يَدُ الإِلَهِ الأَقْوُسَا
57. وَجَدُّكَ الأَعْلَى(5) اقْتَرَى وَأَسَّسَا وَتَرَكَ التَّوْحِيدَ مَرْعِيَّ الوَسَا
58. حَتَّى إِذَا الشِّرْكُ دَجَا وَاسْتَحْلَسَا(6) لُحْتَ فَكُنْتَ فِي الدَّيَاجِي القَبَسَا

---

(1)*قسرًا: قهرًا. الشُّمُس، بضم الشين والميم، ج شَموس، بفتح الشين الفرس الصعب الذي لا يُمكِّن من الركوب.

(2)*الجَدّ، بالفتح: الحظ.

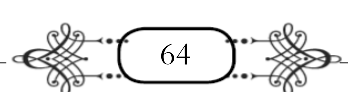
(3)*الأساة، ج. آس: الطبيب. النطس: الحذاق الماهرون.

(4)*قرطس: أصاب المرمى. وتر القوس: جعل لها وترًا، شَدَّ وترها، الأقوس: ج. قوس.

(5)*جدك الأعلى: لعله يريد به محمد بن عبد الوهاب.

*اقترى البلاد: تتبّعها وطاف فيها؛ الوَسَا: أراد الوسائل فحذف للضرورة.

(6)*دجا الليل: أظلم، استحلس: اشتدّ ظلامه.





59. وَلَمْ تَزَل تَفْرِي الفَرِيَّ[1] سَائِسَا حَتَّى غَدَا اللَّيْلُ نَهَارًا مُشْمِسَا
60. يَا دَاعِيًا مُنَاجِيًا مُغَلِّسَا [2] لَمْ تعْدُ نَهْجَ القَوْمِ بِرًّا وَائْتِسَا
61. إِذْ يُصْبِحُ الشَّهْمُ[3] نَشِيطًا مُسْلِسَا وَيُصْبِحُ الفَدْمُ كَسُولًا لَقِسَا
62. كَانَ الثَّرَى بَيْنَ الجُمُوعِ مُوبِسَا فَجِئْتَهُ بِالغَيْثِ حَتَّى أَوْعَسَا [4]
63. قُل لِلأُلَى قَادُوا الصُّفُوفَ سُوَّسَا خَلُّوا الطَّرِيقَ لِفَتًى مَا سَوَّسَا [5]
64. وَطَأْطِئُوا الهَامَ لَهُ وَالأَرْؤُسَا إِنَّ النَّفِيسَ لَا يُجَارِي الأَنْفَسَا
65. وَيَا رَعَى اللهُ سُعُودًا وَكَسَا دَوْلَتَهُ العِزَّ الْمَكِينَ الأَقْعَسَا [6]
66. أَحْيَى الْمُهَيْمِنُ بِهِ مَا انْدَرَسَا مِنَ الحُدُودِ أَوْ وَهَى وَانْطَمَسَا
67. وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ الْمَدَى[7] تَنَفَّسَا حَتَّى أَرَاهُ بَالِغًا أَنْدَلُسَا

---

(1)*يقال فلان يفري الفري: أي يأتي بالعجب في عمله؛ ومنه قوله تعالى "لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا" أي شيئًا يتَحَيَّرُ فيه ويُتَعَجَّبُ منه؛ وسائسًا: كلمة تمنا بها الشطرَ وليست من كلام الشيخ وهي مناسبة.

(2)*الغلس: ظلمة آخر الليل؛ أي داعيًا مناجيًا بالأسحار، البر: الخير والصلاح، الائتساء: الاقتداء.

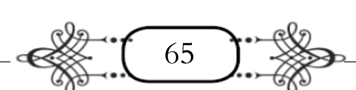
(3)*الشهم: السيد الذكي الفؤاد؛ المسلس: اللين السهل، الفدم: البليد العَيِيُ، اللَّقِس: الغث النفس خبيثها.

(4)*أوعس: صار سهلًا ليّنًا، والوعس: الرمل اللين الذي تسوخ فيه الأقدام.

(5)*الألى: الذين. سُوَّسَا، ج. سائس، وسوَّس الأخير: فعل ماض، يقال: سوّس الطعام: وقع فيه السوس، وتسويس الشخص: كِنايَة عن كبره وهرمه، يقول: خلوا الطريق لفتى لا يزال جلدًا قويًا لم يبلغ من الكبر عتيًا ولم ينخر السوس عظمه من الهرم.

(6)*الأقعس: الثابت المنيع.

(7)*المدى: الغاية والمنتهى. تنفس الصبح: أشرق وأضاء، وتنفس العمر: طال. يقول رحمه الله: أتمنى لو أن حياتي تطول حتى أرى ملكه قد بلغ الأندلس.





68. أَعْطَاهُ مُلكًا مِثْلُهُ لَمْ يُؤْنَسَا لَمْ يُعْطِهِ كِسْرَى وَلَا الْمُقَوْقِسَا
69. مِنْ دَوْحَةٍ غَرَسَهَا مَنْ غَرَسَا فَبَسَقَتْ فَرْعًا وَطَابَتْ مَغْرِسَا
70. لَاذَ بِهِ العُرْبُ فَوَاسَى وَأَسَا وَبَذَلَ الْمَالَ وَحَاطَ الأَنْفُسَا
71. غَيْثٌ إِذَا قَطْرُ السَّمَاءِ انْحَبَسَا لَيْثٌ إِذَا اللَّيْثُ انْثَنَى وَانْخَنَسَا(1)
72. وَأَيْنَ لَيْثٌ لِلْوُحُوشِ انْتَهَسَا(2) مِمَّنْ حَبَا الآلَافَ مَالًا وَكَسَا
73. وَقَاهُ رَبِّي كُلَّ مَا ضَرَّ وَسَا(3) وَدَامَ مَا قَرَّ ثَبِيرٌ وَرَسَا

تعليم البنت(4)[الرَّجَز]

1. قَدْ كُنْتُ فِي جِنِّ النَّشَاطِ وَالأَشَرْ(5) كَأَنَّنِي خَرَجْتُ عَنْ طَوْرِ البَشَرْ
2. وَكُنْتُ نَجْدِيَّ الهَوَى مِنَ الصِّغَرْ أَهِيمُ فِي بَدْرِ الدُّجَى إِذَا سَفَرْ
3. وَأَتْبَعُ الظَّبْيَ إِذَا الظَّبْيُ نَفَرْ أَنْظِمُ إِنْ هَبَّ نَسِيمٌ بِسَحَرْ
4. مَا رَقَّ مِنْ شِعْرِ الهَوَى وَمَا سَحَرْ وَأَقْطَعُ اللَّيْلَ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ
5. فِي جَمْعِ أَطْرَافِ العَشَايَا وَالبُكَرْ وَإِنْ هَوَى نَجْمُ الصَّبَاحِ وَانْكَدَرْ

(1)*انخنس: رجع.

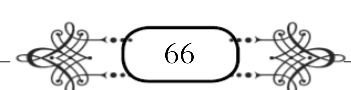
(2)*انتهس الليثُ: أخذ اللحم بمقدّم أسنانه؛ حبا: أعطى.

(3)*وسا: أصله وساء فقصره ضرورة؛ ثبير: اسم جبل.

(4)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي131/4.

*أرجوزة موجهة لبعض علماء نجد، استنهاضا لهم على تعليم البنت، واستئلافا لقلوبهم حتى تقبل بهذا الأمر المنكر في رأيهم.

(5)الأشر: المرح والتبختر والاختيال.





6. لَبَّيْتُ مَنْ أَعْلَى النِّدَاءَ وَابْتَدَرْ ثُمَّ ارْعَوَيْتُ بَعْدَ مَا نَادَى الكِبَرْ[1]

7. وَأَكَّدَتْ شُهُودُهُ صِدْقَ الخَبَرْ وَكَتَبَ الشَّيْبُ عَلَى الرَّأْسِ النُّذُرْ

8. بَاكَرَنِي فَكَانَ فِيهِ مُزْدَجَرْ فَلَسْتُ أَنْسَى فَضْلَهُ فِيمَا حَجَرْ[2]

9. وَلَسْتُ أَنْسَى وَصْلَهُ لِمَنْ هَجَرْ أَكْسَبَنِي مَا يُكْسِبُ الْمَاءُ الشَّجَرْ

10. حُسْنًا وظِلًّا وَلِحَاءً[3] وَثَمَرْ طَبَعَنِي عَفْوًا وَمِنْ غَيْرِ ضَجَرْ

11. عَلَى صِفَاتٍ أَشْبَهَتْ نَقْشَ الحَجَرْ عَقِيدَتِي فِي الصَّالِحَاتِ مَا أُثِرْ

12. عَنْ أَحْمَدٍ[4] وَمَا تَرَامَى وَنُشِرْ مِنْ سِيَرٍ أَعْلَامُهَا لَمْ تَنْدَثِرْ

13. وَسُنَنٍ مَا شَانَ رَاوِيهَا الحَصَرْ[5] قَدْ طَابَقَتْ فِيهَا البَصِيرَةُ البَصَرْ

14. وَمَا أَتَى عَنْ صَحْبِهِ الطُّهْرِ الغُرَرْ وَالتَّابِعِينَ الْمُقْتَفِينَ لِلأَثَرْ

15. وَقَائِدِي فِي الدِّينِ آيٌ وَأَثَرْ صَحَّ بِرَاوٍ مَا وَنَى وَلَا عَثَرْ

16. وَمَذْهَبِي حُبُّ عَلِيٍّ وَعُمَرْ وَالخُلَفَاءَ الصَّالِحِينَ فِي الزُّمَرْ[6]

17. هَذَا وَلَا أَحْصُرُهُمْ فِي اثْنَيْ عَشَرْ لَا وَلَا أَرْفَعُهُمْ فَوْقَ البَشَرْ

---

(1)*مَن أعلى النداءَ: يريد المؤذنَ. ارعوى: كَفَّ ورجع.

(2)*حَجَرَ: منع.

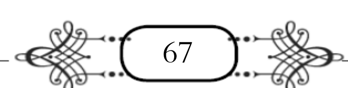
(3)*اللِّحَاء: قشر العود أو الشجر.

(4)"أَحْمَد"صلى الله عليه وسلم.

(5)*الحَصَرُ: العِيُّ في النطق.

(6)*الزمر، ج. زمرة: الجماعة.







18. وَلَا أَنَالُ وَاحِدًا مِنْهُمْ بِشَرْ وَشِيعَتِي فِي الحَاضِرِينَ مَنْ نَشَرْ
19. دِينَ الهُدَى وَذَبَّ عَنْهُ ونَفَرْ لِعِلْمِهِ وَفْقَ الدَّلِيلِ الْمُسْتَطَرْ
20. حَتَّى قَضَى مِنْ نُصْرَةِ الحَقِّ الوَطَرْ هُمْ شِيعَتِي فِي كُلِّ مَا أَجْدَى وَضَرْ
21. وَمَعْشَرِي فِي كُلِّ مَا سَاءَ وَسَرْ وَعُصْبَتِي فِي كُلِّ بَدْوٍ وَحَضَرْ
22. أَمَّا إِذَا صَبَبْتُ هَذِهِ الزُّمَرْ فِي وَاحِدٍ يَجْمَعُ كُلَّ مَا انْتَثَرْ
23. فَخُلَّتِي مِنْ بَيْنِهِمْ أَخٌ ظَهَرْ فِي الدَّعْوَةِ الكُبْرَى فَجَلَّى وَبَهَرْ[1]
24. وَجَالَ فِي نَشْرِ العُلُومِ وَقَهَرْ كَتَائِبَ الجَهْلِ الْمُغِيرِ وَانْتَصَرْ
25. عَبْدُ اللَّطِيفِ الْمُرْتَضَى النَّدْبُ الأَبَرْ[2] سُلَالَةُ الشَّيْخِ الإِمَامَ الْمُعْتَبَرْ[3]
26. مِنْ آلِ بَيْتِ الشَّيْخِ إِنْ غَابَ قَمَرْ عَنِ الوَرَى خَلَفَهُ مِنْهُمْ قَمَرْ
27. فَجَدُّهُمْ نَقَّى التُّرَابَ وَبَذَرْ وَلَقِيَ الأَذَى شَدِيدًا فَصَبَرْ
28. عَلَى الأَذَى فَكَانَ عُقْبَاهُ الظَّفَرْ وَالابْنُ وَالَى السَّقْيَ كَيْ يَجْنِي الثَّمَرْ
29. وَإِنَّ أَحْفَادَ الإِمَامِ لَزُمَرْ مُحَمَّدٌ مِنْ بَيْنِهِمْ حَادِي الزُّمَرْ
30. تَقَاسَمُوا الأَعْمَالَ فَاخْتَصَّ نَفَرْ بِمَا نَهَى مُحَمَّدٌ وَمَا أَمَرْ

---

(1)*الخلة بضم الخاء: الصديق. وتكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع. جلى: سبق، والفرس المجلي هو السابق في الميدان.

(2)*الندب: السريع إلى الفضائل.

(3)"عَبْدُ اللَّطِيفِ" بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(1321هـ-1398هـ).

"الشَّيْخِ الإِمَامَ الْمُعْتَبَرْ" يقصد به المجدد محمد بن عبد الوهاب(1115هـ-1206هـ).







31. وَاخْتَصَّ بِالتَّعْلِيمِ قَوْمٌ فَازْدَهَرْ ... يَبْنِي عُقُولَ النَّشْءِ مِنْ غَيْرِ خَوَرْ[1]

32. قَادَ جُيُوشَ العِلمِ لِلنَّصْرِ الأَغَرْ ... كَالسُّورِ يَعْلُو حَجَرًا فَوْقَ حَجَرْ

33. وَالجَيْشُ مَحْلُولُ الزِّمَامِ مُنْتَثِرْ ... مَا لَمْ يُسَوَّرْ بِنِظَامٍ مُسْتَقِرْ

34. وَلَمْ يَقُدْهُ فِي الْمَلَا بُعْدُ نَظَرْ ... مِنْ قَائِدٍ سَاسَ الأُمُورَ وَخبرْ

35. مُحَنَّكٍ طَوَى الزَّمَانَ وَنَشَرْ ... وَالجَيْشُ فِي كُلِّ الْمَعَانِي وَالصُّوَرْ

36. تَنَاسُقٌ كَالرَّبْطِ مَا بَيْنَ السُّوَرْ ... وَالجَيْشُ أُسْتَاذٌ لِنَفْعٍ يُدَّخَرْ

37. وَالجَيْشُ أَشْبَالٌ لِيَومٍ يُنْتَظَرْ ... وَالكُلُّ قَدْ سِيقُوا إِلَيْكَ بِقَدَرْ

38. صُنْعٌ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الْمُقْتَدِرْ ... خَلِّ الهُوَيْنَى[2] لِلضَّعِيفِ الْمُحْتَقَرْ

39. وَارْكَبْ جَوَادَ الحَزْمِ فَالأَمْرُ خَطَرْ ... فَيَا أَخًا عَرَفْتُهُ عَفَّ النَّظَرْ

40. عَفَّ الخُطَى عَفَّ اللِّسَانِ وَالفِكَرْ ... وَيَا أَخًا جَعَلْتُهُ مَرْمَى الشَفَرْ

41. وَغَايَةَ الجَمْعِ الْمُفِيدِ فِي الحَضَرْ ... تَجْمَعُنِي بِكَ خِلَالٌ وَسِيَرْ

42. مَا اجْتَمَعَتْ إِلَّا ثَوَى[3] الخَيْرُ وَقَرْ ... وَلَيْسَ فِيهَا تَاجِرٌ وَمَا تَجَرْ

43. وَلَيْسَ مِنْهَا مَا بَغَى البَاغِي وَجَرْ ... وَمَا تَقَارُضُ[4] الثَّنَا فِينَا يقَرْ

44. إِنَّ فُضُولَ القَوْلِ جُزْءٌ مِنْ سَقَرْ ... فَلَا أَقُولُ فِي أَخِي لَيْثٌ خَطَرْ

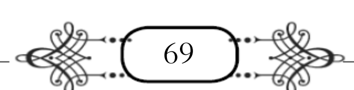
---

(1)*الخور: الضعف.

(2)*الهوينى: التؤدة والرفق.

(3)*ثوى: أقام. قَرَّ: ثبت.

(4)*التقارضُ: التبادل.





45. وَلَا يَقُولُ إِنَّنِي غَيْثٌ قَطَرْ ... وَإِنَّمَا هِيَ عِظَاتٌ وَعِبَرْ
46. عَرَفْتَ مَبْدَاهَا فَهَلْ تَمَّ الخَبَرْ ... وَبَيْنَنَا أَسْبَابُ نُصْحٍ تُذَّكَرْ
47. كِتْمَانُهَا غَبْنٌ وَغِشٌّ وَضَرَرْ ... لَا تَنْسَ "حَوَّا" إِنَّهَا أُخْتُ الذَّكَرْ[1]
48. تَحْمِلُ مَا يَحْمِلُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرْ ... تُثْمِرُ مَا يُثْمِرُ مِنْ حُلوٍ وَمُرْ
49. وَكَيْفَمَا تَكَوَّنَتْ كَانَ الثَّمَرْ ... وَكُلُّ مَا تَضَعُهُ فِيهَا اسْتَقَرْ
50. فَكَيْفَ يَرْضَى عَاقِلٌ أَنْ تَسْتَمِرْ ... مَزِيدَةً عَلَى الحَوَاشِي وَالطُّرَرْ[2]
51. تَزْرَعُ فِي النَّشْءِ أَفَانِينَ الخَوَرْ ... تُرْضِعُهُ أَخْلَاقَهَا مَعَ الدِّرَرْ[3]
52. وَإِنَّهَا إِنْ أُهْمِلَتْ كَانَ الخَطَرْ ... كَانَ البَلَا كَانَ الفَنَا كَانَ الضَّرَرْ
53. وَإِنَّهَا إِنْ عُلِّمَتْ كَانَتْ وَزَرْ[4] ... أَوْلَا فَوِزْرٌ جَالِبٌ سُوءَ الأَثَرْ
54. وَمَنْعُهَا مِنَ الكِتَابِ وَالنَّظَرْ ... لَمْ تَأْتِ فِيهِ آيَةٌ وَلَا خَبَرْ
55. وَالفُضْلَيَاتُ مِنْ نِسَا صَدْرٍ غَبَرْ ... لَهُنَّ فِي العِرْفَانِ وِرْدٌ وَصَدَرْ[5]
56. وَانْظُرْ هَدَاكَ اللهُ مَاذَا يُنْتَظَرْ ... مِنْ أُمَّةٍ قَدْ شَلَّ نِصْفَهَا الخَدَرْ[6]

---

(1)*أي لا تنس البنت في التعليم فإنها أختُ الابن، وهذا هو المقصود الذي مهد له الأستاذ رحمه الله بكل ما سبق.

(2)*الطرر، ج. طُرة: وهي طرَفُ الشيء وحاشيته.

(3)*الدِّرر، ج. دِرّة بالكسر وهي اللبن.

(4)*الوَزَرُ: الملجأ. الوِزْرُ: الإثم. الحمل الثقيل.

(5)*غبر: مضى. الورد: الذهاب إلى الماء. الصدر: الرجوع عنه.

(6)*الخَدَرْ: تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة. خَدِرت رِجْلُه.







57. وانْظُرْ فَقَدْ يَهْدِيكَ لِلخَيْرِ النَّظَرْ ... وَخُذْ مِنَ الدَّهْرِ تَجَارِيبَ العِبَرْ
58. هَل أُمَّةٌ مِنَ الجَمَاهِيرِ الكُبَرْ ... فِيمَا مَضَى مِنَ القُرُونِ وَحَضَرْ
59. خَطَّتْ مِنَ الْمَجْدِ وَمِن حُسْنِ السِّيَرْ ... تَارِيخَهَا إِلَّا بِأُنْثَى وَذَكَرْ؟
60. وَمَنْ يَقُل فِي عِلمِهَا غَيٌّ وَشَرْ ... فَقُل لَهُ هِيَ مَعَ الجَهْلِ أَشَرْ
61. وَلَا يَكونُ الصَّفْوُ إِلَّا عَنْ كَدَرْ ... وَإِنَّ تَيَّارَ الزَّمَانِ الْمُنْحَدِرْ
62. لَجَارِفٌ كُلَّ بِنَاءٍ مُشْمَخِرْ[1] ... فَاحْذَرْ وَسَابِقْ فَعَسَى يُجْدِي الحَذَرْ
63. وَاعْلَمْ بِأَنَّ المنْكَرَاتِ وَالغِيَرْ ... تَدَسَّسَتْ لِلغُرُفَاتِ وَالحُجَرْ
64. مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ وَمِنْ شَطِّ "هَجَرْ"[2]
65. وَأَنَّهَا قَارِئَةٌ وَلَا مَفَرْ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْكَ فَعَنْ قَوْمٍ أُخَرْ
66. وَاذْكُرْ فَفِي الذِّكْرَى إِلَى العَقْل مَمَرْ ... مَنْ قَالَ قِدْمًا "بِيَدِي" ثُمَّ انْتَحَرْ[3]

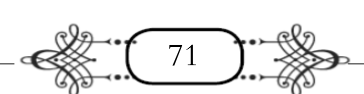
---

(1)*المشمخر: العالي.

(2)مدينة تقع شرق سعودية تابعة للأحساء، وهي تعتبر حلقة وصل لشبه الجزيرة العربية مع بلاد فارس والهند والصين. والمقصود أن المنكرات والتغيرات قد قدمت إلى البلاد السعودية من من الشمال (الشام) ومن الغرب (مصر) ومن الشرق (هجر)

(3)*بيدي ثم انتحر: يشير إلى مَثَل مشهورٍ أرسلته الزَّبَّاءُ، وخلاصة قصته أن الزباء قتلت جذيمة الأبرش خال عمرو، فدبر وزير جذيمة واسمه قَصِير مكيدة لأخذ الثأر منها، فجَدَعَ قَصِيرٌ أنفه، وذهب إليها باكيا مدَّعيا أن عمرًا جَدَعَ أنفه، فصدقته ومكث عندها مدة، ثم أتى بالرجال ومعهم عمرو ليقتلوها، وكان لها نَفَق أعدته لوقت الحاجة، فلما أرادت أن تهرب من النفق وجدتْ عمرًا على بابه، فمصَّت خاتما مسموما كان بيدها وقالت: "بيدي لا بيدِ عمرو"، وقد أشار محمد بن دُريد في مقصورته إلى هذه القصة فقال:

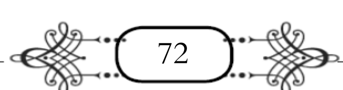
وَقَدْ سَمَا عَمْرٌو إِلَى أَوْتَارِهِ ... فَاحْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي الْمُسَمَّى
فَاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاءَ قَسْرًا وَهْـيَ مِنْ ... عُقَابِ لُوحِ الجَوِّ أَعْلَى مُنْتَمَى





67. حُطْهَا بِعِلمِ الدِّينِ والخُلقِ الأَبَرْ صَبيَّةً تَأْمَنْ بَوائِقَ الضَّرَرْ
68. وَاعْلَمْ بِأَنَّ نَشْأَنَا إِذَا كَبِرْ عَافَ الزَّوَاجَ بِابْنَةِ العَمِّ الأَغَرْ
69. يَهْجُرُهَا بَعْدَ غَدٍ فِيمَنْ هَجَرْ لِأَنَّهَا فِي رَأْيِهِ مِثْلُ الحَجَرْ
70. وَيَصْطَفِي قَرِينَةً مِنَ الغَجَرْ لِأَنَّهَا قَارِئَةٌ مِثْلُ البَشَرْ
71. خُذْهَا إِلَيْكَ دُرَّةً مِنَ الدُّرَرْ مِنْ صَاحِبٍ رَازَ الأُمُورَ وَخَبَرْ
72. صَمِيمَةً فِي الْمُنْجِبَاتِ مِنْ مُضَرْ نِسْبَتُهَا البَدْوُ وَسُكْنَاهَا الحَضَرْ

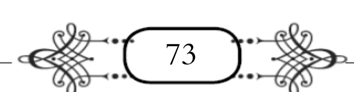









هموم وأحزان







تَسَاؤُلُ نَفْسٍ[1][الرَّمَل]

سُؤَالٌ:

1. أَيْنَ -يَا أُخْتُ- الْحُسَامُ الْمُنْتَضَى[2] لِصُرُوفِ الدَّهْرِ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبْ
2. أَيْنَ -يَا أُخْتُ- الْإِمَامُ الْمُرْتَضَى ذُو الْبَيَانِ الْحُرِّ وَالرَّأْيِ الْمُصِيبْ
3. أَيْنَ مَنْ إِنْ أَمْحَلَ الْفِكْرُ مَضَى يَرْحَضُ الْأَمْحَالَ بِالْفِكْرِ الْخَصِيبْ[3]

جَوَابٌ:

4. جَاءَهُ الْمَحْتُومُ مِنْ صَرْفِ الْقَضَا فَقَضَى لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا نَصِيبْ

سُؤَالٌ:

5. أَيْنَ -يَا أُخْتُ- هِلَالُ الدَّاجِيَهْ فَارِسُ الْحَلْبَةِ كَشَّافُ الْكُرَبْ
6. كَانَ نُورًا فِي اللَّيَالِي السَّاجِيَهْ[4] وَيْلَ قَوْمِي إِنْ تَوَارَى أَوْ غَرَبْ
7. أَيْنَ -يَا أُخْتُ- إِمَامُ النَّاجِيَهْ وَأَمِينُ اللهِ عَنْ مَجْدِ الْعَرَبْ

جَوَابٌ:

8. حُرِمَتْ مِنْهُ النُّفُوسُ الرَّاجِيَهْ وَتَمَلَّتْ[5] حَظَّهَا مِنْهَا التُّرَبْ

---

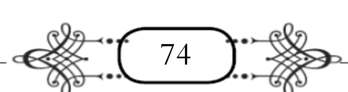
(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي38/2.

(2)"الْحُسَامُ" السيف. "الْمُنْتَضَى" المسلول، "انْتَضَى" السيفَ إذا استلّه. (تهذيب اللغة51/12)

(3)"أَمْحَلَ" أجدب. و"رَحَضَ" "يَرْحَضُ" و"يَرْحُضُ، رَحْضًا": غَسَلَ، و"الرَّحْضُ" الغَسْلُ.
و"الْأَمْحَال" ج: "مَحْل" وهو الشدة والجدب. و"الْخَصِيب" نقيض ذلك. (المحكم125/3 و374/3)

(4)"الدَّاجِيَة" المظلمة ظلاما شديدا. و"السَّاجِيَة" الهادئة الساكنة.

(5)"تَمَلَّتْ" أي مُتِّعت، يقال: تَمَلَّى إخوانَه: مُتِّعَ بهم. (المحكم439/10، لسان العرب290/15)





سُؤَالٌ:

9. أَيْنَ حَامِي الدِّينِ مِنْ شَوْبِ الضَّلَالِ ... وَمُجِيرُ الْحَقِّ مِنْ إِفْكِ الْهَوَى
10. أَيْنَ -يَا أُخْتُ- حَوارِيُّ الْجَلَالِ ... صَيْقَلُ الْأَذْهَانِ إِكْسِيرُ الْقُوَى [1]
11. عَافَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِي بَرْدِ الظِلَالِ ... وَامْتَطَى لِلْمَجْدِ نَزَّاعَ الشَّوَى

جَوَابٌ:

12. خَبَرُ الْأَظْعَانِ وَالْحَيِّ الْحَلَالِ ... أَنَّ نَجْمَ الدِّينِ فِيهِمْ قَدْ هَوَى

سُؤَالٌ:

13. أَيْنَ لَيْثٌ كَانَ بِالْأَمْسِ هُنَا ... خَادِرًا قَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا زَئِيرْ
14. أَغْلَبًا فِي لِبْدَتَيْنِ ارْتَهَنَا ... عَنْ عَرِينِ الدِّينِ يَرْمِي وَيُجِيرْ [2]
15. مَا وَنَى عَنْ فُرْصَةٍ أَوْ وَهَنَا ... هَلْ رَأَيْتَ الْمِخْذَمَ الْعَضْبَ الطَّرِيرْ [3]

جَوَابٌ:

16. هَجَرَ الْغِيلَ وَأَسْرَى مُوهَنَا ... وَالْحِمَى أَصْبَحَ نَهْبًا لِلْمُغِيرْ [4]

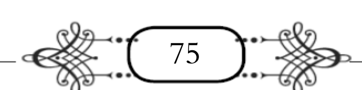
---

(1)"الصَّيْقَل" شحّاذ السيوف، ويجمع على "صَيَاقِل" و"صَيَاقِلَة"، و"الإِكْسِير" أصلها من الكلمة اليونانية "اكسيروس" مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب، وشراب في زعمهم يطيل الحياة. (المعجم الوسيط ص:22)

(2)أسد "أَغْلَب" غليظ الرقبة. (المحكم532/5)، و"لِبْدَةٌ" الأسد: زُبْرَته، وهي الشعر المتراكب بين كتفيه، والأسد ذو "لِبْدَةٍ" وفي المثل: " هو أمنع من لِبْدَةِ الأسد، والجمع "لُبَدٌ"(الصحاح533/2)

(3)"الْمِخْذَمُ" و"العَضْب" السيف القاطع، يقال: "خَذَمَهُ خَذْما" و"عضبَه عَضْبا" أي قطعه، و"الطَّرِير" الحاد، يقال: "طَرَرْتُ السِنانَ" حدَّدته، فهو "مَطْرورٌ" و"طريرٌ". (الصحاح183/1 و1910/5)

(4)"الغِيل" بكسر الغين، موضع الأسود، ويجمع على "غُيول". (لسان العرب512/11) و"أَسْرَى" كـ"سَرَى" أي مشى ليلا، و"مُوهَنا" أي ضعيفا.





سُؤَالٌ:

17. أَيْنَ مِنَا الْيَوْمَ -يَا أُخْتُ- الرَّئِيسْ كَمْ بِهِ قَدْ رَفَعَ الْقَوْمُ الرُّؤُوسْ

18. مَا لَهُ غَابَ؟ فَمَا مِنْهُ حَسِيسْ مَا لَهُ أَقْصَرَ وَالْيَوْمُ عَبُوسْ

19. مَنْ رَمَى الْأُمَّةَ بِالْجُدِّ[1] التَّعِيسْ وَسَقَاهَا جَرْعَ الْغَمِّ كُؤُوسْ

جَوَابٌ:

20. غَالَهُ مِنْ خَاتِلِ الْمَوْتِ دَسِيسْ فَهْوَ قَدْ أَصْبَحَ رَهْنًا فِي الرُّمُوسْ[2]

والسلام عليكم مجتمعين على الحق ومتفرقين في خدمة الحق.

آفلو، يوم السبت 13 رجب الفرد 1359هـ، الموافق 18 أغسطس1940م.

أخوكم المعتد بوجودكم وعطفكم محمد البشير الإبراهيمي.[3]

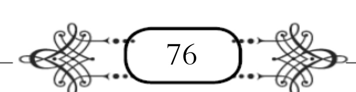
(1)الذي يظهر أنها "الْجُدّ" بضم الجيم، وهي الثر.

(2)"غَالَه" الشئ و"اغْتَالَه" إذا أخذه من حيث لم يدر.(الصحاح5/1785)

"خَاتِل" خادع، يقال: "خَتَلَهُ و"خَاتَلَهُ" أي خدعه، و"التَّخَاتُل" التخادع. (المحكم5/151)

"دَسِيس" إخفاء المكر. و"الرُّمُوس" ج: "رَمْس" وهو القبر.

(3) لم يفصح الإمام عن هذا الرجل الذي تساءل عنه، بَيْد أنه ذكره بأوصاف جليلة، تُنبئ عن مكانته في نفسه، وبالنظر إلى تاريخ كتابة هذه القصيدة فإنها في السنة نفسها التي توفي فيها الإمام ابن باديس، ولعله هو المقصود بهذه الأوصاف الجليلة.





شكوى العاصمي(1)[الْمُتَقَارِب]

1. إِلَهِي يَا مُسْتَجِيبَ الدُّعَا   وَيَا جَالِبَ الْيُسْرِ لِلْمُعْسِرِ
2. تَفَضَّلْ عَلَى عَبْدِكَ الْعَاصِمِي   وَعَرِّضْهُ لِلْعَارِضِ الْمُمْطِرِ
3. بِمَالٍ لَوْ كَانَ أَجْرَ الْخنَا   وَرِبْحَ الْمُطَفِّفِ وَالْمُخْسِرِ
4. فَمَا الْعُسْرُ إِلَّا رَبِيبَ الْحَلَالْ   وَمَا الْيُسْرُ إِلَّا مِنَ الْمَيْسِرِ
5. فَإِنَّكَ يَا خَالِقِي عَالِمٌ   بِأَنِّي عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِي(2)
6. أَرَى الرِّزْقَ مَا يَنْفَعُ الْمُقْتِرِينْ   وَإِنْ سَرَقُوا الْمَالَ فِي الْمَشْعَرِ(3)
7. وَلِي حَاجَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْفُؤَادِ   سَقَتْهَا الْأَمَانِي وَلَمْ تُثْمِرِ(4)

---

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي279/2.

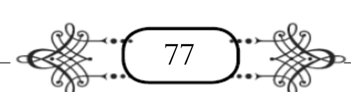
(2)الأشعري، أبو الحسن، علي بن إسماعيل، البصري، المتكلم، كان معتزليا ثم كلابيا، ثم مال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، وإليه تنتسب فرقة الأشاعرة، وهم في الحقيقة يتبعون ابن كلَّاب، إلا أنهم نسبوا إلى الأشعري لفضله وشرفه، وبقت النسبة إليه حتى بعد رجوعه عن مذهبهم. توفي سنة 324هـ. (درء تعارض العقل والنقل16/2، سير أعلام النبلاء85/15)

(3)"الْمُقْتِر" من كان ضيق العيش، يقال: "قَتَرَ" و"أَقْتَرَ"، و"القَتْرُ" ضيق العيش. (المحكم328/6).

"الْمَشْعَر" واحد "الْمَشاعِر" وهي مواضع المناسك في الحج. (الصحاح698/2).

والمعنى أن الرزق هو ما يُرزق به الإنسان وإن كان حراما، فالرزق هو كل ما ينتفع به المرتزق سواء كان من حلال أو ضده أي الحرام، وخالف في هذا المعتزلة وقالوا بأن الحرام ليس رزقا. (لوامع الأنوار البهية343/1).

(4)"الْفُؤَاد" القلب، وبناته ما يطوف به من أفكار ونحوها، ويقال لكل ما يحصل من جهته شيء هو ابنه نحو: فلانُ ابن حرب، وابن السبيل للمسافر. (تاج العروس233/37)





8. رَكِبْتُ إِلَى نَيْلِهَا عَزْمَتِي ... وَلِي عَزْمَةٌ كَاللَّظَى الْمُسْعَرِ[1]

9. وَجَمْجَمْتُ عَنْهَا وَلَمْ أُبْدِهَا ... وَمَا السِّرُّ إِلَّا سِلَاحُ السَّرِي[2]

10. تَقَحَّمْتُ فِيهَا الصِّعَابَ الَّتِي ... يَضِيقُ بِهَا الْوَاغِلُ الْمُجْتَرِي[3]

11. رَقِيتُ لِأَسْبَابِهَا سُلَّمًا ... وَجِئْتُ بِرَذْلٍ وَمُسْتَنْكَرِ[4]

12. وَحَالَفْتُ فِيهَا الدَّنَايَا الَّتِي ... إِذَا ذُكِرَ الْخَيْرُ لَمْ تُذْكَرِ

13. وَأُرْغِمْتُ يَوْمًا لِحَمْلِ الْقِفَافِ ... فَمَا كُنْتُ عَنْهَا بِمُسْتَكْبِرِ

14. وَمَا زِلْتُ فِي نَيْلِهَا دَائِبًا ... إِذَا أَقْصَرَ النَّاسُ لَمْ أُقْصِرِ

15. لَزِمْتُ الصِّيَامَ وَوَاصَلْتُهُ ... وَصَلَّيْتُ وَحْدِي وَفِي مَعْشَرِي

16. رَضِيتُ الْإِمَامَةَ فِي جَامِعٍ ... أَرَاهُ مِنَ الضِيقِ كَالْمَحْجِرِ[5]

---

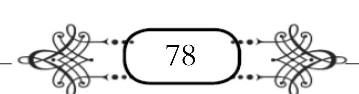
(1)"العَزْمَة" إرادة الفعل، "عَزَمَ" على الأمر "يَعْزِمُ عَزْما و"عَزِيمَةً" أراد فعله. (لسان العرب 399/12)
"اللَّظَى": اللهب، يقال: "لَظِيَتْ" النار "تَلْظَى، لَظًى". (تهذيب اللغة284/14).
"الْمُسْعَر" الموقَد، يقال: "سَعَرَ" النارَ والحرب "يَسْعَرُهما سَعْرًا": و"سَعَّرها" و"أسْعَرها": أوقدها. (المحكم479/1)

(2)"الجَمْجَمةُ" الكلام يُبَيِّنُ. (لسان العرب109/12) "السَّرِي" السيد الشريف، و"سَرُوَ" صار "سَرِيًّا"، ويجمع على "سَرَاة" و"سَرَوَات" (مشارق الأنوار214/2)

(3)"تَقَحَّمْتُ"، "التَّقَحُّم" الرمي في المهالك وإلقاء الإنسان نفسه فيها. (مشارق الأنوار172/2).
"الْوَاغِلُ" الداخل، "وَغَلَ" الرجلُ "يَغِلُ" "وُغولًا"، أي دخل في الشجر وتوارى فيه، و"وَغلاً" إذا دخل على القوم في شرابهم فشرب معهم من غير أن يُدعى.(الصحاح1844/5). و"الْمُجْتَرِي"المقدام.

(4)"الرَّذْلُ" كـ"الرَّذِيل" و"الأَرْذَل": الدُّونُ من الناس. وقيل: هو الرديء من كل شيء، والجمع "أَرْذال". (المحكم60/10)

(5)"الْمَحْجِر" بكسر الجيم الحرام، وبفتحها الحرمة، يقال: "تَحَجَّرَ على ما وَسَّعه اللهُ" حَرَّمَهُ وضَيَّقَهُ، و"مَحْجِرُ" العَيْن ما يبدو من النقاب. (لسان العرب166/4). والمقصود بيان ضيق هذا الجامع وصغره.





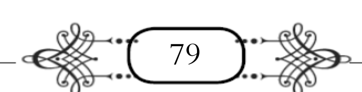
17. لِأَبْلُغَ مِنْهُ إِلَى جَامِعٍ ... مِنَ الرَّحْبِ كَالْجَامِعِ الْأَكْبَرِ
18. وَعُدْتُ إِلَى الْحَظِّ أَبْغِي رِضَاهُ ... وَمَنْ يَرْكَبِ الْحَظَّ لَمْ يَعْثِرِ
19. بَذَلْتُ لِتَحْصِيلِهَا كُلَّ شَيْءٍ ... سِوَى الْمَالِ إِنِّي مِنْهُ عَرِي
20. وَمَا أَنَا فِي الْجَمْعِ كَالْمُصْطَفَى ... وَمَا أَنَا فِي الطَّرْحِ كَالْأَزْهَرِي[1]

(1)*هو الشيخ مصطفى القاسمي. والشيخ المولود الحافظي الأزهري.

والإبراهيمي يقصد بـ"**الجمع**" جمع الناس؛ لأن القاسمي هذا كان ممن يجمع الطرقيين ويستعين بالفرنسيين على محاربة الإصلاحيين، ويقصد بـ"**الطرح**" الطرح العلمي، كما كان حال الشيخ الحافظي.

و"**مصطفى القاسمي الهاملي**" كان من رؤساء الصوفية بالجزائر، وكان المتكلم الرسمي في التجمعات الطرقية التي كانت تشرف عليها الإدارة الفرنسية، وكان يعارض الاتجاه الوطني الذي مثلته جمعية العلماء وحزب الشعب، وترأس مؤتمر الزوايا الذي كان يسير في التيار المعاكس، ومن عداوته للإصلاح أنه كتب تقريرا بتاريخ 7 سبتمبر 1936 وقدمه إلى الحاكم الفرنسي العام، وادعى فيه أن العلماء المصلحين يشتغلون بالسياسة، وأنهم لا أصل لهم عائليا، ولا يتبعهم إلا الأوباش. (نقلا عن الأستاذ أبي القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي 165/4) وقد تحدث عنه الإبراهيمي في مقال "**أفي كل حي عبد الحي؟**" كتبه ردا على مؤتمر الزوايا الذي أسسه هذا القاسمي مع عبدالحي الكتاني المغربي، وهو صوفي أيضا من عملاء الاستعمار، كما في الآثار391/3)

والشيخ المولود الحافظي نسبة إلى قرية "بني حافظ" التابعة لبني ورتيلان-سطيف (1880م-1948م) حفظ القرآن الكريم مبكرا، وطلب العلم في الزيتونة والأزهر، ثم عاد إلى الوطن وقام بحركة علمية إصلاحية، وكان من أعضاء المجلس الإداري لجمعية العلماء، جاهد الحافظي خصوصا في مجال العقيدة، لا سيما في مسألة "**التوسل والاستغاثة بالصالحين**" التي نفاها جملة وتفصيلا في مقال له في جريدة "الشهاب"، ردا على مقال نشره أستاذه بالأزهر الشيخ يوسف الدجوي المصري، الذي ذهب إلى جواز التوسل، فكان رد الحافظي أنه: «إذا امتنع الفعل والعلم من الميت حقيقة ومجازا ولغة امتنع التوسل به والاستغاثة لأن جوازهما بناء على صحة صدور الفعل منه للسببية الظاهرة وهي مفقودة منه لما عرفت، فوجب ترك التوسل والاستغاثة بالأموات» (أعلام من المغرب العربي لمحمد الصالح الصديق، مقال حول حياة الشيخ متاح على موقع آثار الإمام ابن باديس "www.binbadis.net")



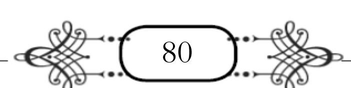


21. أَلَا هَلْ يَرَانِي الرِّفَاقُ الْكِرَامُ أَقُومُ وَأُقْعِى عَلَى الْمِنبَرِ
22. وَأَحْمِلُ تِلْكَ الْعَصَا صَوْلَجَانًا وَحَمْلُ الْعَصَا شِيمَةُ الْمِنْبَرِي
23. أَصُولُ عَلَى مَتْنِهِ دَاعِيًا وَأَزْأَرُ فِي الْقَوْمِ كَالْقَسْوَرِ (1)
24. وَأَهْجُمُ عَنْهُمْ بِوَعْظِي وَلَا أَمِيزُ بِهِ جَانِيًا مِنْ بَرِي
25. لِئَلَّا يُقَالَ امْرُؤٌ جَاهِلٌ بِوَضْعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَعْصُرِ
26. وَتُخْرِجُ حُنْجُرَتِي نَغْمَةً كَمَجْرَى الْخَفِيفِ عَلَى الْبِنْصَرِ
27. أُبَاهِي الْأَئِمَّةَ فِي زَيِّهِمْ بِشَدِّ النِّطَاقِ (2) عَلَى الْمِئْزَرِ
28. وَأَنْضُو (3) لِثَامًا عَلَى لِحْيَتِي مِنَ الصِبْغِ زُورًا عَلَى مُنْكَرِ
29. فَإِنَّ الْمَشِيبَ يُرِيدُ الْوَقَارِ لِمَنْ كَانَ يَعْتَدُّ بِالْمَظْهَرِ
30. وَأَسْمُو عَلَيْهِمْ بِفَرْطِ الذَّكَا وَطِيبِ الْأَرُومَةِ وَالْعُنْصُرِ
31. وَأَعْبُرُ دُونَهُمُو بِالدَّهَا حُدُودًا مِنَ الْجَاهِ لَمْ تَعْبُرِ
32. وَعِنْدِي أَسَالِيبُ مِنْ ذَا الدَّهَا إِذَا نَزَرَ الْحَظُّ لَمْ تَنْزِرِ
33. وَأَسْبِرُ مِنْ مُدْهِشَاتِ الْأُمُورِ شُؤُونًا عَلَى الدَّهْرِ لَم تُسْبَرِ
34. وَأُخْبِرُ عَنْهُمْ بِأَسْرَارِهِمْ وَمَا حَالَفَ السَّعْدُ كَالْمُخْبِرِ
35. هُنَالِكَ أَغْدُو رَئِيسًا لَهُمْ بِغَيْرِ انْتِخَابِ وَلَا مَحْضَرِ

(1)"الْقَسْوَر" الأسد.

(2)"النِّطاقُ" و"المِنْطَقُ" و"المِنْطقةُ" ما شد به الوسط كالحزام. (لسان العرب354/10)

(3)"أنْضُو" أُلقي.



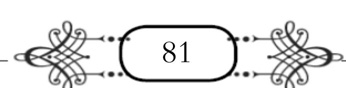


36. وَيُصْبِحُ أَمْرِي عَلَى جَمْعِهِمْ كَأَمْرِ العَرِيفِ عَلَى الْعَسْكَرِ
37. فَيَا مُنْيَةً نَبَتَتْ فِي الْحَشَا بَرَبِّكِ طُولِي وَلَا تَقْصُرِي
38. فَإِنَّ الزَّمَانَ يُنِيلُ الْمُنَى عَلَى رَغْمِ شَانِئِنَا الْأَبْتَرِ
39. تَكَفَّلْ إِلَهِي بِتَحْقِيقِهَا فَإِنَّكَ إِنْ تُعْطِهَا أَشْكُرِ
40. وَقُلْ لِابْنِ بَادِيسَ كُنْ آمِنًا بِعُشِّكَ فِي الْجَامِعِ الْأَخْضَرِ
41. قَنِعْتَ[1] بِمَا حُزْتَه مِنْ عُلُومٍ وَطِيبِ الْأَحَادِيثِ كَالْعَنْبَرِ
42. وَأَضْنَيْتَ نَفْسَكَ فِي أُمَّةٍ وَعَنْ وَطَنٍ كَالْفَلَا مُقْفِرِ
43. وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْهَنَا وَالْوَظِيفَ[ـهْ] مَعَ الْجَهْلِ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ
44. وَأَنَّ الْخُضُوعَ لِمُسْتَعْمِرٍ بِهِ الدَّارُ إِنْ تَنْهَدِمْ تُعْمَرِ
45. ذَوُو الْحَقِّ فِي الدِّينْ حُكَّامُنَا فَمَا لَكَ عَنْ حَقِّهِمْ تَجْتَرِي[2]
46. أَطَعْتَ الْبَشِيرَ[3] وَأَعْوَانَهُ فَخَلَّوْكَ أَعْرَى مِنَ الْخِنْصَرِ
47. وَلَمْ أَنْسَ لِي لَيْلَةً بِالْقَصِيرِ وَطَالِعُ سَعْدِي فِي الْمُشْتَرِي
48. أَكَلْتُ بِهَا حَزَّةً مِنْ جَزُورٍ وَنِمْتُ عَلَى جَانِبِي الْأَيْسَرِ

(1)"قَنِعَ" بكسر النون "يَقْنَعُ قَناعَةً" فهو "قَنِعٌ" و"قَنُوع"، و"القَناعَةُ" الرضا بما قسم له. بخلاف "قَنَعَ" بالفتح "يَقْنَعُ قُنُوعًا" إذا سأل وتذلل في المسألة. وكثيرا ما يُخلط بينهما. (تهذيب اللغة172/1، الصحاح1273/3)

(2)تكرر هذا البت في المطبوع مرتين.

(3)هو الإمام الإبراهمي نفسه.





49. إِذَا هَاتَفَ فِي غُصُونِ الدُّجَى ... كسِرٌّ بِطَيِّ الْحَشَا مُضْمَرِ

50. يَقُولُ[1]: أَيَا عَاصِ[2] كُنْ أَسْوَدَا ... وَكُنْ أَصْفَرًا شِيبَ بِالْأَحْمَرِ

51. فَأَوَّلْتُ تَرْخِيمَهُ فِي النِّدَا ... بِصَوْتِي رَخِيمًا عَلَى الْمَعْشَرِ

52. وَأَوَّلْتُهَا رِفْعَةً فِي الْمَقَامِ ... أَسُودُ بِهَا الْحَاسِدَ الْمُفْتَرِي

53. وَأَوَّلْتُهَا خُطَّةً[3] أَرْتَقِي ... بِهَا مِنْ كَبِيرٍ إِلَى أَكْبَرَ

54. تَرَاقَصَ حَوْلِي طُيُوفُ الْمُنَى ... فَهَلْ[4] لِي بِصُبْحٍ بِهَا مُسْفِرِ؟

55. أَمَالِكَ[5] رِقِّي، تَلَطَّفْ بِهَا ... فَعَبْدُكَ -إِنْ لَمْ يَنَلْهَا- خَرِي

56. وَهَذِي الْمَجَالِسِ مَا شَأْنُهَا ... تَعَضُّ بِوَاعٍ وَمُسْتَظْهِرِ

57. أَلَمْ تَرَ مِنْ حِيلَتِي أَنَّنِي ... بِهَذِي الْمَجَالِسِ لَمْ أَحْضُرِ

58. مَخَافَةَ أَنْ يَغْضَبَ الْمُسْتَشَارُ ... فَيَمْحُوَ وَعْدِي مِنَ الدَّفْتَرِ

59. وَيُمْنَايَ مَا نَشِطَتْ مَرَّةً ... لِتَنْمِيقِ سَطْرٍ وَلَا أَسْطُرِ

---

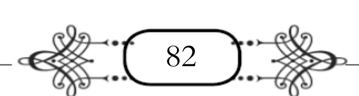
(1)"يقول" وفي المطبوع "يقطل"، و"القَطْلُ" في اللغة: القطع، يقال: "قَطَلَهُ قَطْلًا" وهو "مَقْطُولٌ".(مقاييس اللغة5/103)، ولا وجه لهذا المعنى هنا إلا بتكلف شديد.

(2)ترخيم لاسم "العاصمي"، ويجوز في الصاد وجهان؛ الأول: الكسر على لغة من ينتظر أو ينوى المحذوف، فلا يغير ما بقي بل يبقى على حاله قبل الحذف. والثاني: الضم على لغة من لا ينتظر، فيجعل الباقي كأنه آخر الاسم في أصل، ويبنيه على الضم.

(3)"الخُطَّة" بضم الخاء الطريقة والمقصد.

(4)في المطبوع: "فهن" وهو تصحيف.

(5)"أمَالِكَ" الهمزة للنداء، و"مَالِكَ" منادى منصوب وهو مضاف و"رِقِّي" مضاف إليه.





60. يَسِيلُ لُعَابِي إِذَا نَشَرُوا ... أَسَامِيَ تَلْمَعُ كَالْجَوْهَرِ
61. وَلُقِّبَ ذَا بِأَمِيرِ الْبَيَانِ ... وَهَذَاكَ بِالْكَاتِبِ الْعَبْقَرِي
62. وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَلَكِنْ أَدُورُ عَلَى مِحْوَرِ
63. وَأَخْشَى الرَّقِيبَ وَتَضْرِيبَهُ ... عَلَى اسْمِي بِالْمِرْقَمِ الْأَحْمَرِ(1)
64. فَمَا عَاشَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُدْهِنًا ... وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ وَلَمْ يَحْذَرِ
65. وَأَهْوَى الشِّهَابَ (2) وَتُزْعِجُنِي ... شِهَابٌ بِإِحْرَاقِهِ يَنْبَرِي
66. وَإِنَّ العِدَا نَحَلُونِي الْغَدَاةَ ... سُطُورًا بِبَالِي لَمْ تَخْطُرِ
67. فَوَافَتْ مَعَ الصُّبْحِ مُهْتَاجَةً ... جَلَاوِذَةً كَالدَّبَى يَنْبَرِي (3)

---

(1)"الْمِرْقَمُ": القَلَمُ، و"الْمُرَقِّمُ" الكاتب، ويقال: "الْمُرَقِّنُ" (لسان العرب12/248)

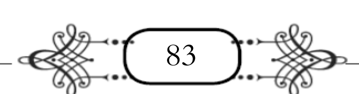
(2)الظاهر أنه يقصد هنا جريدة "الشهاب" التي أسسها الإمام عبد الحميد بن باديس سنة 1925، واستمرت إلى غاية رمضان 1347 هـ فيفري 1929م، لتتحول إلى مجلة شهرية علمية هدفها أن يرقي المسلم الجزائري، ومبدؤها في الإصلاح الديني والدنيوي هو: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" واستمر صدورها إلى اندلا ع الحرب العالمية الثانية فتوقفت في سبتمبر 1939. (آثار ابن باديس1/85)

(3)"مُهْتَاجَة" سريعة وثائرة، "اهْتاجَ" و"تَهَيَّجَ": ثار، وناقة "مُهْتَاجَةٌ" سريعة. (غريب الحديث للحربي 92/10/3، الصحاح 1/352).

"جَلَاوِذَةً": سراعا، و"الاجْلِوَّاذ" و"الاجْليواذُ" السرعة في السير. (لسان العرب3/482).

"الدَّبَى" ج: "دَبَاة" وهو الجراد قبل أن يطير، وقيل: هو أصغر ما يكون من الجراد والنمل. (لسان العرب14/248)

"يَنْبَرِي": يعترض. وهو في كل هذا يصور سرعة وشدة مجيئهم إليه، حتى إنهم كالجراد في ذلك.





68. فَهَذَا يَصُبُّ وَهَذَا يَشُبُّ   وَهَذَا يُشَاوِسُ عَنْ أَخْزَرِ (1)
69. وَهَذَا يُسَاقِي وَهَذَا يُلَاقِي   بِوَجْهٍ عَلَى الْمُلْتَقَى أَمْعَرِ
70. فَمَا زِلْتُ مُعْتَذِرًا حَالِفًا   لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ وَلَمْ يَعْذِرِ
71. حَلَفْتُ لَئِنْ رَأَيْتُ عُنْوَانَهُ   سَجَّرْتُ بِهِ النَّارَ فِي الْمِجْمَرِ
72. جَزَاءً لِمَا سَاقَ لِي مِنْ أَذَى   وَمَا جَرَّ مِنْ تُهْمَةٍ لِلْبَرِي

ذكرى 8 ماي(2) [مَشْطُور الْبَسِيطِ]

1. ذِكْرَاكَ يَا يَوْمُ   تَحُزُّ فِي الْأَحْشَا
2. إِذْ أَقْبَلَ الْقَوْمُ   وَحْشٌ تَلَا وَحْشَا
3. يَا يَوْمُ لَمْ تُشْرِقْ   شَمْسٌ عَلَى مِثْلِكْ
4. أَلُّ(3) الضُّحَى مُغْرِقْ   وَالْمُلْتَجَى مُهْلِكْ
5. ذِكْرَاكَ يَا يَوْمُ   لَا تَأْتَلِي حَوْمَا
6. تَعْتَادُ فِي النَّوْمِ   فَتَطْرُدَ النَّوْمَا

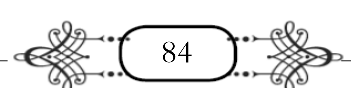
---

(1)"يُشَاوِسُ" "الشَّوَسُ" أن ينظر بإحدى عينيه ويميل وجهه في شق العين التي ينظر بها ويكون ذلك خِلْقة ويكونُ من التكبر والغضب، و"التَّشاوسُ" إظهار ذلك، و"أَخْزَر" الأعور شديد العَور، قال الشاعر(تهذيب اللغة92/7، المحكم112/8):

إِذَا تَخَازَرْتُ وَما بِي مِن خَزَرْ   ثمَّ كَسَرْتُ الْعَيْنَ من غَيْرِ عَوَرْ

(2)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي331/3.

(3)"الأَلُّ" اللمعان، يقال: "أَلَّ، يَئِلُّ، أَلًّا" إذا لمع. (مقاييس اللغة18/1)





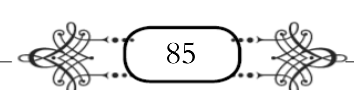
7. رِيعَ[1] الْحِمَى فِيكَا   وَالْأَهْلُ فِي غَفْلَهْ
8. لَمْ يُعْفَ عَافِيكَا   طِفْلًا وَلَا طِفْلَهْ
9. فِيكَ اعْتَرَتْ لَمَّهْ   رَهْطًا مِنَ الشُّمْسِ[2]
10. فَقَتَلُوا أُمَّهْ   أَحْيَتْهُمُو أَمْسِ
11. سَاقَتْ لَهُمْ نَصْرًا   جَازَوْهُ بِالْكَسْرِ
12. كَمَنْ فَدَى الْأَسْرَى   فَبَاتَ فِي الْأَسْرِ
13. لَهْفِي عَلَى هَاوٍ   عَلَى شَفَا الْعُمْرِ
14. قَدْ تَلَّهُ غَاوٍ   فَخَرَّ لِلصَّدْرِ
15. لَهْفِي عَلَى مُرْضَعْ   قَدْ عُفِّرَتْ أُمُّهْ
16. مَا خَبَّ أَوْ أَوْضَعْ   إِلَّا الشَّقَا أَمَّهْ
17. الشَّعْبُ مَسَّتْهُ   فِيكَ الْيَدُ العَسْرَا
18. أَضْحَى فَمَسَّتْهُ   بِالضُّرِّ وَالْعُسْرَى
19. يَا يَوْمُ ذِكْرَاكَا   لَمْ تَبْرَحِ الْبَالَا
20. لَوْ طَافَ مَسْرَاكَا   بِاللَّيْثِ مَا صَالَا
21. زَرَعْتَ أَحْسَاكَا   مَنْبَتُهَا الصَّدْرُ
22. فَكَيْفَ نَنْسَاكَا   إِنَّا إِذًا غُدْرُ

---

(1) "رِيعَ" بالبناء للمفعول أي "فَزِعَ" يقال: "رِيع" فلان "يُراع" إذا فزع.

(2) "شُمْس"، وكذلك "شُمُس" ج: "شَمُوس" وهو الرجل العَسِر في عداوة شديد الخلاف على من عانده، ومنه قول الأخطل (المحكم 6/8):

شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ   وأَعْظمُ النَّاسِ أَحْلامًا إذا قَدَرُوا.



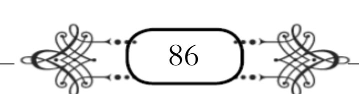





قضايا العالم الإسلامي والعربي











سكتُّ ... وقلت (هدية إلى حُماة العروبة بالمغرب الأقصى)[1] [الطَّوِيل]

1. سَكَتُّ، فَقَالُوا: هُدْنَةٌ مِنْ مُسَالِمٍ ... وَقُلْتُ، فَقَالُوا: ثَوْرَةٌ مِنْ مُحَارِبِ
2. وَبَيْنَ اخْتِلَافِ النُّطْقِ وَالسَّكْتِ لِلنُّهَى ... مَجَالُ ظُنُونٍ وَاشْتِبَاهُ مَسَارِبِ
3. وَمَا أَنَا إِلَّا الْبَحْرُ يَلْقَاكَ سَاكِنًا ... وَيَلْقَاكَ جَيَّاشًا مَهُولَ الْغَوَارِبِ[2]
4. وَمَا فِي سُكُونِ الْبَحْرِ مَنْجَاةُ رَاسِبٍ ... وَلَا فِي ارْتِجَاجِ الْبَحْرِ عِصْمَةُ سَارِبِ
5. وَلِي قَلَمٌ آلَيْتُ أَنْ لَا أَمُدَّهُ ... بِفَتْلِ مُوَارٍ، أَوْ بِخَتْلِ مَوَارِبِ[3]
6. جَرَى سَابِقًا فِي الْحَقِّ ظَمْآنَ عَائِفًا ... لِأَمْوَاهِ دُنْيَاهُ الثِّرَارِ الزَّغَارِبِ[4]
7. يُسَدِّدُهُ عَقْلٌ رَسَا فَوْقَ رَبْوَةٍ ... مِنَ الْعُمْرِ، رَوَّاهَا مَعِينُ التَّجَارِبِ
8. إِذَا مَا الْيَرَاعُ الْحُرُّ صَرَّ صَرِيرُهُ ... نَجَا الْبَاطِلُ الْهَارِي بِمُهْجَةِ هَارِبِ
9. وَمِنْ سَيِّئَاتِ الدَّهْرِ أَحْلَافُ فِتْنَةٍ ... وُجُودُهُمُو إِحْدَى الرَّزَايَا الْكَوَارِبِ[5]

---

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 426/3.

(2) "جَيَّاش" صيغة مبالغة من الجيشان وهو الهيجان، "جاش" البحر "جَيْشًا" هاج فلم يستطع ركوبه. (تهذيب اللغة 93/11، المحكم 497/7).

"غَوَارِب" ج: "غَارِب" أعلى الموج، و"غارب" كل شيء أعلاه. (تهذيب اللغة 119/8، 510/5)

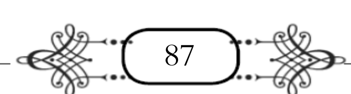
(3) "خَتْل" خداع، يقال: "خَتَلَهُ و"خَاتَلَهُ" أي خدعه، و"التَّخَاتُل" التخادع. (المحكم 151/5).

"مَوَارِب" داهية؛ مأخوذة من الإرب وهو الدهاء، فحُوِّلت الهمزة واوا. (تهذيب اللغة 187/15)

(4) "أَمْوَاه" جمع قلة لـ"ماء"، ويقال في الكثرة "مياه". "ثِرَار" غزيرة، يقال: "ثَرَّت" العَين "تَثُرُّ"، ثَرَارَةَ"، وعَيْنٌ "ثَرَّةٌ" غزيرة الْمَاء. (تهذيب اللغة 43/15).

"زَغارِبُ" ج: "زَغْرَب"، "بَحْرٌ زَغْرَبٌ" كثير الماء. (المحكم 84/6، لسان العرب 451/1)

(5) "الرَزَايَا" ج: الْمَرْزِئَة" و"الرَّزِيئَة" وهي المصيبة، وتجمع أيضا على "أَرْزاء" (المحكم 75/9، لسان العرب 170/13). "الْكَوَارِب" من "الكَرْب" وهو الحزن.





10. وَمِنْ قَلَمِي انْهَلَّتْ سَحَائِبُ نِقْمَةٍ ... عَلَيْهِمْ بِوَدْقٍ مِنْ سِمامِ العَقَارِبِ
11. فَيَا نَفْسُ لَا يَقْعُدْ بِكِ الْعَجْزُ وَانْهَضِي ... بِنُصْرَةِ إِخْوَانٍ وَغَوْثِ أَقَارِبِ
12. حَرَامٌ قُعُودُ الْحُرِّ عَنْ ذَوْدِ مُعْتَدٍ ... رَمَى كَلَّ ذَوْدٍ فِي الْبِلَادِ بِخَارِبِ
13. وَبَسْلٌ سُكُوتُ الْحُرِّ عَنْ عَسْفِ ظَالِمٍ ... رَمَى كُلَّ جَنْبٍ لِلْعِبَادِ بِضَارِبِ[1]
14. يُسَمِّنُ ذِئْبَ السُّوءِ قَوْمِي سَفَاهَةً ... بِمَا جَبَّ مِنْهُمْ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ[2]
15. وَمَا كَانَ جُنْدُ اللهِ أَضْعَفَ نَاصِرًا ... وَلَا سَيْفُهُ الْمَاضِي كَلِيلَ الْمَضَارِبِ[3]
16. وَمِنْ جُنْدِهِ مَا حَطَّ أَسْوَارَ "مَارِدٍ"[4] ... وَمَا صَنَعَ الفَأْرُ الْمَهِينُ "بِمَأْرِبِ"[5]

---

(1)*بَسْلٌ: حرام. اهـ "العَسْفُ" السير بغير هداية ولا علم، ثم نقل إلى الظلم والجور. (لسان العرب245/9، تاج العروس157/24)

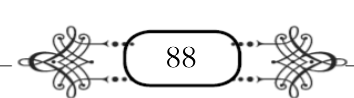
(2)"الجَبُّ" استئصال السنام من أصله. (تهذيب اللغة72/10) و"غارب" غارب الشيء أعلاه.

(3)"السيفُ الْمَاضِي" أي القاطع، "كَلِيل" أي غير قاطع.

(4)*"مارد" قصر منيف ضرب به المثل: "تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ".اهـ

قال الميداني: مارد: حصن دُومَة الْجَنْدل، والأبلق: حصن للسموءل بن عَادِيا، قيل: وصف بالأبلَق لأنه بنى من حجارة مختلفة الألوان بأرض "تَيْماء"، وهما حصنان قصدتهما "الزَّبَّاء" ملكة الجزيرة فلم تقدر عليهما، فقالت: تمَرَّدَ ماردٌ وعَزَّ الأبلق، فصار مثلا لكل ما يعز ويمتنع على طالبه، وعَزَّ: معناه غلب من عَزَّ يَعُزُّ، ويجوز أن يكون من عَزَّ يَعِزُّ. (مجمع الأمثال126/1)

(5)*"مَارِبِ"سد معروف باليمن، ترتب عن اختلاله سيل العرم المذكور في القرآن، وهو في منازل سبأ.اهـ قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ – فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ – ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ" وذكر أهل التفسير أن الله تعالى لما أراد عقابهم بالسيل العرم، بعث على السد "الفئران"، وذكروا أنهم كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الفأر، فكانوا يرصدون عنده القطط، فلما جاء القدر غلبت الفئرانُ القططَ، ودخلت إلى السد فنقبته، فانهار عليهم. (تفسير ابن كثير503/6، مجمع الأمثال275/1، حياة الحيوان الكبرى417/1)





17. وَمِنْ جُنْدِهِ الْأَخْلَاقُ تَسْمُو بِأُمَّةٍ ... إِلَى أُفْقِ سَعْدٍ لِلسِّمَاكِ مُقَارِبِ[1]
18. وَتَنْحَطُّ فِي قَوْمٍ فَيَهْوُونَ مِثْلَ مَا ... تَرَى الْعَيْنُ مِنْ مَهْوَى النُّجُومِ الْغَوَارِبِ
19. يَنَالُ العُلَا شَعْبٌ يُقَادُ إِلَى الْعُلَى ... بِنَشْوَانَ مِنْ نَهْرِ الْمَجَرَّةِ شَارِبِ
20. رَعَى اللهُ مِنْ عُرْبِ الْمَشَارِقِ إِخْوَةً ... تَنَادَوْا فَدَوَّى صَوْتُهُمْ فِي الْمَغَارِبِ
21. تَوَافَوْا عَلَى دَاعٍ مِنَ الْحَقِّ مُسْمِعٍ ... وَوَفَّوْا بِنَذْرٍ فِي ذِمَامِ الْأَعَارِبِ
22. هُمُو رَأْسُ مَالِي لَا نُضَارٌ[2] وَفِضَّةٌ ... وَهُمْ رِبْحُ أَعْمَالِي وَنُجْحُ مَآرِبِي
23. وَهُمْ مَوْرِدِي الْأَصْفَى الْمُرْوِي لِغُلَّتِي ... إِذَا كَدَّرَتْ "أُمُّ الْخِيَارِ"[3] مَشَارِبِي

---

(1)"السِّمَاك": نجمٌ.

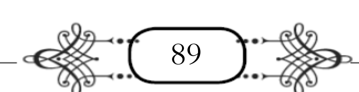
(2)"النُضَار" و"النَّضِير" و"الأَنْضَرُ" للذهب والفضة، لكن غلب على الذهب، وجمعه: "نِضَارٌ" و"أَنْضُرٌ". (الصحاح2/829، المحكم8/180)

(3)*"أم الخيار" كنية اصطلح الأدباء في الجزائر من أبنائنا العاملين على تكنية فرنسا بها، أخذا من قول أبي النجم الراجز:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي ... عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

ووجه هذه التكنية أنها كانت تتجنى علينا، وتخلق لنا من الذنوب ما لم نصنعه، كلما أرادت إلحاق الأذى بنا.اهـ

وهذا البيت نسبه سبويه(الكتاب1/85) لأبي النَّجْم العِجْلِيّ، واسمه الفضل بن قُدَامة، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام، وكان مشهورا بأراجيزه، وأم الخيار هذه هي زوجته. (الشعر والشعراء2/588، خزانة الأدب1/636)





السلطان محمد بن يوسف[1] [الرجز]

1. آلَيْتُ بِالْحَظَائِرِ الْمُسَتَّرَهْ وَالْآيِ فِي رُقُوقِهَا مُسَطَّرَهْ
2. وَالْكَعْبَةِ الْجَلِيلَةِ الْمُطَهَّرَهْ وَالرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُنَوَّرَهْ
3. إِنِّي أَسُوقُ الوَاعِظَاتِ الْمُنْذِرَهْ صَادِعَةً رَادِعَةً مُحَذِّرَهْ
4. نَاصِحَةً لِقَوْمِنَا مُذَكِّرَهْ وَاسِمَةً بِالْهُونِ كُلَّ نَكِرَهْ
5. مِنْ خَابِطٍ فِي الظُّلْمَةِ الْمُعْتَكِرَهْ وَوَارِدٍ سُؤْرَ الْمِيَاهِ الْكَدِرَهْ
6. وَعَابِدٍ لِلنَّجْمَةِ الْمُنْكَدِرَهْ دَلِيلُهَا الْحَقُّ، وَمَنْ يُنْصِفْ يَرَهْ
7. إِنَّ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ[2] جَوْهَرَهْ وَصُورَةٌ مِنْ خُلُقٍ مُصَوَّرَهْ
8. وَنُسْخَةٌ مِنْ أَدَبٍ مُحَرَّرَهْ وَقِطْعَةٌ مِنْ حِكَمٍ مُقَرَّرَهْ

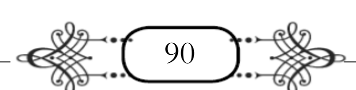
---

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي3/583.

* نشرت في العدد 147 من جريدة «البصائر»، 19 مارس سنة 1951.

السلطان محمد بن يوسف، هو ملك المغرب محمد الخامس، ولد سنة (1327هـ/1909) وتوفي سنة (1381هـ/1961) بفاس، تولى مملكة المغرب سنة 1346هـ/1927، ساند الحركات التحررية المغاربية فنفته سلطات الفرنسية إلى مدغشقر، وقد تحدث عنه الإبراهيمي طويلا في الموضع المشار إليه من الآثار.

(2)"أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ" كان هذا اللقب يطلق على سلاطين المغرب من المرابطين، وأول من دُعي به هو السلطان يوسف بن تاشفين أبو يعقوب اللمتوني (410هـ-50هـ). (تاريخ الإسلام10/832، الأعلام8/222)





9. وَقَطْرَةٌ مِنَ الْهُدَى مُنْحَدِرَهْ   فِي الدَّهْرِ مِنْ جَدِّ الشِّرَافِ حَيْدَرَهْ[1]

10. مَنَاقِبٌ عَلَى الْمَدَى مُدَّخَرَهْ   لِمَنْ غَدَا بَيْنَ الْمُلُوكِ مَفْخَرَهْ

11. وَإِنْ أَتَتْ أَيَّامُهُ بِأَخرَهْ[2]

12. إِنَّا إِذَا الْحَمْدُ تَلَوْنَا سُوَرَهْ   ثُمَّ جَلَوْنَا كَالْمَرَايَا صُوَرَهْ

13. ثُمَّ حَدَوْنَا فِي الْبَرَايَا زُمَرَهْ   سُقْنَا إِلَيْهِ شَمْسَهُ وَقَمَرَهْ

14. وَمَنْ يُطِبْ مَوْلَى الْمَوَالِي عُنْصُرَهْ   فَمِنْ تَمَامِ فَضْلِهِ أَنْ يَنْصُرَهْ

15. مَنِ ادَّعَى وَصْفَ الْكِرَامِ الْخِيَرَهْ   فَاسْتَشْهِدُوا أَخْلَاقَهُ وَسِيَرَهْ

16. وَاسْتَنْبِئُوا مِنَ الزَّمَانِ غِيَرَهْ   وَسَائِلُوا: مَنْ قَادَهُ وَسَيَّرَهْ؟

17. فَالزِّيرُ إِنْ تَنْشُدْهُ حِلْفُ الزِّيَرَهْ[3]

18. يَا عُصْبَةً فِي الْغَيِّ لَيْسَتْ مُقْصِرَهْ   قَدْ عَمِيَتْ عَنِ الْهُدَى وَالتَّبْصِرَهْ

19. لَا تَفْرَحِي إِنَّ الْغِنَى وَالسَّيْطَرَهْ   لَمْ يَبْرَحَا إِلَى الْهَلَاكِ قِنْطَرَهْ

---

(1)"الحَيْدَرَة" الأسد، ويشير بذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، القائل غزوة خيبر:

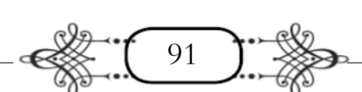
أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ   كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

وعلي رضي الله عنه ينتسب إليه العلويون ببلاد المغرب عموما، ومنهم ملك المغرب محمد الخامس. (تاريخ الإسلام1/275، الدرر الفاخرة ص:139)

(2)"بِأَخَرَةٍ" أي أخيرا.

(3)"الزِيرُ" من الرجال من يحب محادثة النساء ومجالستهن، سمي بذلك لكثرة زيارته لهن. والجمع "الزيرة". (الصحاح2/674)





20. لَا تَمْرَحِي إِنَّ الْهَوَى وَالْأَثَرَهْ ... جَالِبَةٌ كُلَّ البَلَا أَوْ أَكْثَرَهْ
21. تَسَمَّعِي إِنَّ اللَّيَالِي مُخْبِرَهْ ... بِأَنَّ أَيَّامَ الصُّعُودِ مُدْبِرَهْ
22. قَدْ كَتَبَ الدَّهْرُ وَوَالَى عِبَرَهْ ... وَصَدَّقَتْ رُؤَى العُيُونِ خَبَرَهْ
23. أَنَّ قُصُورَ الظَّالِمِينَ مَقْبَرَهْ ... عُمَّارُهَا إِلَى الْخَرَابِ مَعْبَرَهْ

هل لمن أضاع فلسطين عيد؟[1] [البسيط]

1. لِلنَّاسِ عِيدٌ وَلِي هَمَّانِ فِي الْعِيدِ ... فَلَا يَغُرَّنَّكَ تَصْوِيبِي وَتَصْعِيدِي
2. هَمُّ الَّتِي لَبِثَتْ فِي الْقَيْدِ رَاسِفَةً ... قَرْنًا وَعِشْرِينَ فِي عُسْفٍ وَتَعْبِيدِ
3. وَهَمُّ أُخْتٍ لَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ فَنِيَتْ ... حُمَاتُهَا بَيْنَ تَقْتِيلٍ وَتَشْرِيدِ
4. كَانَ الْقِيَاضُ[2] لَهَا فِي صَفْقَةٍ عُقِدَتْ ... مِنْ سَاسَةِ الشَّرِ تَعْرِيبًا بِتَهْوِيدِ
5. جُرْحَانِ مَا بَرِحَا فِي الْقَلْبِ جَسُّهُمَا ... مُودٍ[3] وَتَرْكُهُمَا لِشَقْوَتِي مُودِ
6. ذَكَرْتُ بَيْتًا لَهُ فِي الْمُبْتَدَا خَبَرٌ ... فِي كُلِّ حَفْلٍ مِنَ الْمَاضِينَ مَشْهُودِ
7. إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ تَحْدُثْ لَهُ غِيَرٌ ... لَمْ يُبْكَ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ[4]

---

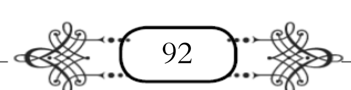
(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 215/4.

(2) "الْقِيَاضُ" أي مقايضة وهي المعاوضة. (الفائق في غريب الحديث والأثر 239)

(3) "مُودٍ" أي مُهلِك، "أودى، يودي" فهو مودٍ. (الصحاح 2521/6)

(4) "غِيَر" بكسر الغين وفتح الياء بمعنى التغيير، البيت لأبي سليمان الخطابي (العزلة ص: 71)، وقبله:

هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَذِّرُهُ ... فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودِ





[يا ابن اليمن][1][مجزوء الرجز]

1. أَخْنَى الزَّمَنْ[2] عَلَى الْيَمَنْ   أَبْدَلَهَا صَابًا بِـــمَنْ[3]
2. جَيْشُ الشَّقَا لَــهَا كَمَنْ   مَهْــزُولَةً عَــلَى السِّــمَنْ
3. مَغْــصُوبَةً بِــلَا ثَــمَــنْ   دُسْتُــورُهَــا لَا تَفْــهَــمَنْ
4. لَا تَــقْــرَأَنْ لَا تَعْــلَمَنْ   سَلْ سِيفَهَا[4] أَنْتَ لِــمَنْ؟
5. سَلْ سَيْفَهَا بِيَدِ مَنْ؟   أَغْرِبَــةً عَــلَى دِمَــنْ[5]
6. لَا نَاصِرٌ لَا مُؤْتَمَنْ   عُدْ لِلْحِمَى يَا ابْنَ الْيَمَنْ
7. جُدْ بِالدِّمَا مِنْ غَيْرِ مَنْ   إِنْ لَمْ تَذُدْ عَنْهَا فَمَنْ؟
8. يَا ذَا جَدَن أَيْنَتْ[6] عَدَنْ؟   رُوحٌ جَنَتْ عَلَى الْبَدَنْ
9. فَهْوَ الْحِوَا وَهْيَ الْفَدَنْ[7]   شَرُّ الْمَلَا لَهَا سَدَنْ
10. قَرْنُ البَلَا فِيهَا شَدَنْ[8]   يَا نَائِيًا لَا تَبْعَدَنْ

---

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي3/527.

هذه الأبيات ضمن مقال بعنوان: سجع الكهان.

(2)"خَنَا" الدَّهرِ: آفاتُه، و"أَخْنَى" عليهم الدهر: إذا أهلكهم. (تهذيب اللغة 239/7)

(3)*الصاب: [شجر] مر، والمن قرين السلوى في القرآن.

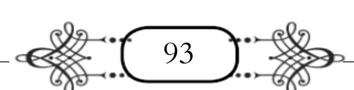
(4)*سِيف البحر بكسر السين ساحله، والسَّيف الثاني واحد السيوف وهو معروف.

(5)"أَغْرِبة" ج "غراب" وهو من جموع القلة. و" دِمَن" ج "دمْنَة" وهي الآثار.

(6)*ذو جدن من أذواء اليمن. أينت: لغة فصيحة في أين الاستفهامية.

(7)*الحواء: أبيات حقيرة، والفدن القصر.

(8)"شَدَنَ" أي قوِي.





11. يَا وَانِيًا لَا تَقْعُدَنْ ... يَا سَاهِيًا لَا تَرْقُدَنْ
12. يَا خَامِلًا لَا تَزْهَدَنْ ... وَلَا تَغِبْ بَلِ اشْهَدَنْ
13. وَلَا تُدِنْ مَا لَمْ تُدَنْ ... لَا تَعْتَصِرْ فِي غَيْرِ دِنْ[1]
14. تَبْغِي الْهُدَى عَلَى الْهُدَنْ[2] ... تَخْشَى الرَّدَى فَلْتَخْلُدَنْ

غار على أحسابه[3] [الرجز]

1. غَارَ عَلَى أَحْسَابِهِ أَنْ تُمْتَهَنْ ... حُرٌّ عَلَى مَجْدِ الْجُدُودِ مُؤْتَمَنْ
2. فَمَا وَنَى فِي حِفْظِهِ وَلَا وَهَنْ ... سَيْفٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَطْرُورُ الشَّبَا
3. بَيَّضْتَ وَجْهَ الْعُرْبِ فِي الْمَجَامِعِ ... أَبْلَغْتَ صَوْتَهُمْ إِلَى الْمَسَامِعِ
4. فَخَابَ كُلُّ طَامِحٍ وَطَامِعِ ... وَغَضَّ مِنْ سَوْرَتِهِ وَاكْتَأَبَا
5. أَوْقَرْتَ سَمْعَ الْمُبْطِلِينَ حُجَجَا ... فَاعْتَرَضُوا بَحْرًا يَمُورُ لُجَجَا
6. وَمُخْطِئٌ فِي رَأْيِهِ مَنْ هَجْهَجَا[4] ... بِاللَّيْثِ جَوْعَانِ الْحَشَا مُلَهَّبَا
7. جِئْنَاكَ فِي وَفْدٍ وَأَيُّ وَفْدِ ... مَا مِنْهُ إِلَّا بِالْعَزِيزِ يَفْدِي
8. جِئْنَاكَ لِلْأَرْفَادِ لَا لِلرَّفْدِ ... وَلِلثَّنَا نَسُوقُهُ لَا لِلْحِبَا
9. جِئْنَاكَ فِي الْإِخْوَانِ نُزْجِي التَّهْنِيَهْ ... لَا زِلْتَ مِنْ عَيْشِكَ فِي بُلَهْنِيَهْ[1]

---

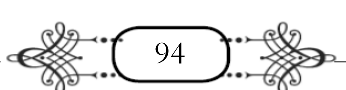
(1)"الدِنُّ" بكسر الدال الجرة، وجمعها "دِنَان"

(2)*الهدن جمع هدنة، وحياة الهدنة مضلة.

(3)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي412/4.

(4)"الهَجْهَجَةُ" صوت الرجل إذا صاح بالأسد. (تهذيب اللغة227/5)

(1)"البُلَهْنِيَةُ" و"الرُّفَهْنِيَةُ" الرخاء وسعة العيش. (المحكم327/4 و305/4)



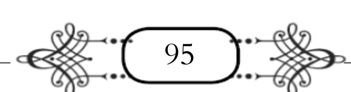


10. وَدُمْتَ فِي خَفْضٍ وَفِي رُفَهْنِيَهْ وَكُلُّ مَنْ جَارَاكَ فِي الْفَضْلِ كَبَا
11. أَبُوكَ فِي أُفْقِ الْمَعَالِي أَسْعَدُ فِي رُتْبَةٍ عَلْيَاؤُهَا لَا تُصْعَدُ
12. لَوْ أَنَّ مَتْنَ كَوْكَبٍ يُقْتَعَدُ لَمَا امْتَطَى أَبُوكَ إِلَّا كَوْكَبَا
13. كَأَنَّهُ قَدْ سَخَّرَ الْبَيَانَا فَانْكَشَفَ الْغَيْبُ لَهُ عَيَانَا
14. أَوْ أَنَّهُ قَدْ جَاوَرَ الرَّيَّانَا [1] وَحَاوَرَ الْغُرَّ الْفِصَاحَ الْعُرُبَا
15. سَمِعْتُهُ يَخْطُبُ فِي الْمَدِينَهْ شَيْحَانَ[2] يَحْمِي عِرْضَهُ وَدِينَهْ
16. فِي مَوْقِفٍ يُنْسِي الْفَتَى خَدِينَهْ فَكَانَ سَهْمًا لِلْعِدَى مُصَوَّبَا
17. لَسْتُ إِذَا أَرْسَلْتُهَا يَمِينَا بِخَائِفٍ فِي الْقَوْلِ أَنْ أَمِينَا[3]
18. لِمَنْ دَعَاكَ الْحَارِسَ الْأَمِينَا مَا حَادَ عَنْ حَاقِ الْهُدَى وَلَا نَبَا

(1)"الريّان" جبل ببلاد طيئ، سمي به لأنه لايزال يسيل منه الماء. (تاج العروس194/38)

(2)"الشَيْحَانُ" الغيور، لحذره على حرمه. (الصحاح379/1)

(3)"أَنْ أَمِينَ" أي أن أكذب، "مانَ، يمينُ، مَيْنًا"



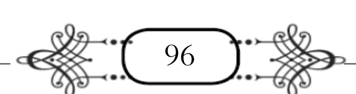





مداعبات ورسائل إخوانية










خير الدين الزِّرِكْلي[1] [الكامل]

قال الزركلي: كثيرا ما كان ينشدني –يعني الإبراهيمي– قوله:

1. الدِّينُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَأَنَا أَرَى   مِنْ خَيْرِ هَذَا الدِّينِ "خَيْرُ الدِّينِ"

محمد علي جناح محرر باكستان[2] [الوافر]

1. هُنَا شَمْسٌ تَوارَتْ بِالْحِجَابِ   هُنَا كَنْزٌ تَغَطَّى بِالتُّرَابِ
2. هُنَا عَلَمٌ طَوَتْهُ يَدُ الْمَنَايَا   هُنَا سَيْفٌ تَجَلَّلَ بِالْقِرَابِ [3]
3. هُنَا مِنْ مَعْدِنِ الْحَقِّ الْمُصَفَّى   يَتِيمٌ فِي الْجَوَاهِرِ ذُو اغْتِرَابِ

إلى ولدنا الأستاذ عبد الحميد الهاشمي[4] [الخفيف]

1. كُنْتَ أَهْدَيْتَنِي زُجَاجَةَ عِطْرٍ   يَبْعَثُ النَّشْوَتَيْنِ تِيهًا وَفَخْرَا
2. أَبِأَنْفَاسِ جِلِّقٍ [1] مَزَجُوهُ   فَأَتَى بِالْعَبِيرِ يَزْخَرُ زَخْرَا

---

(1)الأعلام54/6.

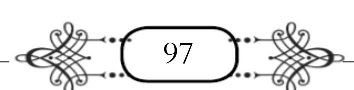
(2)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي50/4.

محمد علي جناح (1876–1948) مؤسس دولة باكستان، ويُعرف فيها بـ"القائد الأعظم"، كافح من أجل انفصال باكستان عن الهند، وأصبح أول حاكم لباكستان سنة 1947. "ويكيبيديا"

(3)"الْقِرَاب" غمد السيف، ويجمع على "قُرُب"

(4)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي401/4.

(1)"جِلِّق" بالتشديد وكسر الجيم واللام، موضع بالشام. (الصحاح1454/4)





3. أَمْ رُبَى النَيْرَبَيْنِ(1) قَدْ عَلَّمَتْهُ كَيْفَ يُحْيِي الْجَمَادَ إِنْ مَسَّ صَخْرَا
4. وَلَوْ أَنِّي إِذ ذَّاكَ أُوتِيتُ رُشْدِي صُنْتُهُ فِي خَزَائِنِ الصَّوْنِ ذُخْرَا
5. وَلَحَرَّمْتُ أَنْ يَمَسَّ أُنُوفًا أَوْ ثُغُورًا سُودَ الطَّوَاحِنِ بُخْرَا(2)
6. غَيْرَ أَنِّي فَعَلْتُ مَا يَفْعَلُ الْعَا صِفُ يَذْرُو بَنَاتِ مَخرٍ وَمَخرا(3)
7. نَازَعَتْنِيهِ بِالْأَكُفِّ رِجَالٌ لَيْسَ يَأْلُونَ لِلنَّفَائِسِ دَخْرَا(4)
8. ترَكُوا الظَّرْفَ كَالْخَلِيَّةِ هَفًّا(5) وَأَلَحُّوا فَعَادَ كَالْعَظْمِ نَخْرَا
9. وَجَزَاءُ الْجَمِيلِ ذِكْرٌ وَشُكْرٌ فَاغْنَمِ الْحُسْنَيَيْنِ وَابْعَثْ بِأُخْرَى

---

(1)"نَيْرَبُ" وتقال بلفظ التثنية "نَيْرَبَيْن" قال ياقوت الحموي: قرية مشهورة بدمشق في وسط البساتين أنزه موضع رأيته. (معجم البلدان330/5)

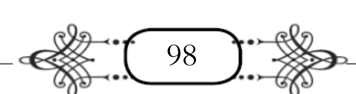
(2)"بُخْر" ج "أَبْخَر"، و"الْبَخَرُ" ريح كريهة من الفم. (تهذيب اللغة158/7)

(3)*بنات مَخر: سحائب بيض رقاق تأتي في قُبُل الصيف، ولكن الرياح تمزّقها بسرعة، ومَخر أبوهن على التوهم، كما يتوهم الشعراء في بنات نعش أن لها أبا هو نعش، ويصفونه بأوصاف متخيلة منتزعة من أوصاف الأبوة الشائعة في عالم الحيوان، قال ابن هانئ في فائيته التي تساوي ديوانه كله:

كَأَنَّ بَنِي نَعْشٍ وَنَعْشًا مَطافِلٌ بِوَجْرَةَ قد أَضْلَلْنَ في مَهْمَهٍ خَشْفَا

(4)*دخرا: إهانة وإذلال، وفي القرآن الكريم: "وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ".

(5)*الهف: خلية الشهد بلا عسل وسنبلة الزرع بلا حبّ والسحابة من غير ماء.





إلى ولدي الأديب عمر بهاء الدين الأميري[1][الطويل]

1. لَكَ الْخَيْرُ إِنِّي عَنْ كَرَاتْشِي لَرَاحِلُ ... عَلَى غَيْرِ مَا كَانَتْ تُشَدُّ الرَّوَاحِلُ
2. سَتَحْمِلُنِي فِي الْجَوِّ مُرْتَاعَةُ الْحَشَا ... يَدِينُ لَهَا الْقَاصِي وَتُطْوَى الْمَرَاحِلُ
3. أَدَرْتُ الْمُنَى عَنْ مُسْتَهَلٍّ مِنَ الْحَيَا ... يُغَاثُ بِهِ قَحْطٌ وَيَخْضَرُّ قَاحِلُ
4. وَيُسْقَى بِهِ غَرْسٌ ذَوَى بَيْنَ أُمَّةٍ ... يُمَسِّكُهَا سِلْكٌ مِنَ الدِّينِ نَاحِلُ
5. وَلَكِنْ زَوَى عَنِّي الْأَمَانِيَّ أَنَّهَا ... بِلَادٌ بِهَا رَبْعُ الْعُرُوبَةِ مَاحِلُ[2]
6. تَقَاسَمَهَا الْأَعَاجِمُ بَعْدَ ابْنِ قَاسِمٍ ... فَذَابَ بِهَا الضَّارِي وَغَابَ الْحَلَاحِلُ[3]
7. وَقَامَ بِحَمْلِ الدِّينِ فِيهَا عِصَابَةٌ ... مَكَاحِلُهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ الْمَكَاحِلُ[1]
8. سَأَذْكُرُكُمْ وَالشَّوْقُ يَزْدَادُ وَقْدُهُ ... إِذَا مَا دَنَتْ مِنْ أَنْدُونِيسْيَا السَّوَاحِلُ

---

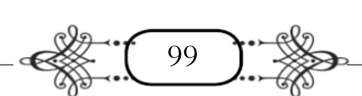
(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي403/4.

عمر بهاء الدين الأميري: قال الإبراهيمي في تقديمه لخماسياته: وزير سوريا المفوض في باكستان، شاعر موهوب، رقيق الحس، وجداني النزعة، خصب الشاعرية، مستجيب الطبع، متدفق الطبع، صادق التأمل، واسع التخيل، نظم كثيرا ولم ينشر شيئا. (الآثار83/4)

(2)"الْمَحْلُ" انقطاع المطر وييس الأرض من الكلإ. و"أَمْحَلَتْ" فهي "مُمْحِلٌ" و"أَمْحَلَ" القوم، وزمان "مَاحِلٌ". (مقاييس اللغة302/5)

(3)"الحُلَاحِل" بالضم السيد في عشيرته، وجمعه "حَلاحِل" بالفتح. (تهذيب اللغة283/3)

(1)"المَكاحِل" ج "المُكْحُلَة" بالضَّمّ، وهو وعاء يوضع فيه "الكُحْلُ" قال الزبيدي: و"المُكْحُلَة" الآلة التي يضرب بها بندق الرصاص في لغة المغاربة، وهو يرمي بـ"المَكاحِلِ"، قال: وهو مجاز؛ شبهت بمُكْحُلَةِ العين لما فيها من السواد. (تاج العروس323/3)، ولا تزال تستعمل فالعامية بلفظ: "مُكُّحْلَة"



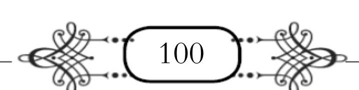


إلى الدكتور فاضل الجمالي[1] [الرجز]

1. تَضَمَّنَتْ بَرْقِيَةُ الْجَمَالِي — لَفْظًا خَلَا مِنْ رَوْنَقِ الْجَمَالِ
2. إِذْ لَيْسَ مِنْ مَرَاتِبِ الْكَمَالِ — وَلَيْسَ مِنْ مَحَاسِنِ الْخِصَالِ
3. أَنْ تَدْعُوَ الضَّيْفَ وَلَا تُبَالِي — رَفِيقُه الْحَقِيقَ بِالْإِجْلَالِ
4. تَعِدُنِي إِنْ زُرْتُ بِاحْتِفَالِ — مُتَوَّجٍ بِالْبِشْرِ وَالْإِقْبَالِ
5. بِشَرْطِ أَنْ أَزُورَ كَالْمُحْتَالِ — وَآمِنٍ مِنْ تَابِعٍ أَوْ تَالِ
6. تَحْسَبُنِي طِفْلًا مِنَ الْأَطْفَالِ — يُصَادُ بِاللُّطْفِ وَبِالدَّلَالِ
7. يُخْدَعُ فِي الْمَوْجُودِ بِالْمُحَالِ — وَيُؤْثِرُ النَّفْسَ عَلَى الْعِيَالِ
8. يَا حَضْرَةَ الدُّكْتُورِ ذِي الْأَفْضَالِ — مَا لَكَ لَا تَعْبَأُ بِالرِّجَالِ
9. وَلَا تُجِيلُ الرَّأْيَ فِي مَجَالِ — مِنْ قَبْلِ إِقْدَامٍ عَلَى الْأَفْعَالِ
10. هَذَا الَّذِي تَرْمِيهِ بِالْإِهْمَالِ — أَحَقُّ بِالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ
11. هَذَا فَتًّى أَضْحَى مِنَ الْأَبْطَالِ — وَزَادَ فِي الْفَضْلِ عَلَى الرِّجَالِ
12. رَأْيٌ رَمَى الْآرَاءَ بِالْإِبْطَالِ — وَعَزْمَةٌ كَالنَّارِ فِي اشْتِعَالِ
13. وَجُرْأَةٌ كَاللَّيْثِ فِي الصِّيَالِ — وَهِمَّةٌ كَالنَّجْمِ فِي التَّعَالِي

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي404/4. *مداعبة من الإمام إلى صديقه الدكتور محمد فاضل الجمالي بعد دعوة وجّهها إليه ببغداد، دون إشراك الأستاذ الفضيل الورتلاني. اهـ

محمد فاضل الجمالي (1903–1997): مفكر ومؤلف عراقي، شغل عدة مناصب علمية وحكومية، منها رئاسة وزراء العراق خلال عامي 1953–1954.





14. مَا زَالَ مُذْ شَبَّ عَلَى الْفِصَالِ وَعَرَفَ الْيُمْنَى مِنَ الشِّمَالِ
15. حَرْبًا عَلَى الطُّغْيَانِ وَالضَّلَالِ سِلْمًا عَلَى الْإِصْلَاحِ وَالْإِجْمَالِ
16. سَهْمًا مُصِيبًا فِي حَشَا الْأَنْذَالِ مِثْلَ شِهَابِ الرَّجْمِ فِي الثَّلَالِ(1)
17. يَقْذِفُ كُلَّ خَادِعٍ مُحْتَالِ وَلَمْ يَزَلْ يَخْطِرُ كَالرِّئْبَالِ(2)
18. مَاضِي الشَّبَا مُحَدَّدُ النِّصَالِ مُهَيَّأٌ لِلذَّوْدِ وَالنِّضَالِ(3)
19. أَتَرْتَضِي وَأَنْتَ ذُو الْأَعْمَالِ لِقَوْمِكَ الْعُرْبِ وَذُو الْآمَالِ
20. بِأَنْ يَرَوْكَ مَاضِيًا فِي الْحَالِ وَوَاقِفًا تَنْدُبُ فِي الْأَطْلَالِ
21. وَعَاكِفًا فِي الدِّمَنِ الْبَوَالِي تَبْكِي عَلَى عُمَّارِهَا الْخَوَالِي
22. مُنْتَصِرًا لِعُصْبَةٍ جُهَّالِ صَيَّرَهَا الظُّلْمُ إِلَى الزَّوَالِ
23. يَا سُوءَ حَظِّ الْيَمَنِ الْمِحْلَالِ(1) وَشُؤْمَهَا إِنِ انْبَرَتْ لِلْفالِ
24. وَبَخْسَهَا فِي الْوَزْنِ وَالْمِكْيَالِ وَغَبْنَهَا فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ

---

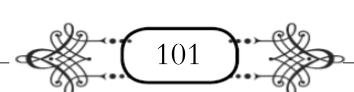
(1)"الثَّلَالِ" الهلاك. (العين216/8، شمس العلوم804/2)

(2)"خَطَرَ" الرجل اهْتَزَّ في مشيه وتبختر، وأصلها. (مختار الصحاح ص:93).

و"الرِّئْبَال" الأسد، ويجمع على "الرآبيلُ" و"الرَّيَابِيلُ" بالهمز وتركه، وفلان "يَتَرَأْبَلُ" أي يُغِير على الناس ويفعل فعل الأسد. (الصحاح 1704/4، النهاية في غريب الحديث والأثر191/2)

(3)"مَاضِي حادّ، "الشَّبَا" الطرَف، و"نِصال" ج "نَصْل" وهي حديدة السهم والسيف والسكين ونحوه. (التقفية في اللغة ص: 92، لسان العرب662/11)

(1)"الْمِحْلَال" الأرض المُخْصِبة التي يُكثر الناس الحُلُول بها. قال الأزهري: لا يقال لها "مِحْلال" حَتَّى تُمْرِع وتُخْصِب ويكون نباتها ناجعا للمال. (تهذيب اللغة284/3)





25. أَنْ كَانَ مِثْلُ فَاضِلِ الْجَمَالِي ... فِي عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ الصَّوَّالِ [1]
26. وَرُوحِهِ وَفِكْرِهِ الْجَوَّالِ ... يَأْسَى عَلَى طَاغُوتِهَا الْمُزَالِ
27. مَنْ شَدَّهَا بِأَوْثَقِ الْأَحْبَالِ ... وَسَامَهَا بِالْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ
28. وَسَامَهَا بِالْفَقْرِ وَالْإِقْلَالِ ... وَرَاضَهَا بِالسِّجْنِ وَالْأَغْلالِ
29. وَعَهْدُهَا وَهْوَ عَلَيْهَا الْوَالِي ... أَدْهَى مِنَ الطَّاعُونِ وَالزِّلْزَالِ
30. فَكَمْ رَأَتْ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ ... وَالنُّوَبِ الْفَظِيعَةِ الثِّقَالِ
31. وَالْكُرَبِ الْكَثِيرَةِ الْأَشْكَالِ ... وَالْعُقَدِ الْعَوِيصَةِ الْإِشْكَالِ
32. وَمِنْ وَبَاءٍ سِيطَ بِالْوَبَالِ ... وَمِنْ خِبَاءٍ نِيطَ بِالْخَبَالِ
33. وَعَادَ مِنْ فَظَاعَةِ الْأَحْوَالِ ... عَهْدَ "سَبَا" فِي سَالِفِ الْأَحْوَالِ
34. أَضْحَتْ بَنُوهُ مِنْ فَسَادِ الْحَالِ ... وَالظُّلْمِ مِنْ إِمَامِهَا الدَّجَّالِ
35. عَطْشَى وَمَاءُ النَّهْرِ كَالْجِرْيَالِ ... مُنْهَمِرٌ بِعَذْبِهِ السَّلْسَالِ [2]
36. جَائِعَةً وَالْقُوتُ كَالرِّمَالِ ... فَقِيرَةً وَهْيَ رِكَازُ الْمَالِ
37. عَارِيَةً حَتَى مِنَ الْأَسْمَالِ [1] ... وَالْحَوْكُ فِي جُدُودِهَا الْأَوَالِي
38. قَدْ كَانَ فِيهِمْ مَضْرِبُ الْأَمْثَالِ ... عَزْلَاءَ حَتَى مِنْ عِصِيِّ الضَّالِ[2]

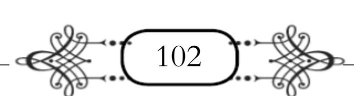
---

(1)صيغة مبالغة من "صال يصول صَوْلَة "أي قهر وعلا. (مقاييس اللغة3/322)

(2)"الْجِرْيَال" الصبغ الأحمر، ولذلك سميت الخمر جريالا. (مقاييس اللغة1/445)، و"السَّلْسَلُ والسَّلْسَالُ والسُّلَاسِلُ" الماء العذب السَّلِس في الحلق، وقيل البارد. (المحكم8/413)

(1)"الْأَسْمَال" تاثياب البالية، ج "سَمَلٍ" و"سَمَلَ" الثَّوْبُ، "سُمُولاً، وسُمُولَةً" أَخْلَقَ. (تاج العروس 29/223)

(2)"الضَّالُّ" السِّدر البري، واحده "ضَالَّة"، "أَضَالَتِ" الأرض إذا صار فيها الضال. (مقاييس اللغة3/379)





39. وَالسَّيْفُ فِيهَا أَحَدُ الْأَنْجَالِ[1] شَقِيَةً بِالظُّلْمِ وَالنَّكَالِ
40. وَالسَّعْدُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأَجْيَالِ وَسْمًا لَهَا وَشَارَةَ احْتِيَالِ
41. وَتُرْبُهَا قَدْ ثَارَ عَنْ غِلَالِ وَعَنْ جَنًى غَضٍ وَعَنْ ظِلَالِ
42. وَمَاؤُهَا يَنْسَابُ كَالصِّلَالِ بَيْنَ الصُّخُورِ الشُّمِّ وَالتِّلَالِ
43. مَنْ هُمْ غُيُوثُ الْبَذْلِ فِي النَّوَالِ وَهُمْ لُيُوثُ الغَابِ فِي الصِيَالِ
44. فِي النَّسَبِ الْعِدِّ الصَّمِيمِ[2] الْعَالِي وَالْحَسَبِ الْعَرِيقِ فِي الْجَلَالِ
45. مَا لَكِ يَا مُنْبِتَةِ اللَّآلِي وَالَحَجَرِ الْحُرِّ الْكَرِيمِ الْغَالِي
46. مَا لَكِ يَا مُنْتِجَةِ الْأَبْطَالِ ذَوِي الْحِفَاظِ[3] الْمُرِّ وَالْفِعَالِ
47. مَا لَكِ يَا مَزْرَعَةَ الْغَوَالِي عَزَّتْ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ
48. مَا لَكِ يَا مُنْبِتَةِ الْعَوَالِي مِنَ الرِّمَاحِ الذُّبَلِ الطِوَالِ
49. أَصْبَحْتِ فِي جَدْبٍ وَفِي إِمْحَالِ جَرْدَاءَ مِثْلَ الْغَادَةِ الْمِعْطَالِ[1]
50. وَصِرْتِ بَعْدَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ شَوْهَاءَ مِثْلَ الْبَائِرِ الْمِتْفَالِ[2]
51. مَا لِبَنِيكِ النُّجبِ الْأَبْطَالِ أَضْحَوْا عَلَى الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي

---

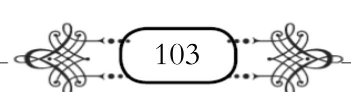
(1)جمع "نَجْل" وهو الولد.

(2)"الْعِدُّ" القديم، يقال: "حَسَبٌ عِدٌّ" أي قديم، والجمع "أَعْدَادٌ". (مقاييس اللغة4/30)

(3)"الْحِفَاظ" المحافظة على العهد، والمحاماة على الحرم ومنعها من العدو، والاسم منه "الْحَفِيظَة"، يقال: رجل ذو حفيظة. (تهذيب اللغة4/265)

(1)"الغَادَةُ" من النساء الناعمة اللينة، وجمعها "غِيدٌ" و"الْمِعْطَال" من التَعَطُّل" وهو ترك الحلي، والمِعْطال من النِّسَاء هي الَّتِي تُكثر التعطّل. (تهذيب اللغة2/99 و8/155)

(2)"المِتفال" و"التَّفِلَةُ" المرأة التي ليست بمتطيبة، وهي المُنْتِنَةُ الرِّيح. (تهذيب اللغة14/202)





52. بَعْدَ الْهُدَى فِي التِّيهِ وَالضَّلَالِ ... وَبَعْدَ وَسْمِ الْمَجْدِ فِي الْأَغْفَالِ[1]

53. شِدتِّ لَنَا فِي الْأَعْصُرِ الْخَوَالِي ... حَضَارَةً مَدَّتْ عَلَى الْأَجْيَالِ

54. رِوَاقُ عِزٍّ بِحُلَاهَا حَالِي ... وَخُلِّدَتْ آثَارُهَا الْغَوَالِي

55. صَحَائِفٌ فِي الْكُتْبِ وَالرِّمَالِ ... بَدَائِعُ الْمُفْتَنِّ[2] وَالْمَثَّالِ

56. لَمْ يَجْرِ مُنْشِيهَا عَلَى مِثَالِ ... وَلَمْ تَزَلْ آيَاتُهَا فِي الْحَالِ

57. سِحْرُ النُّهَى وَفِتْنَةُ الْخَيَالِ ... وَعُقْلَةُ[3] الْعَقْلِ وَشُغْلُ الْبَالِ

58. حَتَى أَتَتْ حُثَالَةُ الْأَنْسَالِ ... وَعُصْبَةُ الْفُسَّاقِ وَالْأَنْذَالِ

59. رَهْطُ الْخَنَا وَالْغَيِّ وَالْمِحَالِ ... مِنْ كُل عِيٍّ مَائِقٍ تِنْبَالِ[4]

60. لَمْ يَجْرِ لَوْلَا شَخْصِهِ بِالْبَالِ ... مُحَارِبٌ للهِ لَا يُبَالِي

61. مُسْتَقْذَرُ الْإِزَارِ وَالسِّرْبَالِ ... مُسْتَقْبَحُ الْعُثْنُونِ وَالسِّبَالِ[1]

62. كَأَنَّمَا صِيغَ مِنَ الْأَوْحَالِ ... أَوْ مِنْ رَجِيعِ الْحُمْرِ وَالْبِغَالِ[2]

---

(1)"أغفال" ج "غُفْل"، أرضٌ غُفْلٌ: لا علمَ بها ولا أثر، ودابة غُفْلٌ: لا سِمَةَ عليها. (الصحاح 1783/5)

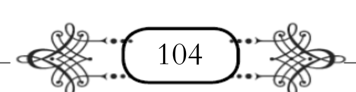
(2)"المُفْتَنّ" يقال: "افتنّ" أخذ من كلّ فنٍّ، والناس يقولون: "متفنِّن" وهو لحن لأن معناه الضعيف. (تصحيح التصحيف وتحرير التحريف464/1، خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام ص: 50)

(3)"العُقْلَةُ" مَا يُعْقَل به أي يُقيد به.

(4)"الخنا" الفُحشُ، وكلام "خَنٍ" وكلمة "خَنِيَّةٌ" (الصحاح2332/6). و"المِحَالُ" الكيد وطلب الأمور بالحيل. (المحكم375/3). و"المائق" الأحمق. "التِنْبَال" القصير. (تهذيب اللغة201/14)

(1)"السِّرْبَال" القميص (مقاييس اللغة162/3). و"عُثْنُونُ" اللِّحْيَة هو طولها وما تحتها من شعرها. (230/4). و "السِبَال" ج "السَبَلَة" الشارب. (الصحاح1724/5)

(2)"حُمْر" ج حمار، بسكون الميم وضمها. (مختار الصحاح ص:80)





63. أُسَيْمِرُ الْجِلْدَةِ ذُو اخْتِيَالِ   مَتَّصِلُ الْمَنْكِبِ بِالْقَذَالِ [1]

64. وَإِنْ عَدَدتَّهُ مِنَ الْجُهَّالِ   فَالْجَهْلُ لَا يَرْضَى بِهِ بِحَالِ

65. عَاثَتْ عِيَاثَ القِرْدِ والثَّعَالِي   وَدَاسَتِ الْأَحْرَارَ بِالنِّعَالِ

66. وَحَكَّمَتْ أَهْوَاءَهَا فِي الْمَالِ   وَالْعِرْضِ وَالْأَبْشَارِ وَالْأَحْوَالِ

67. أَنَرْتَجِي الْعَدْلَ مِنَ الْعُذَّالِ   وَنَطْلُبُ النَّصْرَ مِنَ الْخُذَّالِ؟

إلى الأستاذ صالح الأشتر[2][مشطور البسيط]

1. شَائِنُكَ الْأَبْتَـرْ   يَا صَالِحُ الْأَشْتَـرْ

2. إِنْ كَانَ مِنْ لَحْمٍ   فَـأَنْـتَ كَالنَّشْتَرْ

3. نَثْرُكَ قَدْ جَـارَى   نَظْمَ أَخِي شَشْتَرْ[1]

4. النَّـاسُ أَسْقَـاطٌ   فَبِعْ وَلَا تَشْتَرْ

5. وَالْأَصْـلُ خَـتَّارٌ   وَفَـرْعَهُ أَخْتَـرْ[2]

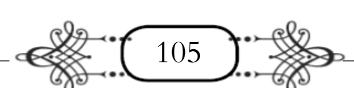
---

(1)"الْقَذَال" مؤخر الرأس.

(2)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي4/411.

(1) نَظْمَ أَخِي شَشْتَرْ" أي نظم الششتري، كما يقال: أخو العرب أي العربي، وهو علي بن عبد الله النميري أبو الحسن الششتري (600 هـ - 668 هـ) ، شاعر صوفي أندلسي، تلميذ ابن سبعين، وناظم بعض الموشحات باللغة العربية الدارجة، ويُنسب إليه القول بوحدة الوجود، وله في ذلك أشعار. (ينظر: ديوان الششتري، مجموع الفتاوى2/294، الجواب الصحيح4/498)

(2)"الخَتَّارُ" الْغَدّار، ويُقَال: "الخَتْرُ" أَسْوَأُ الغدر. (تهذيب اللغة7/130)





6. وَالدَّهْرُ ذُو هِتْـــرٍ ... وَأَهْـــلُهُ أَهْتَـــرْ [1]

7. كُـلُّـهُـمُ دُونًـا ... عَمِّـمْ وَلَا تَـخْتَـرْ

8. إِيَّاكَ أَنْ تَعْـيَا ... فِي النَّصِّ أَوْ تَفْتَرْ

9. إِنْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ ... فَبَطْـنُـهَا أَسْتَـرْ

10. وَالْعُرْبُ فِي مِصْـرٍ ... كَالْعُجْمِ فِي تُسْتُرْ [2]

11. أُنْـثَاهُـمُ زَنٌّ ... وَبِنْـتُـهُمْ دَخْتَـرْ [3]

12. وَيَوْمُـهُـمْ جَـوْرٌ ... وَقَلْـبُـهُمْ أَفْتَـرْ

13. وَأَمْسُـهُـمْ كَـلٌّ ... وَبَيْتُـهُمْ دَفْتَرْ

14. سَوْآتُـهُـمْ كُثْـرٌ ... مَا ضَـمَّهَا دَفْتَـرْ

15. مَنْ مَانَ فِي شَفْعٍ ... كَذِّبْهُ إِنْ أَوْتَرْ

16. حُسَامَـهُ أَمْضَى ... وَقَـوْسَهُ وَتَّـرْ

17. فِي شَرِّهِ أَعْـطَى ... عَنْ خَيْـرِهِ قَتَّـرْ

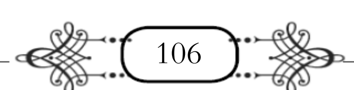
18. قَدْ سَاءَتِ الْـحَالُ ... وَرَبُّـنَا يَسْـتُـرْ

---

(1)"الهِتْرُ" بالكسر: السَقَط من الكلام. وأيضا العَجَب والداهية. (الصحاح2/850)

(2)"تُسْتُرْ" مدينة ببلاد الفارس وهي تابعة لإيران اليوم.

(3)"زَنْ"، "دَخْتَرْ" كلمتان فارسيتان معنى الأولى "أنثى" والثانية "بنت".





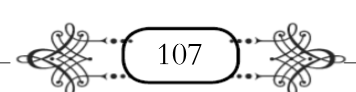
عبد العزيز العلي المطوع[1] [المجتث]

1. عَبْدَ الْعَزِيزِ الْعَلِيَا	نِلْتَ الْمَقَامَ الْعَلِيَّا
2. فَالدِّينُ كَنْزٌ ثَمِينٌ	أَصْبَحْتَ مِنْهُ مَلِيَّا
3. وَالْكَفُّ يَنْهَلُّ جُودًا	وَسْمِيُّهُ وَالْوَلِيَّا
4. مَنْ يَرْجُ عِنْدَكَ خَيْرًا	لَمْ يَلْقَ مَطْلًا وَلِيَّا
5. إِنْ رِيعَ لِلْحَقِّ سِرْبٌ[2]	كُنْتَ النَّصِيرَ الْوَلِيَّا
6. رَأْيٌ وَعَقْلٌ وَفَهْمٌ	يَتْلُو جَلِيٌّ جَلِيَّا
7. لَوْ يَنْشُرُ اللهُ عَبْسًا	وَمَــازِنًا وَبَــلِــيَّا
8. أَلْفَوْكَ صُغْتَ حُلَاهُمْ	لِأُصْبُعَيْكَ حُــلِــيَّا
9. قَدْ أَوْرَثَتْكَ قُرَيْشٌ	فَــخَارَهَا النَّوْفَلِيَّا
10. وَقَلَّدَتْكَ تَــمِــيــمٌ	لِوَاءَهَا النَّــهْــشَــبِــيَّا
11. إِرْثَ الْعُرُوبَةِ مَحْضًا	مُــؤَثَّــلًا أَزَلِــيَّا
12. حَــوَيْــتَــهُ مُــضَــرِيًا	وَحُــزْتَــهُ وَائِــلِــيَّا
13. إِنَّ الْمَــعَالِيَ هَــمٌّ	مَــا بِتَّ مِنْهُ خَلِــيَّا

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي414/4.

عبد العزيز العلي المطوع الكويتي (1328هـ/1910م - 1416هـ/1996م)، كان من الرجال المشهورين بالبر والإحسان والإنفاق في وجوه الخير، وقد أثنى عليه الإبراهيمي في مقال: "دولة القرآن" (الآثار226/4)

(2)"رِيعَ" بالبناء للمفعول أي "فَزِعَ" يقال: "رِيع" فلان "يُراع" إذا فزع. و"السِّرْبُ" بكسر السين النفس، يقال: فلان آمن في سِرْبِه، أي: في نفسه. (تهذيب اللغة114/3 و287/12)





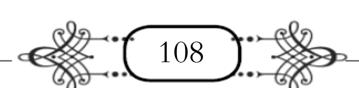
جمعية[1] [مجزوء الرجز]

1. جَمْعِيَّةٌ تَدَاعَتْ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ
2. لِرَدِّ مَا أَضَاعَتْ مِنْ هَدْيِهَا الرُّوحَانِي
3. وَهَدْمِ مَا أَشَاعَتْ عَصَائِبُ الشَّيْطَانِ
4. وَكَفِّ مَا أَذَاعَتْ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ
5. تُحْيِي لَنَا مَا اسْطَاعَتْ هِدَايَةَ الْقُرْآنِ
6. قَدْ أَدْبَرَتْ وَارْتَاعَتْ كَتَائِبُ الطُّغْيَانِ
7. وَأَقْبَلَتْ وَانْصَاعَتْ طَوَائِفُ الْبُرْهَانِ
8. فَلْيَهْنِهَا مَا ابْتَاعَتْ مِنْ تُحَفِ الرِّضْوَانِ
9. إِذَا الْعُقُولُ جَاعَتْ حَامَتْ عَلَى الْأَوْثَانِ
10. أَوِ النُّفُوسُ الْتَاعَتْ هَامَتْ بِدِينٍ ثَانِي
11. وَخَسِرَتْ إِذْ بَاعَتْ بَاقِيَهَا بِالْفَانِي
12. الْقَلْبُ لَا يَنْسَاهَا فِي سَائِرِ الْأَحْيَانِ
13. وَلَمْ تَزَلْ ذِكْرَاهَا وَظِيفَةَ اللِّسَانِ
14. لَعَلَّ أَوْ عَسَاهَا تَرْقَى إِلَى كَيْوَانِ[1]
15. بَالِغَــةً مُـنَــاهَا فِي الْمَالِ وَالسُّلْطَانِ

---

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي407/4.

(1)"كَيْوَان" هو كوكب زحل، وهو في الأصل ممنوع من الصرف لعجمته، إلا أنه صرفه هنا للوزن. (لسان العرب371/13)





الطائرة[1] [الرجز]

1. دَعَا بِيَ الشَّوْقُ إِلَى التَّرْحَالِ وَالشَّوْقُ -إِنْ يَدْعُ- غَرِيمٌ كَالِي
2. فَلَمْ أُوَدِّعْ طَلَّتِي[2] وَآلِي حَتَّى امْتَطَيْتُ جَمَّةَ التَّصْهَالِ
3. بَهِيمَةٌ صِيغَتْ عَلَى مِنْوَالِ وَاجْتَمَعَتْ وَالطَّيْرَ فِي مِثَالِ
4. تَدِينُ بِالْإِسْرَاعِ وَالْإِعْجَالِ لَا تَقْتَضِي بِالرَّيْثِ وَالْإِمْهَالِ
5. طَعَامُهَا النَّارُ وَلَا تُبَالِي تَحْيَا عَلَى الْإِحْرَاقِ وَالْإِشْعَالِ
6. فَاعْجَبْ لَهَا مَشْدُودَةَ الرِّحَالِ بِاللَّيْلِ وَالْإِبْكَارِ وَالْآصَالِ
7. سَمِينَةٌ فِي الْخِصْبِ وَالْإِمْحَالِ وَثِيقَةُ الْأَضْلَاعِ وَالْأَوْصَالِ
8. لَمْ تَشْكُ مِنْ أَيْنٍ وَلَا كَلَالِ قَدْ جَمَعَتْ غَرَائِبَ الْأَشْكَالِ
9. طَيَّارَةٌ تَهْزَأُ بِالْجِبَالِ وَبِالشِّعَابِ الْخُضْرِ وَالْأَوْحَالِ
10. وَبِالرَّوَابِي الْغُبْرِ وَالتِّلَالِ مَا وَطِئَتْ قَطُّ عَلَى الرِّمَالِ
11. إِلَّا بِقَدْرِ الرَّفْعِ وَالْإِنْزَالِ إِنْ حَرَّكَتْ زَفَّتْ زَفِيفَ الرَّالِ[1]
12. وَزَأَرَتْ فِي الْجَوِّ كَالرِّئْبَالِ كَأَنَّهَا سَفِينَةٌ فِي الْآلِ[2]

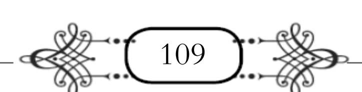
---

(1)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي4/407.

(2)"الطَّلّة" الزوجة. (القاموس1026)

(1)"الزَفيف" سرعة المشي مع تقارب خطو وسكون، وقيل: هو أول عدو النعام. (لسان العرب9/136).
"الرَّأْلُ" ولد النعام، والأنثى "رَأْلَة"، والجمع "رِئَال" و"رِئْلَان". (الصحاح4/1703)

(2)"الْآل" له عدة معان، ولعل المراد هنا السراب، وهو خاص بما في أول النهار كأنه يرفع الشخوص. (تاج العروس28/34)



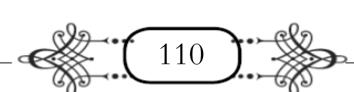


13. وَآيَةُ الْعِلْمِ بِكُلِّ حَالِ مَبْصَرَةٌ جَلَّتْ عَنِ الْجِدَالِ
14. وَتَقْطَعُ الْأَلْفَ مِنَ الْأَمْيَالِ فِي مِثْلِ عُمْرِ سَاعَةِ الوِصَالِ
15. بِالطَّيْرِ لَا بِالْوَخْدِ وَالْأَرْقَالِ[1] يَا حُسْنَهَا قَرِيبَةُ الْمَنَالِ
16. لَوْ لَمْ تَكُنْ مُدْنِيَةَ الْآجَالِ أَنْ بُلِيَتْ بِالنَّقْضِ وَالْإِخْلَالِ
17. لَمْ تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى عِزٍّ وَآلِ يَا سَعْدُ دَالَتْ دَوْلَةُ الْجَمَالِ
18. فَاسْعَدْ إِذَا مَا شِئْتَ بِاشْتِمَالِ لَا تَخْشَ مِنْ مَلَامَةِ الْعُذَّالِ
19. بِمَا جَرَى ذِكْرُكَ فِي الْأَمْثَالِ عَوَّذْتُهَا بِكِلْمَةِ الْجَلَالِ
20. وَبِالْحَوَامِيمِ وَبِالْأَنْفَالِ وَمَا أَتَى فِي سَبْعِهِ الطِّوَالِ
21. نَؤُمُّ نَجْدًا بَرْزَةَ الْمَجَالِ ذَاتَ الرُّبَى وَالْأُكُمِ الْحَوَالِي
22. بِالنُّورِ وَالْحَصْبَاءِ كَاللَّآلِي سِحْرَ النُّهَى وَفِتْنَةَ الْخَيَالِ
23. وَمَبْعَثَ الشِّعْرِ الرَّصِينِ الْغَالِي وَمُرْتَمَى شَوَارِدِ الْأَمْثَالِ
24. وَمَنْبَتَ الْأَمْجَادِ وَالْأَبْطَالِ مَجْلَى الْبَيَانِ الْحُرِّ وَالْأَمْثَالِ
25. فَاضَ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ وَأَلْحَقَ النِّسَاءَ بِالْأَطْفَالِ
26. وَفَارَ مِنْ نَمِيرِهِ السَّلْسَالِ فَجَالَ بَيْنَ جَالِهَا وَالْجَالِ[1]

---

(1)"الوَخْد": سعة الخطو في المشي. و"الإرْقَال" سرعة سير الإبل. (تهذيب اللغة212/7 و83/9)

(1)"النَّمير" الماء العذب. "الجَال" نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها. (تهذيب اللغة 157/15 و129/11)



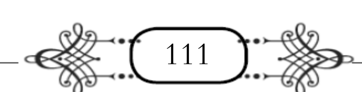


27. زُرْنَا سَعُودًا كَعْبَةَ الْآمَالِ ... وَوَاحِدَ الْآحَادِ فِي الرِّجَالِ
28. وَمَوْرِدَ الْقُصَّادِ وُالْحلَّال ... وَمَصْدَرَ النُّزَّاعِ وَالنُّزَّالِ[1]
29. شَبَّ مَعَ التَّوْحِيدِ وَالْكَمالِ ... عَلَى التُّقَى وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
30. مَمْلَكَةٌ مَشْدُودَةُ الْأَوْصَالِ ... بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَبِالرِّجَالِ
31. مَحْمِيَّةُ الْغَابَاتِ بِالْأَشْبَالِ ... مَحْبُوكَةُ الْأَطْرَافِ بِالْعُمَّالِ
32. مَوْزُونَةُ الْأَبْعَادِ وَالْأَطْوَالِ ... مَحْدُودَةٌ بِالسَّيْفِ مِنْ أُوَالِ[2]
33. إِلَى حُدُودِ الشَّامِ وَالْعَوَالِي ... مَحْفُوفَةٌ بِالسَّعْدِ وَالْإِقْبَالِ

---

(1)"النُّزَّاع" ج "نَازِع" و"نَزِيع"، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي بعد وغاب. (النهاية في غريب الحديث والأثر41/5)، و"النُّزَّال" ج "نازل" و"نزيل" وهو الضيف.

(2)"أُوال" بالضم وبالفتح: جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين. (معجم البلدان274/1)

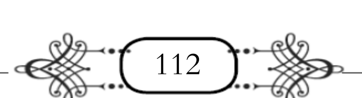









رواية الثلاثة





رواية الثلاثة

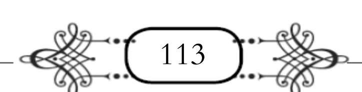
هَذِهِ -أَكْرَمَكَ اللَّهُ- "**رِوَايَةُ الثَّلَاثَةِ**"، وَهِيَ أُرْجُوزَةٌ أَكْثَرُهَا "**لُزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ**"[1] تُمَثِّلُ حَالَةَ ثَلاثَةٍ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ، لَا يُدْفَعُونَ عَنْ فَضْلٍ وَلا أَدَبٍ وَلا ذَكَاءٍ، وَمَا فِيهِمْ إِلَّا بَعِيدُ الْأَثَرِ فِي الْحَرَكَةِ الْإِصْلاحِيَّةِ، وَاسِعُ الخُطَى فِي مَيْدَانِ تَعْلِيمِ النَّاشِئَةِ وَتَرْبِيَّتِهَا، وَكَانَ لَهُمْ شَيْخٌ يُقَارِضُونَهُ[1] بِرًّا بِبِرٍّ، وَتَكْرِمَةً بِتَكْرِمَةٍ، وَكَانَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ يَأْبُوهُمْ وَيَحْبُوهُمْ[2]، وَكَانَتْ لَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ، يُعَامِلُهُمْ بِحَسَبِهَا حَنَانًا وَلُطْفًا وَتَثْقِيفًا، وَكَانُوا يَعُدُّونَ أَيَّامَ اجْتِمَاعِهِمْ بِهِ- وَهِيَ قَلِيلَةٌ - غُرَرَ أَعْمَارِهِمْ، يَتَسَبَّبُونَ لَهَا الْأَسْبَابَ، لِمَا يُفِيضُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ طَرَائِفِ الْأَدَبِ، وَلَطَائِفِ الْحِكْمَةِ، وَيُطَايِبُهُمْ بِهِ مِنْ بَارِعِ النُّكَتِ، وَمُلَحِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَفَاكِيهِ، وَغَرَائِبِ اللُّغَةِ وَالْأَخْبَارِ، فَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ لَا يَخْتَلِفونَ فِي تَرْجِيحِ وَزْنِهِ فِي الْمَوَازِينِ وَالْمُغَالَاةِ بِقِيمَتِهِ إِلَى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ.

---

(1)ويقال له "الإِعْنَات"، والعَنَت المشقة، لأن فيه زيادة على السجع، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا، وفي الشِّعر أن يلتزم حرفا مخصوصا قبل حرف الروي، والحاصل أن المؤلف يلتزم ما لا يلزمه عليه ليدل به على قوته واتساع باعه. (المثل السائر281/1، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص:265)

(1) من القرض، يقال: فلانا وفلانا يتقارضان الثناء، إذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه، وكأن كل واحد منهما أقرض صاحبه ثناء كقرض المال. (مقاييس اللغة72/5)

(2)*يأْبُوهُم: يُعاملهم معاملةَ الأبِ لأبنائه. يَحْبُوهم: يُعطيهم.





ثُمَّ طَرَقَ الدَّهْرُ بِحَادِثٍ حَالَ بَيْنَهمْ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، إِلَّا رَسائِلَ تَنْفُضُ عَلَيْها القلوبُ مَا تُكِنُّ، وَتُودِعُهَا النُّفُوسُ والْعَوَاطِفُ مَا تُجِنُّ[1]، فَكَانَ الظَّنُّ بِالثَّلَاثَةِ، أَنَّهُمْ يُجَلُّونَ[2] فِي هَذَا الْمِضْمَارِ، وَيَسْبِقُونَ جَمِيعَ النَّاسِ فِيهِ، وَلَكِنَّهُمْ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ نَسُوهُ، وَكَأَنَّهُمْ التُّرَابَ[3] دَسُّوهُ، وَقَطَعُوا حَبْلَ الاِتِّصَالِ الْكِتَابِي بِهِ الْبَتَّةَ[1]، فَأَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِ الشَّيْخِ، أَوْ أَلْقَى هُوَ عَلَى لِسَانِ الشَّيْطَانِ هَذِهِ الْأُرْجُوزَةَ الطَّوِيلَةَ، وَنَحَلَ[2] كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ فُصُولٍ وَمَعَانٍ فِي صُوَرِ مَجَالِسَ، يَتَجاذَبُونَ فِيهَا أَطْرَافَ الْحَدِيثِ عَنْ هَذِهِ الزَّلَّةِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا، فَرَادٌّ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَسَائِلٌ وَمُجِيبٌ، وَهَاجِمٌ وَدَافِعٌ، وَبَانٍ وَهَادِمٌ، وَتَنْعَقِدُ مِنَ الْأَحَادِيثِ مُنَاسَبَاتٌ وَأَشْبَاهُ مُنَاسَبَاتٍ، فَتَتَوَالَدُ مِنْ بَيْنِهَا أَغْرَاضٌ فِي الْأَدَبِ، وَمَنَاحٍ فِي النَّقْدِ، وَخَبَايَا الْأَنْفُسِ وَالطَّبَائِعِ، وَقَدْ أَلْبَسَ الشَّيْخُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ لَبُوسًا خَاصًّا فِي كُلِّ مَا نَحَلَهُ مِنْ قَولٍ، وَسَلَكَ بِهِ مَسْلَكًا خَاصًّا لَمْ يَحِدْ عَنْهُ عَلَى طُولِ الرِّوَايَةِ.

---

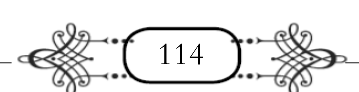
(1)*تُكِنُّ: تستر. تُجِنُّ: تُخفى.

(2) يجلون: يسبقون، وقد جعلوا للخيل بحسب سبقهم في المضمار أسماء؛ فالأول: الْمُجَلِّي، والثاني: الْمُصَلِّي، والثالث: الْمُسَلِّي، وَالرابع: التَّالِي، والخامس: الحَظِيُّ، والسادس: الْمُؤَمِّلُ، والسابع: الْمُرْتاحُ، والثامن: العاطِفُ، والتاسع: اللَّطِيمُ، والعاشر: السُّكَيْتُ. (لسان العرب2/123)

(3) منصوب بنزع الخافض، والتقدير: كأنهم في التراب دسُّوه.

(1)"البَتُّ" القطع "والبَتَّة" منه، وتستعمل في كل أمر يمضى ولا يرجع فيه. (مقاييس اللغة1/170)

(2)*نحل: أعطى.





نَظَمَ الشَّيْخُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ، وَتَخَيَّلَ مَعَانِيَهَا فِي أَوْقَاتٍ مُتَضَارِبَةٍ، كَانَتِ الْوَحْشَةُ وَالْمَلَلُ أَلْزَمَ صِفَاتِهَا، فَجَعَلَهَا مِذَبَّةً[1] لِلْوَحْشَةِ، وَمَجْلَبَةً لِلْأُنْسِ وَأَدَاةً لِلتَّسْلِيَةِ.

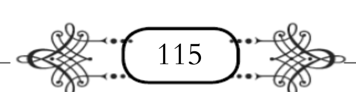
الثَّلَاثَةُ هُمْ:

الشَّيْخُ: السَّعِيدُ بْنُ حَافِظٍ، مُدِيرُ مَدْرَسَةِ التَّرْبِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِ الحُرَّةِ بِقَسَنْطِينَةَ، وَالْأُسْتَاذَانِ: عَبْدُ الْحَفِيظِ **"الْجَنَّانِ"**، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَابِدِ **"الجَلَّالِي"** الْمُعَلِّمَانِ بِهَا، وَشَيْخُهُمْ هُوَ مُؤَلِّفُ الرِّوَايَةِ، كَانَتِ الْفِكْرَةُ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَيْهَا الرِّوَايَةُ أَنَّهُ لَا سَبَبَ لِانْقِطَاعِ الثَّلَاثَةِ وَجَفَائِهِمْ لِلشَّيْخِ إِلَّا **"الْفَرَنْكُ"**[1]، أَعْنَي قِيمَةَ طَابَعِ الْبَرِيدِ الَّذِي يَحْمِلُ الرِّسَالَةَ إِلَيهِ، وَهُوَ لَا يَطْمَعُ مِنْهُمْ فَي أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الصِّلَةِ، وَهُوَ فِي مِحْنَتِهِ الَّتِي هُوَ بِهَا أَحْوَجُ إِلَى الْمُقَوِّيَاتِ الرُّوحِيَّةِ مِنْهُ إِلَى الْمُقَوِّمَاتِ الْمَادِّيَّةِ، وَكَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُمْ مَا يَعْتَقِدُهُ فِيهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يُكْثِرُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ- وَهُمْ بِحُكْمِ وَظِيفَتِهِمْ مُجْتَمِعُونَ دَائِمًا- الْحَدِيثَ عَنْهُ وَالشَّوْقَ إِلَيْهِ، وَيَضِيقُونَ ذَرْعًا بِالرِّسَالَةِ مِنْهُ يَأْتِي لِغَيْرِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا حُدِّثُوا بِالْكِتَابَةِ إِلَيهِ، أَوْ حَدَّثَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، جَمَدَتِ الْعَوَاطِفُ، وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَجفَّ الرِّيقُ، وَانْتَصَبَ خَيَالُ الْفَرَنْكِ اللَّعِينِ، فَقَضِى عَلِى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُمْ يَتَأَلَّمُونَ تَأَلُّمًا نَفْسَانِيًّا، وَتَخِزُهُمْ ضَمَائِرُهُمْ، وَلَكِنْ شَبَحُ الْفَرَنْكِ يَمْسَحُ كُلَّ ذَلِكَ مَسْحَةَ السُّلُوِّ.

---

(1)"مِذَبَّة" اسم آلة على وزن "مِفْعَلَة" وهي ما يُذَبُّ بها الذباب، أي يُطرد، فشبه هنا الوحشة بالذباب، والمقصود أن هذه الرواية تَطْرُد عنه الوحشة كما تطرد المذبة الذباب.

(1)"الْفَرَنْكُ" عملة فرنسا القديمة، وكانت الجزائر إذ ذاك مستعمرة فرنسية.



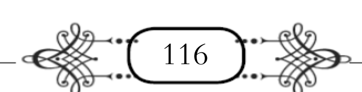


كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ كَاتِبٌ، فَلَا تُعْطِي عَمَلِيَّةُ السَّبْرِ[1] عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ إِلَّا عِلَّةً وَاحِدَةً لِهَذَا الْجَفَاءِ وَهَذَا الْجَفَافِ، وَهِيَ **"الْفَرَنْكُ"**، وَيَطُولُ الْأَمَدُ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُحِسُّ بِلُصُوقِ هَذَا الْعَارِ وَقُبْحِ أَثَرِهِ هُوَ الْمُدِيرُ، وَيَرَى أَنَّ الْعَارَ لَحِقَ الثَّلَاثَةَ مُشْتَرِكِينَ، فَيَجِبُ أَنْ يَغْسِلُوهُ مُشْتَرِكِينَ، وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ كَانُوا وَمَا زَالُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ أَمْرِينِ: حُبِّ الشَّيْخِ، وَحُبِّ الْفَرَنْكِ، فَلْيَجْتَمِعُوا لِيُرَجِّحُوا أَحَدَ الْحُبَّيْنِ عَلَى الْآخَرِ، وَيَكْتُبُ اسْتِدْعَاءً إِلَى رَفِيقَيْهِ لِلْحُضُورِ وَالْمُفَاوَضَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ الْخَطِيرِ، وَفِي هَذَا الاِسْتِدْعَاءِ مَخَايِلُ مِنْ تَنَطُّعِ الْإِدَارِيِّينَ، وَغَطْرَسَةِ الْمُدِيرِينَ، وَسَخَافَةِ الْمُعَلِّمِينَ، وَيَصِلُ الاِسْتِدْعَاءُ إِلَى الرَّفِيقَيْنِ مُجْمَلًا لَا بَيَانَ فِيهِ لِغَرَضٍ، إِلَّا تَهْوِيلًا وَتَطْوِيلًا، فَأَلْهَمَهُمَا سِرُّ الْفَرَنْكِ أَنَّ فِي هَذَا الْجَمْعِ شَرًا سَيَذْهَبُ بِفَرَنْكٍ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ، أَوْ بِأَبْعَاضِهِ وَأَجْزَائِهِ، وَهُمْ يَحْفَظُونَ مِنْ تَفَارِيقِ الْأَدَبِ قَوْلَ الْأَعْرَابِي لِابْنَتِهِ: "الدِّرْهَمُ عُشُرُ الْعَشَرَةِ، وَالْعَشْرَةُ عُشُرُ الْمِائَةِ، وَالْمِائَةُ عُشُرُ الْأَلْفِ، وَالْأَلْفُ عُشُرُ دِيَتِكِ"[1]، وَلِذَلِكَ تَرَاهُمَا عَلَى طُولِ الرِّوَايَةِ حَذِرَيْنِ يَقِظَيْنِ لِمَكَايِدِ

---

(1)السبر: الاختبار، وهو عند أهل الأصول يكون بحصر أوصاف المحل ثم بإبطال ما ليس صالحا للتعليل بطريق من طرق الإبطال فيتعين الوصف الباقي. (مذكرة في أصول الفقه ص:307)، فيقال هنا مثلا: إنهم لم يكاتبوه إما لأنهم لا يحسنون الكتابة أو لأنهم لا يرغبون فيها أو...وهذه الأوصاف كلها باطلة؛ لأنهم أساتذة يحسنون الكتابة، وهم يحبونه ويتألمون لعدم مراسلتهم، فيبقى أنهم لا يراسلونه إلا لأجل "الفرنك"

(1)هذه القصة تضرب لاستعظام الأمر الحقير، وقد أوردها الحاحظ(البخلاء ص:198، البيان والتبيين 141/2) والقالي في أماليه (278/2)، وذلك أن رجلا سأل خَالِدَ بنَ صَفْوَانَ وكان ممن اشتهر بالبخل، فأعطاه درهما، فاستقله السائل، فقال: يا أحمق إن الدرهم عشر العشرة...ثم قال: أما ترى كيف ارتفع الدرهم إلى ديّة مسلم.





الْمُدِيرِ، يُوجِسَانِ[1] خِيفَةً مِنْ عَرْضِ الْمَقْصُودِ، وخُصُوصًا ابْنَ الْعَابِدِ، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ بِرَفِيقَيْهِ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَسْتَطْرِدُ لِيَبْعُدَ بِالْجَلْسَةِ عَمَّا عُقِدَتْ لِأَجْلِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَكْرٌ مِنْهُ، وَغَطْرَسَةٌ وَشَيْطَنَةٌ، وَهُرُوبٌ مِمَّا كَانَ يَتَخَيَّلُهُ مِنَ الشَّرِّ، وَمَا الشَّرُّ عِنْدَهُ إِلَّا مَا عَلِمْتَ[2].

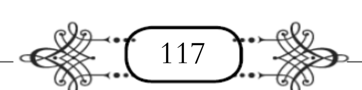
عَقَدُوا الْجَلْسَةَ الْأُولَى، وَخَطَبَ الرَّئِيسُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ بِصِفَةِ الْبَشِيرِ، لِيُنَبِّهَ الْجَمَاعَةَ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ مِنَ الْحَقِيقَةِ بَرَاعَةَ اسْتِهْلَالٍ، كَمَا يَرْكَبُهَا النَّظَّامُونَ لِلْمُتُونِ، وَكَمَا يُسَمُّونَهَا، فَجَرَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ إِلَى كَلِمَاتٍ، وَجَاءَتْ مُشْكِلَةُ رِئَاسَةِ الْجَلْسَةِ، فَاحْتَلَّتْ مَكَانَ الْمُشْكِلَةِ، وَتَبارَى الْأُسْتَاذَانِ فِي الْبِنَاءِ وَالْهَدْمِ لِلْكَلَامِ، حَتَّى انْتَهَتِ الْجَلْسَةُ الْأُولَى "الطَّوِيلَةُ" بِحَلِّ الْمُشْكِلَةِ الْفَرْعِيَّةِ وَاتَّفَقُوا – بَعْدَ مُحَاوَرَاتٍ وَمُدَاوَرَاتٍ– عَلَى رِئَاسَةِ "الْمُدِيرِ".

جَاءَتِ الْجَلْسَةُ الثَّانِيَّةُ وَالرَّئِيسُ يَحْمِلُ إِحْسَاسًا قَوِيًّا بِأَنَّهُ لَاقٍ وَلَا بُدَّ دُونَ الْوُصُولِ إِلَى عَرْضِ الْمَقْصُودِ عَقَبَاتٍ مِنَ اسْتِطْرَادَاتِ ابْنِ الْعَابِدِ وَافْتِنانِهِ فِي النَّقْدِ وَالْهُجُومِ وَالْخُرُوجِ، وَأَنَّهُ لَاقٍ أَكْبَرَ مِنْهُمَا، إِذَا هُوَ وَصَلَ إِلَى الْمَقْصُودِ وَعَرَضَ الْقَضِيَّةَ، وَوَقَفَتْ مُشْكِلَةُ الفَرَنْكِ فِي الطَّرِيقِ، وَانْتَهَوْا فِي حَلِّهَا إِلَى طَرْقِ حِمَاهُ[1]، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الإِنْصَافَ الكَامِلَ يقْتَضِيهِمْ أَنْ يَتَحَمَّلُوهُ أَثْلَاثًا، وَلَكِنَّ الْفَرَنْكَ

(1) أوجس يوجس، وتوجس يتوجس الشيء: أحس به، ومنه قوله تعالى: "فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى"، و"التوَجُّس" أيضا التَّسَمُّع إلى الصوت الخفي.(لسان العرب253/6)

(2) الشر في نفسه ينحصر في بذل الفرنك.

(1)*ضمير "حِمَاهُ" يعود على الفرنك.

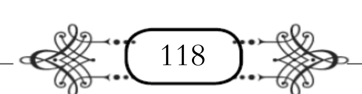




الْمَلْعُونَ لَا يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةٍ انْقِسَامًا صَحِيحًا، فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْكُسُورَ "الصَّانْتِيمَاتِ"؟ وَهَذِهِ مُشْكِلَةٌ عَلَى حِدَةٍ، وَالْإِنْصَافُ النَّاقِصُ يَقْتَضِي أَنْ يَدْفَعَ الفَرَنْكَ ابْنُ الْعَابِدِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ أَعْزَبُ، وَهُمَا مُتَأَهِّلَانِ وَلَهُمَا أَطْفالٌ، وَكَانَ الرَّئِيسُ نَفْسُهُ يَتَمَنَّى الْحَلَّ الثَّانِي، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّانَ لَا يُوَافِقُ بِسُهُولَةٍ عَلَى الْحَلِّ الْأَوَّلِ، بِمَا فِيهِ مِنْ مُشْكِلَةِ الْكُسُورِ، وَأَنَّ ابْنَ الْعَابِدِ لَا يُوَافِقُ عَلَى الْحَلِّ الثَّانِي، فَلْيَلْتَجِئْ إِلَى الْحَلِّ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْإِنْصَافُ الْكَامِلُ، وَتَقُومُ مُشْكِلَةُ الْكُسُورِ، لِذَلِكَ عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِ الْجَلْسَةِ مَسْأَلَةُ "الْصَّوْتَيْنِ" لِلرَّئِيسِ، وَجَعَلَهَا فِي مُقَدِّمَةِ الْأَعْمَالِ، وَانْتَقَلَ مِنْهَا بَعْدَ مَعَاسَرَةِ الْجَمَاعَةِ لَهُ فِيهَا إِلَى أُخْرَى وَهِيَ زِيَادَةُ عُضْوٍ، وَمُرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الرَّفِيقَيْنِ، لِيَتَغَلَّبَ رَأْيَهُ عَلَى رَأْيِهِمَا فِي الْخِلَافِ، وَإِنِ اضْطُرَّ إِلَى الْحَلِّ الْأَوَّلِ كَانَ الْعُضْوُ الرَّابِعُ مُصَحِّحًا لِلقِسْمَةِ، وَمُزِيلًا لِمُشْكِلَةِ الْكُسُورِ، لِأَنَّ الفَرَنْكَ يَنْقَسِمُ عَلَى أَرْبَعَةٍ انْقِسَامًا صَحِيحًا، وَقَدْ عَاسَرَهُ الرَّفِيقَانِ -وَخُصُوصًا ابْنُ الْعَابِدِ- فِي مَسْأَلَةِ الصَّوْتَيْنِ وَزِيَادَةِ العُضْوِ مُعَاسَرَةً شَدِيدَةً، فَاحْتَالَ عَلَى عَوَاطِفِهِ بِقَصِيدَةٍ قَافِيَةٍ، بَلِيغَةِ الْمَعَانِي، تُؤَثِّرُ عَلَى الْأُدَبَاءِ، أَمْثَالِ ابْنِ الْعَابِدِ، فَلَانَ بَعْدَهَا وَمَالَ إِلَى الْمُيَاسَرَةِ، وَانْتَهَتْ مَسْأَلَةُ الْعُضْوِ بِمُوَافَقَةٍ تَامَّةٍ بِسَبَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا الْقَصِيدَةُ، وَالثَّانِي إِعْلَانُ الرَّئِيسِ لِاسْمِ الْعُضْوِ الْمَزِيدِ، وَاسْمُهُ مَحْبُوبٌ مِنْهُمْ جَمِيعًا، وَقَدْ تَوَسَّمَ الْخَيْرَ فِي ابْنِ الْعَابِدِ، وَطَالَتِ الْجَلْسَةُ، وَتَعَدَّدَتْ مَشَاهِدُهَا، وَضَاقَ ذَرْعُ الْجَنَّانِ بِهَذَا التَّطْوِيلِ، فَثَارَ ثَائِرُهُ، وَأَسْمَعَ الرَّفِيقَيْنِ قَوَارِصَ[1]

---

(1)القوارص جمع قَرصة، والقَرْصُ يكون بِاللِّسَانِ والأصابع، يُقَال: لَا تَقْرُصُني مِنْهُم قارصةٌ، أي كلمة مؤذية. وقال ابن فارس: القوارص هي الشتائم، كأن العِرْض يُقْرص قَرْصا إذا قيل فيه ما لا يحسن. (تهذيب اللغة 284/2، مقاييس اللغة71/5)





التَّأْنِيبِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَلِّهِ، فَقَدْ بَقِيَ الْمَوْضُوعُ سِرًا مَطْوِيًّا فِي صَدْرِ الرَّئِيسِ، يُرِيدُ أَنْ لَا يُفْشِيَهُ حَتَّى يَحْضُرَ الْعُضْوُ الْجَدِيدُ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْجَلْسَةِ، وَتَقْرِيرِ التَّالِيَةِ فِي الْغَدِ، كَتَبَ الرَّئِيسُ اسْتِدْعَاءً مُطَوَّلًا إِلَى الْأُسْتَاذِ بُوشْمَال، وَهُوَ الْعُضْوُ الْجَدِيدُ، يَدْعُوهُ إِلَى الْحُضُورِ فِي الْجَلْسَةِ الثَّالِثَةِ، وَيَبُثُّ شَكْوَاهُ الْمُرَّةَ مِنْ رَفِيقَيْهِ، وَلَمْ يُصَرِّحْ لَهُ بِالْقَصْدِ مِنَ الاِجْتِمَاعِ، بَلْ طَوَى السِّرَّ عَنْهُ كَمَا طَوَاهُ عَنْ رَفِيقَيْهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ.

جَاءَتِ الْجَلْسَةُ الثَّالِثَةُ، وَحَضَرَ أَبُو شِمَالٍ، وَفِيهَا كَشَفَ الرَّئِيسُ الْغِطَاءَ عَنِ الْحَقِيقَةِ، بَعْدَ مُقَدِّمَةٍ مُؤَثِّرَةٍ، وَتَمْهِيدٍ بَلِيغٍ، فَشَرَحَهَا الرَّئِيسُ، وَسَلَّمَهَا الْجَمَاعَةَ، وَاعْتَرَفُوا بِالْمُشْكِلَةِ وَالدَّاءِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْحَلِّ وَالدَّوَاءِ، جَاءَ الفَرَنْكُ، وَقَعَدَ فِي السَّاقِيَةِ، وَهُنَا يَشْتَدُّ الْخِلَافُ، وَتَحْتَدُّ الْمُنَاقَشَةُ، وَتَقُومُ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، وَتُعْرَضُ الْحُلُولُ، فَيَكُونُ بوَشْمَالَ مِنْ أَنْصَارِ الْحَلِّ الْأَوَّلِ، وَلِهَذَا يَقُولُ لِلرَّئِيسِ:

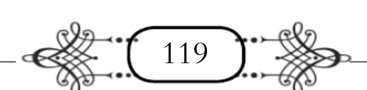
أَهْمِسُ فِي أُذْنِ الرَّئِيسِ هَمْسَهْ ... نَقْسِمُهَا لِكُلِّ فَرْدٍ خَمْسَهْ

وَيَكُونُ الرَّئِيسُ وَالْجَنَّانُ مِنْ أَنْصَارِ الْحَلِّ الثَّانِي، وَهُوَ الْحَمْلُ عَلَى ابْنِ الْعَابِدِ، وَيَنْبَرِي ابْنُ الْعَابِدِ لِنقْضِ هَذَا الْحُكْمِ الْجَائِرِ، وَالدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الْمَشْهَدُ الْأَخِيرُ، فَيَقِفَ ابْنُ الْعَابِدِ، وَيَرْتَجِلَ ذَلِكَ الْفَصْلَ، فِي الدِّفَاعِ عَنْ فَرَنْكِهِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ سِوَاهُ، وَيَفْتَنَّ فِي وَصْفِهِ وَإِطْرَائِهِ، لِيُبَرِّرَ ضَنَانَتَهُ[1] بِهِ، وَمِنْ أَبْلَغِ مَا يَقُولُ فِيهِ:

أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ وَحِيدِ أُمِّهِ ... كُلُّ الْمُنَى فِي ضَمِّهِ وَشَمِّهِ

---

(1)ضَنَّ بِالشَّيْءِ يضنُّ بِهِ ضَنًّا وَضَنَانَةً، بخل، ومنه قوله تعالى: "وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ" أي ببخيل، بل يبذله لكل أحد.





وَيَخْتِمُ الْفَصْلَ بِنُكْتَةٍ، يُحَتِّمُ عَلَيْهِ الِاعْتِذَارُ الِاعْتِرَافَ بِهَا، وَهِيَ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلشَّيْخِ، وَيَصِفُ هَذِهِ الْعَدَاوَةَ أَبْلغَ وَصْفٍ، لِيَشْرَحَ سَبَبَهَا فَيَقُولُ:

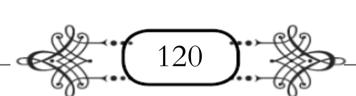
وَهَلْ أَتَاكُمْ وَالْكِذَابُ يُرْدِي أَنِّـي سَـلَـلْتُ بُـرْدَهُ مِـنْ بُـرْدِي
لِأَنَّهُ قَدْ سَبَّنِي سَبًّا شَنِـيعْ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كُنْتُ كَالْحِصْنِ الْمَنِيعْ
وَنَالَ مِنِّي سَجْعُهُ الْقَبِيحُ مَا لَـمْ يُـبِحْهُ فِي الْوَرَى مُـبِـيحُ
وَعَدَّنِي مِنْ عُصْبَةِ الْيَهُودِ وَهَـؤُلَاءِ كُـلُّـهُـمْ شُـهُـودِي
قَدْ قَرَأُوا كِتَابَهُ إِلَيَّا وَأَثْـبَـتُـوا تَـشْـنِـيعَهُ عَـلَـيَّـا

مَظاهر الأبطالِ الثلاثةِ في الرِّوايةِ

لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ مَظْهَرٌ ظَهَرَ بِهِ فِي جَمِيعِ مَوَاقِفِ الرِّوَايَةِ، تَحْقِيقًا لِشَخْصِيَّتِهِ فِيهَا، وَيَسْتَطِيعُ الْمُحَلِّلَ لِلرِّوَايَةِ، أَنْ يَسْتَخْرِجَ مَنَاحِيَ أُخْرَىَ غَيْرَ مَا نَذْكُرُهُ وَإِنَّمَا نَذْكُرُ الْأُصُولَ:

فَالرَّئِيسُ: يَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الْمُدِيرِ الَّذِي لَمْ تُفَارِقْهُ رُسُومُ الْإِدَارَةِ.

- الْمُحَافَظَةِ عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ حَتَّى فِي الْمَوَاقِفِ الَّتِي يَجِبُ إِلْغَاؤُهَا فِيهَا.
- الْخَائِفِ الَّذِي لَا يَلْتَمِسُ الْقُوَّةَ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَلْتَمِسُهَا مِنْ غَيْرِهِ.
- السَّيِّئُ الظَّنِّ بِالرَفِيقَيْنَ يَحْكُمُ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا يَحْمِلَانِ لَهُ حِقْدًا، وَيَنْطَوِيَانِ لَهُ عَلَى ضَغِينَةٍ، مِمَّا يَحْمِلُهُ الْمُعَلِّمُونَ لِلْمُدِيرِينَ، فَهُوَ يُدَاوِرُهُمَا فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ مُدَاوَرةَ الْكَيْدِ، وَيَسْعَى كُلَّمَا لَاحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمَا، حَتَّى يَكُونَ أَحَدُهُمَا ظَهِيرًا لَهُ عَلَى الْآخَرِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ فِي





ذَلِكَ، لِأَنَّ الْالْتِحَامَ بَيْنَهُمَا شَدِيدٌ، وَلِأَنَّهُمَا عَلَى حَذَرٍ دَائِمٍ مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَصَغْوُهُ فِي الْغَالِبِ لِلْجَنَّانِ، وَالْجَنَّانُ يُبَادِلُهُ بُعْضَ ذَلِكَ إِخْلَاصًا فِي مَحَلِّ الْإِخْلَاصِ، وَمُكَايَدَةً فِي مَحَلِّ الْكَيْدِ.

وَالْأُسْتَاذُ ابْنُ الْعَابِدِ: يَظْهَرُ بِمَا يَأْتِي لِجَمَالِهِ:

- مُتَوَقِّعٌ لِلشَّرِّ وَالْخَسَارَةِ الْمَالِيَّةِ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الِاجْتِمَاعَاتِ.
- مُعَارِضٌ لِلرَّئِيسِ فِيمَا يَقُولُهُ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا.
- بَاذِلٌ جُهْدَهُ فِي إِبْعَادِ هَذِهِ النَّكْبَةِ، وَتَأْخِيرِهَا بِقَدَرِ الْإِمْكَانِ.
- غَيْرُ وَاثِقٍ بِالْجَنَّانِ إِلَى النِّهَايَةِ، فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى النَّكْبَةِ الَّتِي يَتَوَقَّعُهَا.
- مُوَلِّدٌ لِلْأَعَاجِيبِ مِنَ الْهَنَاتِ الْيَسِيرَةِ.
- وَاقِفٌ بِالْمِرْصَادِ لِنَقْدِ مَا يَجِبُ نَقْدُهُ، وَقَدْ أَجَادَ فِي الْكَثِيرِ.

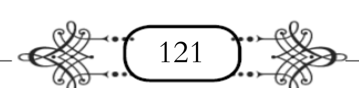
وَالْأُسْتَاذُ الْجَنَّانِ: يَظْهَرُ فِي الْمَظَاهِرِ الْآتِيَةِ:

- الْمُسَالَمَةُ وَالْمُلَايَنَةُ إِلَّا فِي مَوَاقِفِ الْجِدِّ.
- اللَّعِبُ عَلَى حَبْلَيْنِ وَلَوْ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ.
- السَّعْيُ فِي الْإِصْلَاحِ كُلَّمَا تَفَاقَمَ خِلَافٌ.
- الْمَيْلُ إِلَى الشِّرْعَةِ وَالْحَزْمِ.

أسلوب الرواية

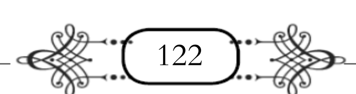
أَمَّا أُسْلُوبُهَا فَهُوَ:

- سَهْلٌ مُنْسَجِمٌ.




- مُتَلَاحِمُ النَّسْجِ.
- مَتِينُ التَّرْكِيبِ.
- فَصِيحُ الْمُفْرَدَاتِ.
- لَيْسَ فِيهِ تَكَلُّفٌ، وَلَا رُكُوبُ الضَّرُورَاتِ الَّتِي أَلِفَ الرَّاجِزُونَ رُكُوبَهَا.
- بَرِيءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ وَالْحَشْوِ الَّذِي أَلِفُوا أَنْ يَخْتِمُوا بِهِ الْأَبْيَاتَ، ضُعْفًا مِنْهُمْ، وَضَيْقَ عَطَنٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَقِصَرَ بَاعٍ فِي مُفْرَدَاتِهَا وَتَرَاكِيبِهَا.
- وَفِي أَكْثَرِ أَبْيَاتِهَا **"لُزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ"** مِنَ الْتِزَامِ حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ فِي الرَّوِيِّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ هَذَا النَّوْعِ مَقْبُولٌ مُتَمَكِّنٌ.
- وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّجْنِيسِ، وَكُلُّهَا مِنَ النَّوْعِ الْعَالِي، الْمُتَمَكِّنِ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ الْبَرِيءِ مِنْ التَّكَلُّفِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ اسْتِرْسَالِ الطَّبْعِ، وَقُوَّةِ الْأَسْرِ، وَرُوحِ الْمَلَكَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ.
- وَفِيهَا أَبْيَاتٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِمَعَانِيهَا، تَجْرِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ.
- وَفِيهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ، الَّتِي لَمْ يَأْلَفِ الْكُتَّابُ وَالشُّعَرَاءُ اسْتِخْدَامَهَا، وَحَبَّذَا لَوْ اسْتَعْمَلُوهَا وَأَكْثَرُوا مِنْهَا، فَإِنَّهَا زِيَادَةٌ فِي ثَرَاءِ اللُّغَةِ وَتَوْسِيعٌ لَهَا، وَلَيْسَ فِي الْأَرَاجِيزِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِهَا الدُّنْيَا شَيْءٌ سَهْلٌ مُسْتَسَاغٌ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَرَاجِيزِ فُحُولِ الْبَيَانِ، مِثْلُ رَقْمِ الْحُلَلِ لِابْنِ الْخَطِيبِ، وَدُوَلِ الْإِسْلَامِ لِشَوْقِي، وَمَا رَأَيْتُ قَوْمًا طَاعَ لَهُمُ الرَّجَزَ وَانْقَادَ كَعُلَمَاءِ شَنْقِيطْ، مَعَ السُّهُولَةِ عَلَيْهِمْ فِي النَّظْمِ، وَمَتَانَةِ السَّبْكِ.

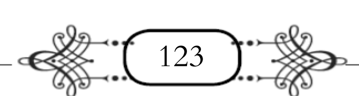







وَبَعْدُ، فَقَدْ دَاعَبْنَا بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ ثَلَاثَةَ أَسَاتِذَةٍ، هُمْ لَنَا أَبْنَاءٌ، وَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِخْوَةٌ كُلُّهُمْ أُدَبَاءُ، فَعَسَى أَنْ تَكُونَ حَافِزَةً لِهِمَمِهِمْ فِي التَّدْرِيبِ عَلَى هَذَا النَّوْعِ الرَّاقِي مِنَ الْأَدَبِ الْهَزْلِيِّ، وَلَوْ نُظِّمَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ فِي عُصُورِ الْإِقْبَالِ عَلَى الْأَدَبِ، لَطَارَتْ كُلَّ مَطَارٍ، وَتَلَقَّاهَا الرُّوَاةُ وَالنَّقَلَةُ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنْ إِجْلَالٍ.

محمد البشير الإبراهيمي





صورة الاستدعاء من المدير

1. إِلَى الْفَتَى "**عَبْدِ الْحَفِيظِ الْجَنَّانْ**" أَدَامَهُ الْمَوْلَى الْحَفِيظُ الْمَنَّانْ
2. مُؤَدِّبِ الصِّبْيَانِ فِي مَدْرَسَتِي وَحَامِلِ الْأَثْقَالِ مِنْ غَطْرَسَتِي
3. مَسْكَنُهُ فِي "زَنْقَةٍ" لَا تُعْرَفُ إِذْ طُمِسَتْ مِنْ جَانِبَيْهَا الْأَحْرُفُ(1)
4. وَوَسْمُهُ إِمْسَاكُ قَرْنِ الثَّوْرِ فِي يَدِهِ كَنَافِخٍ فِي الصُّورِ(1)
5. وَهَذِهِ عَلَامَةٌ مُنْفَصِلَهْ تَتْبَعُهَا عَلَامَةٌ مُتَّصِلَهْ
6. ثُمَّ إِلَى الشَّيْخِ الْأَدِيبِ الْكَاتِبِ الْمُرْتَقِي لِأَسْفَلِ الْمَرَاتِبِ
7. الْمُرْتَضَى "**مُحَمَّدِ بْنِ الْعَابِدْ**"(2) لَا زَالَ فِي جُهْدِ الشَّقَا يُكَابِدْ

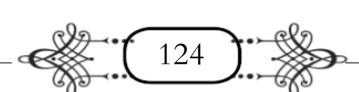
---

(1)"زَنْقَة" هي السكة الضيقة، ولا يزال يستعمل بهذا المعنى. (لسان العرب146/10)

(1)القرن بمعنى الصور، والمقصود أن علامة الجنان في هذه الرواية أنه يكثر استعمال "الشمة" أي التبغ، ويتفنن في مدحها كما سيأتي في البيت رقم: 436 وما بعده، ولا يظن هذا بالشيخ الجنان، كما لا يظن بالباقين ما وُصفوا به من البخل بالفرنك لمراسلة الإبراهيمي، لأن هذه الرواية مبنية على الملاطفة والممازحة.

قال عنه الإبراهيمي: شاب كله شعور وقلب، فتح عينيه على بوارق النهضة الإصلاحية الأولى، فخطا أول خطوة في الحياة على ضوئها، ثم واصل سيره على هداها، لم ينحرف به عن صراطها إقلال ولا رقة حال، ولا أذى راصد ولا كيد مبيت، بل ظل يزداد ثباتا كلما زادته الحوادث عركا، تلقى العلم على الأستاذ ابن باديس سنين، ثم عاجلته الظروف وغمسته في العمل فاشتغل بتلقين القرآن للصبيان، فقدم للنهضة عملا لا يقدره حق قدره إلا القليل وهو تقويم ألسنة الصبيان على النطق بالحروف العربية نطقا صحيحا متينا مبرأ من الزيغ عن المخارج الأصلية، ومن الحيد عن الصفات المحققة. (الآثار366/1)

(2)**قال عنه الإبراهيمي**: من قدماء تلامذة الأستاذ بن باديس ومن بواكر النهضة الأدبية، أديب مشرف على الكمال، كاتب جزل الأسلوب، متين التراكيب، وفِيّ للقواعد المقررة... باشر تعليم النشء الصغار من سنين، فحذق أساليبه وتمرس به، فاكتسب الدؤب والصبر والجلد، وله في تربية الصغار وتحبيب العلم إلى نفوسهم طرائق نفسية هو فيها نسيج وحده... (الآثار366/1)





8. مُفسِّرٍ الْقُرْآنِ لِلْأَطْفَالِ ... مِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ إِلَى الْأَنْفَالِ

9. مُقَرِّرٍ الْقَوَاعِدِ الْمُقَرَّرَهْ ... وَحَافِظِ الْمَسَائِلِ الْمُكَرَّرَهْ

10. مَقَرُّهُ أَنْ لَيْسَ ذَا مَقَرِّ ... يَقِيهِ مِنْ حَرٍّ لَظَى وَالْقَرِّ

11. وَوَسْمُهُ الْإِقْعَاءُ فِي مَنَاخِرِهْ ... وَفَتْحَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي آخِرِهْ

12. بَعْدَ سَلَامٍ مُحْكَمٍ مَرْبُوطِ ... وَقَهْوَةٍ بِالتِّينِ وَالْبَلُّوطِ

13. وَسُكَّرٍ مِنَ الرِّمَالِ مُجْتَلَبْ ... وَلَبَنٍ مِنَ الْجِمَالِ مُحْتَلَبْ

14. وَسُفْرَةٍ قَدْ جَمَعَتْ حُبُوبَا ... الْفُولَ وَالْخُرْطَانَ وَالْكُبُوبَا

15. وَقِدْرَةٍ قَدْ ضُمِّنَتْ أَخْلَاطَا ... اللِّفْتَ وَالتِّرْفَاسَ وَالْبَطَاطَا

16. فِي غُرْفَةٍ تُضَاءُ بِالنُّجُومِ ... أَوْ شُرْفَةٍ تُقْذَفُ بِالرُّجُومِ

17. أَرْجُوكُمَا أَنْ تَحْضُرَا سَرِيعَا ... لِتَدْفَعَا خَطْبًا دَهَى مُرِيعَا

18. فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَكُونُ فِيهَا ... مُرَفَّهًا فِي عِيشَتِي تَرْفِيهَا

19. فِي يَوْمِ تِسْعٍ مِنْ شُبَاطَ الْمَاضِي ... لِأَنَّنِي أَكُونُ فِيهِ فَاضِي[1]

20. فِي مَكْتَبِي الْمَشْهُورِ عِنْدَ النَّاسِ ... مِنْ أَرْضِ قَجَّالٍ[2] إِلى مَكْنَاسِ

21. فَإِنْ جَهِلْتُمْ فَاسْأَلَا أَيَّ صَبِي ... يُرِحْكُمَا مِنَ الْعَنَا وَالتَّعَبِ

22. وَأَعْطِيَاهُ خَمْسَةً مَنْقُوبَهْ ... وَقَدْ تَفَصَّى قَائِبٌ مِنْ قُوبَهْ

23. حَاشِيَةٌ والشَّرْطُ أَنْ تَتَّفِقَا ... قَبْلَ الْمَجِيءِ ثُمَّ لَا تَفْتَرِقَا

---

(1)*فاضي بالفاء وليس بالقاف، في اللسان العامي معناه: مستريح من الشغل.

(2)مدينة شرق الجزائر، تابعة لولاية سطيف.







24. وَتَتْبَعَا الْأَوَامِرَ الْمَسْطُورَهْ ... هُنَا كَإِبْلٍ فِي الْفَلَا مَقْطُورَهْ

25. لَا تَصْحَبَا الْعِصِيَّ وَالدَّبَابِسَا ... وَالْحَجَرَ الصَّلْدَ الثَّقِيلَ الْيَابِسَا

26. وَالْمُوسَ وَالْقَادُومَ وَالْفُؤُوسَا ... وَكُلَّ شَيْءٍ يَشْدَخُ الرُّؤُوسَا

27. وَلْتَخْلَعَا نَعْلَيْكُمَا فِي الْخَارِجِ ... فِي الْخُطْوَةِ الْأُولَى مِنَ الْمَعَارِجِ

28. وَتَطْرُقَا الْبَابَ الصَّغِيرَ طَرْقَا ... طَرْقَ دُهَاةِ الْأَنْكَلِيزِ الشَّرْقَا

29. وَبَسْمِلَا وَكَبِّرَا وَحَوْقِلَا ... وَالْتَزِمَا الصَّمْتَ وَلَا تُشَقْلِلَا (1)

30. فَإِنْ أَذَنْتُ فَادْخُلَا عَنْ عَجَلِ ... وَإِنْ سَكَتُّ فَاذْهَبَا فِي خَجَلِ

31. وَلْتَدْخُلَا بِحَسَبِ الْحُرُوفِ ... وَالْمِيمُ قَبْلَ الْعَيْنِ فِي "الْمَعْرُوفِ"(2)

32. هَذَا وَمَنْ كَانَ طَوِيلَ الْأَنْفِ ... فَلْيَتَرَبَّصْ سَاعَةً فِي الْكُنْفِ

33. يَرْتَاضُ بِالتَّنَفُّسِ الْعَمِيقِ ... وَيَصِلُ الزَّفِيرَ بِالشَّهِيقِ

34. وَهَذِهِ وَرَقَةُ اسْتِدْعَاءِ ... كَأَنَّهَا شَهَادَةُ اسْتِرْعَاءِ

35. أَمْضَيْتُهَا مِنْ تَحْتُ لَا مِنْ أَعْلَى ... كَمَا لَبِسْتُ فِي الْأَخِيرِ النَّعْلَا(3)

36. وَالْحَقُّ لَا يَحْتَاجُ لِلتَّرْقِيعِ ... لَا سِيَّمَا مِنْ صَاحِبِ التَّوْقِيعِ

37. وَلَمْ أُطِلْ خُنْفُسَتِي كَالْحَافِظِي ... وَإِنَّمَا خُنْفُسَتِي "ابْنُ حَافِظِ" (4)

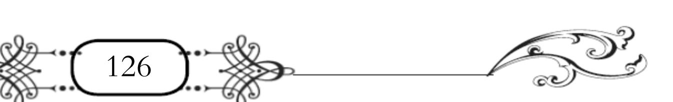
---

(1)*تُشَقْلِلا: كلمة عامية معناها لا تُثَرْثِرا.

(2)أي يدخل محمد بن العابد قبل عبد الحفيظ الجنان، كما في كلمة "مَعْرُوف"، وإن كانت العين قبل الميم في ترتيب حروف الهجاء.

(3)*من تحت الخ: كان بعض القضاة يضع خاتم توقيعه في أعلى الوثيقة.

(4)*الخنفسة الأولى: أراد بها نوعا من التوقيع المعقد يشبه الطغراء. والثانية هي تلك الدويبة السوداء الكريهة الرائحة، وهذه مداعبة لابن حافظ، والشيخ الحافظي: هو رئيس جمعية الطرقيين في الماضي.







الجلسة الأولى: مَكْتَبُ الْمُدِيرِ: أَوْرَاقٌ مُبَعْثَرَةٌ، أَقْلَامٌ مُغْبَرَّةٌ، وُصُولَاتٌ مُعَلَّمَةٌ بِالْأَحْمَرِ، الْمُدِيرُ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ، الْجَنَّانُ وَاقِفٌ، ابْنُ الْعَابِدِ مُقْعَمِزٌ.

38. الْمُدِيرُ: حَمْدًا لِمَنْ جَمَعَكُمْ فِي "الْبِيرُو"[1] ... وَهْوَ بِمَا تَنْوُونَهُ خَبِيرُ

39. وَصَلَوَاتُهُ عَلَى الْبَشِيرِ ... مَا صَفَّرَ الْقِطَارُ فِي أَشِيرِ[1]

40. وَمَا جَرَى الْمِحْرَاثُ فِي الْهَنْشِيرِ[2] ... وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ فِي أَمْشِيرِ[3]

41. وَهَذِهِ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالِ[4] ... مُنِيرَةٌ فِي الْقَصْدِ كَالْهِلَالِ[5]

42. وَالشُّكْرُ لِي إِذْ كُنْتُ فِي الْجَمْعِ سَبَبْ ... وَكَانَ لِي فِيهِ وَجِيفٌ وَخَبَبْ[6]

---

(1)كلمة فرنسية "bureau" أي مكتب.

(1)"أَشِير" مدينة قديمة تابعة لولاية المدية من ناحية "شلالة العذاورة" أسسها زيري بن مناد الصنهاجي في 324هـ، وكانت مدينة مهمة خلال الحكم الزيري وبلغت أوج الازدهار العلمي والاجتماعي، وقصدها الأدباء الشعراء من سائر الأمصار. "ويكيبيديا"

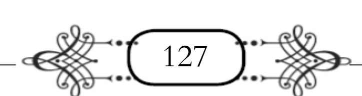
(2)"الْهَنْشِير" هو الاسم الذي كان يطلق على الخرائب الرومانية في أفريقيا. (تكملة المعاجم العربية للمستشرق رينهارت بيتر)

(3)"أمشير" الشهر السادس من التقويم المصري، يبدأ من 8 فيفري إلى 9 مارس، واسمه مشتق من "مجير" وهو رمز الريح لدي قدماء المصريين، ويشتهر الشهر بهبوب الرياح القوية، وبرودة الجو الشديدة. "ويكيبيديا"

(4)"ببراعة الاستهلال" وتسمى أيضا "حسن الابتداء" هو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده. (نهاية الأرب في فنون الأدب133/7)

(5)فـ"الْبشِير" هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأشار بذكره بهذا الوصف إلى "محمد البشير الإبراهيمي" الناظم، لأن الاجتماع عُقد لأجل دراسة قضية مراسلته، وكان منفيا بـ"آفلو" وهذه المدينة معروفة بشدة برودتها، وسكة القطار إليها تمر بـ "أَشِير"، وفي الطريق إليها توجد بقايا من الخرائب الرومانية.

(6)"الوَجِيف و"الخَبَب"" نوع من سير الإبل والخيل. (الصحاح1437/4 و117/1)





.43 يَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَهْلًا "بِيكُمْ" إِنِّيَ قَبْلَ الِابْتِدَا أُنْبِيكُمْ

.44 بِوَاجِبَاتٍ اسْمُهَا النِّظَامُ قَدْ سَنَّهَا الْأَمَاثِلُ الْعِظَامُ

.45 يَجِبُ أَنْ تَنْتَخِبُوا رَئِيسَا لَكُمْ وَحَاشُوا الْمُمْلِقَ الْبَئِيسا[1]

.46 ابْنُ الْعَابِدِ: أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ ذِي الْكَلِمَهْ فَإِنَّهَا تَصُخُّ سَمْعِي ....

الْمُدِيرُ: .... وَلِمَهْ؟

.47 ابْنُ الْعَابِدِ: لِأَنَّهَا ذَاتُ مَعَانٍ مُؤْلِمَهْ وَأَنَّهَا تُثِيرُ ذِكْرَى مُظْلِمَهْ

.48 الْمُدِيرُ: بَيِّنْ لَنَا الْمَعْنَى وَخَلِّ الذِّكْرَى فَجَمْعُنَا يُحْدِثُ مِنْهَا ذِكْرَى

.49 ابْنُ الْعَابِدِ: إِنَّ الرَّئِيسَ فِي كَلَامِ الْعُرْبِ مَنْ شُجَّ فِي يَافُوخِهِ بِالضَّرْبِ[1]

.50 الْجَنَّانُ: دَعْنَا مِنَ اللُّغَةِ وَالْإِغْرَابِ فِيهَا فَتِلْكَ شِيمَةُ الْأَعْرَابِ

.51 وَانْظُرْ إِلَى التَّنْكِيتِ فِي قَوْلِ الْخَطِيبْ فَإِنَّ ذِكْرَ الْبُؤْسِ شَيْءٌ لَا يَطِيبْ

.52 وَلَيْسَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ تَعْرِيضُ ذِي الْغِنَى بِذِي الْإِمْلَاقِ

.53 الْمُدِيرُ: لَا تَبْتَئِسْ فَكُلُّنَا بَئِيسُ ....

الْجَنَّانُ: .... قِيَاسُهُ وَكُلُّنَا رَئِيسُ

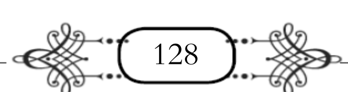
.54 ابْنُ الْعَابِدِ: انْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ قَالَ لَكُمْ[2] وَلَمْ يَقُلْ مِنْكُمْ فَمَا ذَا تَحْكُمُ؟

.55 الْجَنَّانُ: أَنَا أَرَى أَنَّ الرَّئِيسَ قَدْ حَكَمْ لِنَفْسِهِ وَمَا لَنَا إِلَّا الْبَكَمْ

(1)"الْمُمْلِق" الفقير، و"الإِمْلاق: الافْتِقار" كقوله تعالى: "وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ"

(1)"الرَّئِيس" أراد بها المدير السيد، وأما ابن العابد فلولعه بمعارضته وإخراجه عن المقصود ذهب إلى معنى آخر وهو أن "الرئيس" من ضُرب على رأسه، "واليَافُوخ" ملتقى عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره.

(2) يقصد ما قاله المدير في البيت(45): "يَجِبُ أَنْ تَنْتَخِبُوا رَئِيسَا لَكُمْ"





56. أَوْحَى لَهُ الْمَكْتَبُ وَالْكُرْسِيُّ ... مَنْزِلَةً مَا نَالَهَا إِنْسِيُّ
57. وَكُلُّ حَالٍ لِلْمَآلِ يَرْمُزُ ... فَانْظُرْ فَأَنْتَ الْقَاعِدُ الْمُقَعْمِزُ(1)
58. الْمُدِيرُ: اِلْتَزِمُوا النِّظَامَ يَا إِخْوَانِي ... فَأَنْتُمُ فِي الْخَيْرِ مِنْ أَعْوَانِي
59. وَنَحْنُ جَمْعٌ ....
الجَلَّالِي: .... بَلْ أَقَلُّ الجَمْعِ (1) ... كَمَا أَتَى بِهِ الدَّلِيلُ السَّمْعِي(2)
60. الْمُدِيرُ: وَالجَمْعُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَائِدْ ... يَقُودُهُ لِتَحْصُلَ الْفَوَائِدْ
61. الجَلَّالِي: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْقِيَادَهْ ... وَإِنْ غَدَتْ فِي عَصْرِنَا سِيَادَهْ
62. قَدْ كُنْتُ عِنْدَ قَائِدٍ مَأْفُونِ ... فِي مَاءَةٍ تُنْسَبُ لِلفَكْرُونِ(3)
63. دَرَيْتُ مِنْهُ الْفِعْلَ وَاشْتِقَاقَهُ ... كَمَا عَلِمْتُ السُّمَّ وَانْتِشَاقَهُ
64. الْمُدِيرُ: اِنْتَقِلُوا بِنَا إِلَى الْمُفِيدِ ... مِنْ عَمَلٍ مُوَفَّقٍ سَدِيدِ
65. وَعَيِّنُوا الرَّئِيسَ حَتَّى نَشْرَعَا ... فِي الْقَصْدِ مِمَّا رُمْتُهُ وَنُسْرِعَا

---

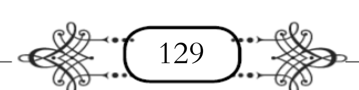
(1)*مقمعز: قاعدٌ على قدميه فقط قِعْدَة المستوفز.اه وهي جِلْسة معروفة، وبعضهم ينطقها "مْقَمْزَع".

(1) اختلف العلماء في أن أقل الجمع؛ فقال بعضهم: ثلاثة وقال آخرون: اثنين، وتوسط بعضهم فقال: بأنه اسم للثلاثة حقيقة وللاثنين مجازا، وذلك لأن العرب فصلت بين علامة الاثنين وعددهما، وعلامة الثلاث وعددها، كما فصلت بين الاثنين والواحد فقالت: رجل واحد، ورجلان اثنان، ورجال ثلاثة فما فوقهم.

(تقويم الأدلة ص:163، الإحكام في أصول الأحكام2/4)

(2) الدليل السمعي: يقصد بها نصوص الكتاب والسنة؛ لأنها تتلقى بالسمع.

(3)*القائد في النظام البائد مثل رئيس البلدية في النظام الحالي. المأفون: ضعيف الرأي.
تنسب للفكرون ...الخ: يريد قرية "عين الفكرون" الواقعة في الطريق ما بين قسنطينة وعين البيضاء، العرب تسمي الماء: ماءَةً، يعنون بها الماء ينزل الناس به للورد وتكون مباءَةً لاستيطانهم.

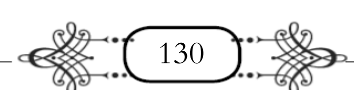




.66 فَالْأَمْرُ مُحْتَاجٌ إِلَى التَنْجِيزِ بِسُرْعَةٍ فِي زَمَنٍ وَجِيزِ
.67 وَلَيْسَ فِي زِيَادَةِ الْكَلَامِ إِلَّا الزِّيَادَةُ مِنَ الْمَلَامِ
.68 فَاجْتَهِدُوا فِي غَسْلِ هَذَا الْعَارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَدَ فِي الْأَشْعَارِ
.69 وَقَبْلَ أَنْ تَدْهَمَنَا الْقَوَافِي بِوَطْأَةٍ شُرُورُهَا ضَوَافِي(1)
.70 فَتَغْتَدِي رُبُوعُنَا عَوَافِي تَجْرِي بِهَا الرَّوَامِسُ السَّوَافِي
.71 الْجَلَّالِي: تُخِيفُنَا بِالْعَارِ وَالْأَشْعَارِ وَلَسْتُ مِنْ حَلِيهِمَا بِالْعَارِ(2)
.72 وَلَيْسَ فِيهِمْ شَاعِرٌ سَوَائِي وَالشُّعَرَاءُ كُلُّهُمْ وَرَائِي
.73 أُخِيفُهُمْ طُرًّا وَلَا أَخَافُ وَطَالَمَا سَاجَلْتُهُمْ فَخَافُوا (3)
.74 الْمُدِيرُ: أَنَا النَّذِيرُ فَاسْمَعُوا نَصِيحَتِي وَأَرْهِفُوا أَسْمَاعَكُمْ لِصَيْحَتِي
.75 فَالشَّرُّ لَا يُدْفَعُ بِالتَّعَاجُزِ عَنْ دَفْعِهِ وَالْبُعْدِ وَالتَّحَاجُزِ(4)
.76 وَالدَّمُ لَا يُغْسَلُ بِالْأَبوَالِ وَالنَّارُ لَا تُطْفَأُ بِالْأَقْوَالِ
.77 قُومُوا جَمِيعًا مُتَنَاصِرِينَا مُسْتَبْصِرِينَ مُتَظَافِرِينَا
.78 لِتَتَّقُوا مَسَبَّةً وَبَهْدَلَهْ قَدْ جَلَّلَتْ ....
الْحَنَّانُ: .... أَنَا أَفُضُّ الشَّقْلَلَهْ(5)

---

(1)"ضَوَافِي" ج "ضَافِيَة" أي سابغة وواسعة.
(2)*هذا اعتراف منه بأنه غير عارٍ من العار.اهـ .
(3)"طُرًّا" أي: جميعا. "سَاجَلْتُهُمْ" من "المُسَاجَلَة" أي المفاخرة.
(4)"التَّحَاجُز" التمانع يقال: "حَجَزَ" بين الرجلين أي مَنَع كل واحد من صاحبه.(مقاييس اللغة139/2)
(5)*الشقللة: كلمة عامية استعملت تملُّحًا، وتوجد من نوعها كلمات في الرواية، وكلها متمكنة في مواضعها.





79. بِكَلْمَةٍ تَثْنِي الْفَصِيحَ مُفْحَمَا الحَقُّ سَدَّى وَالْبَيَانُ أَلْحَمَا
80. إِنَّ الْجَمَاعَةَ (1) وَمَا أَسْعَدَهُمْ وَعَنْ سَبِيلِ السُّوءِ مَا أَبْعَدَهُمْ
81. أَعْنِي بِهِمْ جَمَاعَةَ التَّعْلِيمِ وَعُصْبَةَ التَّهْذِيبِ فِي الْإِقْلِيمِ
82. قَدْ وَضَعُوكَ أَيُّهَا الْمُدِيرُ فِي رُتْبَةٍ أَنْتَ بِهَا جَدِيرُ
83. وَفِيهِمُ لِعَارِفِ الْفَضْلِ أُسَى وَمَنْ يَحِدْ عَنْ نَهْجِهِمْ فَقَدْ أَسَا(1)
84. الْمُدِيرُ: صَرِّحْ أَبِنْ فَالخَيْرُ فِي التَّصْرِيحِ قَدْ تَبْرَأُ الْعِلَّةُ بِالتَّشْرِيحِ
85. الْجَنَّانُ: أَقُولُهَا فَصِيحَةً صَرِيحَهْ قَاطِعَةً لِصَاحِبِي مُرِيحَهْ
86. أَنْتَ امْرُؤٌ تَصْلُحُ لِلرِّئَاسَهْ وَأَنْتَ أَهْلُ الْحِذْقِ وَالْكِيَاسَهْ
87. وَأَنْتَ تَدْرِي بِالْقَضَاءِ الْفَصْلِ مِنْ أَيْنَ يُؤْكَلُ الدِّمَاغُ الْمَصْلِي(2)
88. وَهَذِهِ فَرْعٌ عَنِ الْإِدَارَهْ فَخُذْهُمَا بِالْحَقِّ عَنْ جَدَارَهْ
89. وَهَكَذَا فَلْيَكُنِ الْمُدِيرُ ....

الْجَلَّالِي: .... وَهَكَذَا فَلْيَكُنِ الْبَنْدِيرِ (3)

---

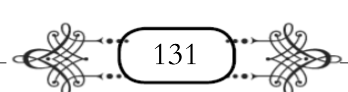
(1)*يعني جماعة التربية والتعليم وهم أهل لكل مدح.

(1)"أُسَى" ج "أُسوة". و"أَسَا" أي أساء.

(2)*هذا تصرّف منه في المثل وهو: "يعرف مِنْ أَيْنَ تُؤكَلُ الكَتِفُ". اهـ

"المصلي" يعني المشوي، وتصرف الناظم في المثل مناسب للمقام، فالجلسة مبنية على أساس من البخل، والدماغ من أبخس ما في الشاة وأصعبه أخذا، وكذلك حالهم.

(3)"البَنْدِير" هو "الدف"، ويضرب به المثل في التزلف إلى المسؤولين وموافقتهم على أهوائهم.





.90 الْمُدِيرُ: مَا لَكَ لَا تَفْتَأُ تَزْدَرِينِي ... وَبِكَلَامِ السُّوءِ تَعْتَرِينِي

.91 أَمَا عَلِمْتَ أَنَّنِي أَمِيرُكْ ... وَأَنَّنِي مِنْ قَبْلِهَا مُدِيرُكْ (1)

.92 الْجَلَّالِي: كَذَبْتَ بَلْ يَمِيرُنِي لِسَانِي ... وَالْعِلْمُ نِعْمَ الذُّخْرُ لِلْإِنْسَانِ

.93 أَمَّا تَرَانِي كُلَّ يَوْمٍ أَكْدَحُ ... بِهِ كَأَنِّي فِي صَفَاةٍ أَقْدَحُ

.94 لَوْلَاهُ مَا رَقَقْتُمُ عَلَيَّا ... وَلَا تَرَامَى خُبْزُكُمْ إِلَيَّا

.95 وَأَنْتَ لَوْلَاهُ لَمَا عَامَلْتَنِي ... وَلَا بِقَوْلٍ طَيِّبٍ جَامَلْتَنِي

.96 بَلْ أَنْتَ لَوْلَاهُ لَمَا عَرَفْتَنِي ... وَكُنْتَ فِي بَعْضِ الزُّبَى جَرَفْتَنِي

---

(1)*كلمة "أَمِيرُكَ" صالحة بلفظ واحد أن تكون وصفا من الإمارة والضمير مضاف إليه، وهذا هو الذي قصد إليه المدير، وأن تكون مضارعَ المتكلمِ من "مَارَ يَمِيرُ" إذا جَلَبَ "الْمِيرَةَ" وهي القوت، ومنه قوله تعالى: "وَنَمِيرُ أَهْلَنَا" وهذا المعنى هو الذي فهمه الجَلَّالِي وسبق إلى ذهنه، لأنه أقرب إلى تصوّره، وأسبقُ إلى إحساسه، فبنى عليه ذلك الافتنانَ العجيبَ ولله دَرُّهُ، وهذه الكلمة تُستخرج منها عِدة تجنيساتٍ؛ تقول: أَمِيرك أعُولُكَ. وتقول: أنا لِعِيَالي أمير.

قال الراجز: وَلِي عِيَالٌ وَأَنَا أَمِيرُهُم ... أَقُوتُهُمْ فِي الْمَحْلِ أَوْ أَمِيرُهُمْ

وقال: أَمِيرُنَا يَمِيرُنَا بِخُبْزَهْ ... فَإِنْ طَلَبْنَا غَيْرَهَا فَدَبْزَهْ

وقال: إِنَّ أَبَا عَمْرو غَدَا أَمِيرَنا ... لَكِنَّهُ فِي الْمَحْلِ لَنْ يَمِيرَنَا

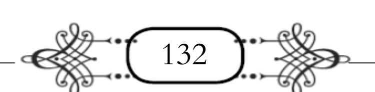
وقالَ: لَقَدْ أَطَعْنا أَيُّهَا الأَمِيرُ ... بِالصِّدْقِ إِنْ كُنْتَ لَنَا تَمِيرُ

وقال: إِنِّي إذا مَارَ السَّحَابُ مَوْرَا ... وَأَصْبَحَ الْمَاءُ الْقَرَاحُ غَوْرَا

أَمِيرُ جِيرَانِي وَأَهْلِي مَيْرَا ... مُجْتَهِدًا وَلَا أَمِيرُ الطيْرَا

وهذه الأراجيز في الكلمة كلها جاهلية، لراجز في آفلُو مَنْفاهُ، وهو صاحبُ الروايةِ.

دَبْزَة: لَكْمَة.





97. وَأَنْتَ لَوْلَا حِرْفَتِي حَذَفْتَنِي وَمِنْ صُخُورِ رَاشِدٍ(1) قَذَفْتَنِي

98. وَأَنْتَ لَا تَمِيرُ حَتَّى هِرَّهْ يُشْبِعُهَا مِنَ الطَّعَامِ بُرَّهْ

99. وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَمِيرَا حِمَارَةً تُعْلِفُهَا الغَمِيرَا(1)

100. الجَنَّانُ: وَهِمْتَ حَقًّا فِي الَّذِي فَهِمْتَ وَفِي خَيَالِ الشُّعَرَاءِ هِمْتَ

101. إِنَّ الرَّئِيسَ يَا أَبَا عُمَارَهْ لَمْ يُرِدِ الْمَيْرَ بَلِ الإِمَارَهْ

102. سِيَاقُهُ عَلَى الْمُرَادِ مُشْتَمِلْ وَلَفْظُهُ لِلْمَعْنَيَيْنِ مُحْتَمِلْ

103. الجَلَّالِي: وَاحَرَبَا فَهَذِهِ أَكْبَرُ مِنْ تِلْكَ وَبِدُعَائِهَا أَنَا قَمِنْ(2)

104. فَانْظُرْ تَجِدْ مَخَايِلَ الإِمَارَهْ فِي هَيْأَتِي وَاضِحَةَ الأَمَارَهْ

105. وَلَوْ صَحَا الدَّهْرُ لَكُنْتُ مَلِكَا وَمَا نَهَجْتُ شَرَّ نَهْجٍ سُلِكَا(3)

---

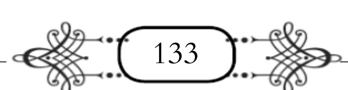
(1)*من صخور راشد ... الخ: هو سيدي راشد الذي تُنسبُ إليه القنطرة العجيبة في قسنطينة.

(1)*الغَمِيرُ: الحشيشُ الدقيق الملتف حَوْل النبات الكبير، ولا زالت مستعملة حتى الآن، وقد أدخلناها في كتاب "بقايا فصيح العربية في اللسان العامي".

(2)"قَمِن" أي جدير، أراد أنه إن قصد الإمارة، فهو جدير بطلبها.

(3)*شر نهج في نظره هو التعليم، ولم يدر أن التعليم كثيرًا ما كان طريقًا إلى الإمارة ووضع صاحبها المطرقة ليرفع الصوجان.اهـ

وإنما رأى أن التعليم شر منهج قصده؛ لأن المعلم كان يومئذ شديد البؤس والفقر.





106. وَأَرْضُنَا ضَمَّتْ رُفَاتًا لِنَبِي (1) فَإِنْ طَلَبْتُ الْمُلْكَ لَمْ أُؤَنَّبِ

(1)*النبي الذي يعنيه هو "خالد بن سِنَان العَبْسي" الذي تقول الأساطير إن قبره على أميال من قرية "أولاد جلّال".اهـ

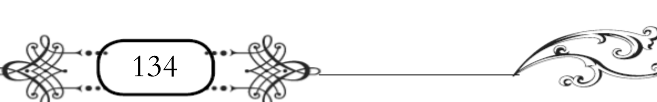
"خالد بن سنان العبسي" يقال إنه نبي من العرب كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم بينه وبين عيسى ابن مريم عليهما السلام، وقد ذكر ترجمته وأخباره الحافظ ابن كثير(البداية والنهاية268/2) والحافظ ابن حجر في (الإصابة في تمييز الصحابة 309/2)، وقد رُويت في نبوته أخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه "نبيّ ضيّعه قومه"، ولكن هذا غير صحيح، وهو يعارض قوله تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال: "وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" وقوله صلى الله عليه وسلم: "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ" رواه مسلم(1837/4).

وخرافة أنه مدفون بالجزائر أحدثها المتصوفة، قال الأستاذ أبو القاسم سعد الله(تاريخ الجزائر الثقافي251/2): أظهر عبد الرحمن الأخضري نبوة خالد بن سنان العبسي بقصيدة طويلة وهامة في ميدانها، فبفضل هذه القصيدة وتبني الأخضري لفكرة نبوة النبي خالد، واعتقاده أنه دفين البلدة المعروفة اليوم بـ"سيدي خالد"، أصبح الضريح مزار الناس من كل فج، وتذكر المصادر أن الأخضري قد أظهر نبوة خالد بن سنان بطريقي الكشف أي السر والتربيع، وانتشر خبر الظهور والإظهار، وعم وطم كل أهل الوبر والمدر ذوي الأمصار، ومن ذلك الوقت صار نبي الله خالد بن سنان يزار ويتبرك به...قال: وفي نبوءته وشواهدها يقول الأخضري صراحة:

إِنَّ النُّبُوَةَ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهَا كَيْفَ الْمَحَالَةُ وَالْأَنْوَارُ لَمْ تَزَلِ
فِي خَالِدِ بْنِ سِنانِ الْبَدْرِ سَيِّدِنَا أَخُصُّهُ بِسَلَامٍ رَائِقٍ حَفِلِ
للهِ مَا حَازَ مِنْ عِزٍ وَمِنْ شَرَفٍ نَالَ الرِّسَالَةَ يَا نَاهِيكَ بِالرُّسُلِ
أَنْوَارُهُ سَطَعَتْ فَوْقَ الرُّبَى وَبَدَتْ عَلَى الْفَيَافِي وَفَوْقَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

وقد أكد الأخضري أن النبي خالد قد سكن الغرب يعني الجزائر، وأن قومه قد ضيعوه وأن أهل الجزائر أيضا لم يحتفظوا به وأنهم قوم يحتقرون العظماء، لذلك دعا إلى تعظيمه والتبرك به وزيارته والاستغاثة به عند الشدائد، وقد انتشرت القصيدة وأثرت في الناس. اهـ







107.	أَمَّا الْمُدِيرُ فَأَرَاهُ يَدَّعِي	مَا لَا يُوَاتِيهِ كَدَعْوَى الضِّفْدَعِ(1)
108.	أَغَرَّهُ أَنْ كَانَ مِنْ قَجَّالِ	وَأَنَّهَا بِالْقُرْبِ مِنْ أَقْجَالِ (2)
109.	وَهْيَ مَجَالُ النَّزْعَةِ الدَّعِيَّهْ (3)	وَمُسْتَرَادُ الدَّعْوَةِ الشِّيعِيَّهْ
110.	جِبالُهَا كَانَتْ كَمِثْلِ الْمَهْدِ	لِحِفْظِ مُلْكِ الْفَاطِمِيِّ الْمَهْدِي(4)
111.	هَيْهَاتَ مَا أَقْجَالُ مِنْ قَجَّالَ	إِلَّا كَجَزْلِ الشِّعْرِ فِي الْأَزْجَالِ(5)
112.	وَأَهْلُ قَجَّالٍ إِذَا تَسَامَوْا	لِلْمَجْدِ عَنْ مِنْهَاجِهِ تَعَامَوْا
113.	يَأْتُونَ فِي فَخَارِهِمْ بِمَسْعُودْ (6)	كَمَنْ أَتَى الْوَغَى بِسَيْفٍ مِنْ عُودْ

(1)*دعوى الضفدع أقصوصة من أقاصيص الرافعي.

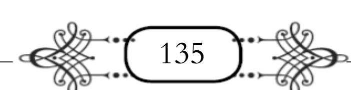
(2)*أَقْجَال قرية قرب سطيف، لا تزال أطلالها ماثلة وهي التي اختارها أبو عبد الله الشيعيّ الداهية لبدء دعوته بين برابرة كتامة، وكانوا يُسمّونها "دار الهجرة" تسميةً ذاتَ مَغْزىً سياسي.

(3)"الدَّعِيَّة" الدَعيّ هو المنسوب لغير أبيه، كما هو شأن الفاطميين الذي زعموا أنهم من أهل البيت، وهم عبيديون أدعياء كما قال علماء الأنساب، بل ذكر غير واحد من المؤرخين أن أصلهم من اليهود. (اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء للمقريزي37/1)

(4)**أبو عبد الله الشيعي**، واسمه الحسين بن أحمد، دخل بلاد إفريقية وحيدا، فلم يزل يتحايل حتى انتزع الملك من الأغالبة، ثم تطور حالهم إلى أن أقاموا دولة الروافض الفاطمية بالقيروان، ثم بمصر. (البداية والنهاية، اتعاظ الحنفاء)

(5)"جَزْل الشِّعْرِ" هو الشعر الجيد، و"الزَّجَلُ" نوع من الشعر العامي الذي وضع لأجل الغناء، ولهذا يتبعون فيه النغم دون مراعاة الوزن. والمقصود: أن الفرق بين "أَقْجَال" و"قَجَّال" كالفرق بين جزل الشعر والزجل. (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ص:123)

(6)*سيدي مسعود ينسب إليه الجامع الأعظم بقرية قَجَّال ويقول عنه العامة والطلبة أن سيدي عبدالرحمن الأخضري تخرج منه، والقَجَّالون يحلفون به من دون الله ويقولون: "وحقّ سيدي مسعود قلّاع الفُرْسان"





.114 وَذِكْرُهُ فِي الذِّكْرِ غَيْرُ مَشْهُودْ وَلَيْسَ فِي تَارِيخِنَا بِالْمَعْهُودْ

.115 يَدْعُونَهُ يَا قَالِعَ الْفُرْسَانِ وَجَالِبَ الْأُسُودِ فِي الْأَرْسَانِ

.116 لَغْوٌ مِنَ الْمَيْنِ الصُّرَاحِ قَدْ جَرَى عَلَى لِسَانِ الْجَاهِلِينَ قَدْ سَرَى

.117 وَلَمْ يُزَحْزِحْ أَكْفَلًا (1) عَنْ سَرْجِهِ وَلَا اسْتَفَزَّ ثَعْلَبًا مِنْ حِرْجِهِ(2)

.118 وَفَخْرُهُمْ فِي عَصْرِنَا بِاثْنَيْنِ مِنْ خِيرَةِ الرِّجَالِ دُونَ مَيْنِ(3)

.119 لَكِنَّهُمْ شَانُوهُمَا بِالِاسْمِ وَالِاسْمُ لِلرِّجَالِ مِثْلُ الْوَسْمِ

.120 فَفَارِسُ الْخَيْلِ دَعَوْهُ الْكُسْكُسَا كَأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ كُسْ كُسَا

.121 وَفَارِسُ الْعِلْمِ نَمَوْهُ عَمْدَا لِأَحْمَدُوش وَعَدَوْهُ الْحَمْدَا (4)

.122 الْمُدِيرُ: أَسْرَفْتَ فِي النَّبْزِ وَلَمْ تَرْعَ الْأَدَبْ وَالْمَرْءُ إِنْ أَجْدَبَ عَقْلُهُ جَدَبْ

.123 وَأَنْتَ وَغْدٌ مِنْ بَنِي جَلَّالِ فَهَلْ سَأَلْتَ الْعُرْبَ عَنْ جَلَّالِ؟

.124 وَهْوَ الَّذِي يَقْتَاتُ مَحْضَ الْعَذِرَهْ وَالْفَضَلَاتِ النَّجِسَاتِ الْقَذِرَهْ

---

(1)*الأكفل: هو الذي لا يتمالك في ركوب الخيل.

(2)"الحِرْج" بكسر الحاء نصيب الكلب من الصيد كالأطراف من الرأس والكراع. (تهذيب اللغة85/4)

(3)*المين: الكذب.

(4)*نشأ في قجّال في هذه العهود الأخيرة رجلان؛ أحدهما: اشتهر بالرئاسة والفروسية والشجاعة والكرم، وهو النوادي بن الكسكس. والآخر: بالفقه والخير، وهو الشيخ بن الصديق بن حمادوش، ولم أدركهما وإنما أدركت أولادهما يعني ابن العابد.







125. وَمِنْهُ جَاءَتْ صِفَةُ الْجَلَّالَهْ وَأَكْلُهَا يَحْرُمُ فِي ذِي الْحَالَهْ[1]

126. وَطُولُ أَنْفِكَ مِنَ الشُّهُودِ عَلَى امْتِدَادِ الْعِرْقِ ....

الْجَنَّانُ: .... فِي الْيَهُودِ

127. الْمُدِيرُ: مَا قُلْتُهَا أَنَا وَلَكِنْ قَالَهَا زَمِيلُكَ الغِرُّ وَمَا اسْتَقَالَهَا

128. الْجَنَّانُ: مَا قُلْتُ إِلَّا مَا رَمَى إِلَيْهِ مَعْنَاكَ أَوْ دَلَلْتَنِي عَلَيْهِ

129. وَالطُّولُ وَالْأَنْفُ مَعًا وَالْقَافِيَهْ قَرَائِنٌ بِالْقَصْدِ مِنْكَ وَافِيَهْ

130. الْجَلَّالِي: الشِّرْكُ لَا يَدْفَعُ عَنْكُمَا الدَّرَكْ وَالذَّنْبُ بَيْنَ الْقَائِلَيْنِ مُشْتَرَكْ

131. وَلَا أَشُكُّ أَنَّ ذَا الْأَمِيرَا قَدْ كَانَ يَرْعَى الْمَعْزَ وَالْحَمِيرَا

132. فَمِنْهُمَا اكْتَسَبَ هَذَا اللُّطْفَا حَتَّى ثَنَى مِنْهُ الدَّلَالُ الْعِطْفَا

133. الْمُدِيرُ: الْجَهْلُ قَدْ يُبْدِي مِنَ السَّفِيهِ كُلَّ الَّذِي مِنَ الْعُيُوبِ فِيهِ

134. فَقُلْ لَنَا يَا حَارِسَ الْمَرَابِدِ[2] أَأَنْتَ لِلْعَبِيدِ أَمْ لِلْعَابِدِ؟

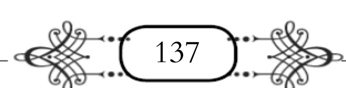
135. الْجَلَّالِي: زَنَنْتَنِي[3] ....

---

(1)"الجَلَّالَةُ" هي الدابة التي تأكل العذرة، و"الجِلَّة" هي البعر، فوضع موضع العذرة. (النهاية في غريب الحديث والأثر288/1). "وَأَكْلُهَا يَحْرُمُ..." لحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَكْلِ الجَلَّالَةِ وَأَلْبَانِهَا. صححه الألباني(الإرواء149/8)، وأحكامها مبسوطة في كتب الفقه.

(2)"مَرَابِد" ج "مِرْبَد" المكان الذي تحبس فيه الإبل، ويطلق أيضا على مكان تجفيف التمر. (الصحاح 471/2).

(3)*الزَّنُّ: هو الرمي بالريبة، وهو أوسع دلالة من كلمة القذف في معناها الشرعي.





الْجَنَّانُ: .... فَاطْلُبْ لَهُ الْحُدُوْدَا وَاسْتَصْرِخِ الْقَاضِيَ وَالشُّهُوَدَا

.136 وَزُجَّهَا قَضِيَّةً فِي الْمَحْكَمَهْ جَارِيَةً عَلَى النُّصُوصِ الْمُحْكَمَهْ

.137 وَحَرِّرِ التُّهْمَةَ فِي مَقَالِ وَاذْهَبْ بِهَا لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْعَالِي

.138 وَخُذْهُ بِالْعَزْمِ عَلَى التَّسْجِيلِ وَبِصُدُورِ الْحُكْمِ بِالتَّعْجِيلِ

.139 فَإِنْ أَخَذْتَ فَالْجَزَاءُ الْجَلْدُ يُشَانُ مِنْهُ عَظْمُهُ وَالْجِلْدُ

.140 وَإِنْ عَفَوْتَ فَاطْلُبِ الدُّومَاجَا وضَمِّنَ الْخُبْزَةَ وَالْفُرْمَاجَا (1)

هُنَا يَتَشَاغَلُ الْمُدِيرُ بِقِرَاءَةِ أَوْرَاقٍ مُسْتَعْجَلَةٍ فَيَتَهَامَسَانِ؛

141. الْجَنَّانُ: وَهَاكَ مِنِّي كِلْمَةً فِي سِرِّكَا أَقْضِي بِهَا مَا فَاتَنِي مِنْ بِرِّكَا

.142 إِنَّ الْخَبِيثَ يَكْنِزُ الدَّرَاهِمْ وَإِنْ بَدَا مِثْلَ الْخَرُوفِ الرَّاهِمْ(2)

143. الْجَلَّالِي: مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْمَالُ لِلْقَجَّالِي وَحَالُهُ فِي الْهَمِّ مِثْلُ حَالِي؟

144. الْجَنَّانُ: لَقَدْ قَضَى زَمَانَهُ حَزَّابَا مِثْلِيَ مُذْ كُنَّا مَعًا عُزَّابَا

.145 ثُمَّ عُزِلْتُ وَاسْتَمَرَّ يَمْرِي جِرَايَةً تُجْرَى لِكُلِّ شَهْرِ

.146 وَهْوَ بَخِيلٌ لَا يَكَادُ يُنْفِقُ كَالدُّودِ يَقْتَاتُ الثَّرَى وَيُشْفِقُ(3)

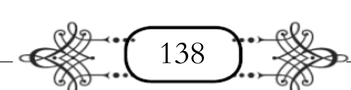
147. الْجَلَّالِي: ذَكَّرْتَنِي بِهَذِهِ الْوَظِيفَهْ فَإِنَّهَا فِي وَضْعِهَا سَخِيفَهْ

---

(1)*الدُّوماج: كلمة فرنسية معناها الخسارة. الفُرْماجا: كلمة فرنسية معناها الجُبْن.

(2)"الرَّاهِمْ" كلمة عامية أي "المُسن"

(3)*كالدود... الخ مثل عامي معرب. ويُشفق مستعملة في معنى عامي غير فصيح.





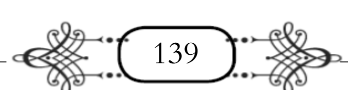
148. وَلَوْ حَبَوْنِي قَرْطَةً وَالزَّابَا مَا كُنْتُ فِي أَحْزَابِهِمْ حَزَّابَا(1)
149. الْجَنَّانُ: لَوْ ذُقْتَ مَا ذُقْنَا مِنَ الْحَلَاوَهْ لَزِدْتَ عَمَّا رَتَّبُوا عِلَاوَهْ
150. وَلَقَرَأْتَ خَمْسَةً بِفَلْسِ وَالسِّرُّ فِي قَبْضِ الرِّقَاقِ الْمُلْسِ(2)
151. إِنَّ الْوَظِيفَ (3) قَهْوَةٌ بِالسُّكَّرِ أَوْ خَمْرَةٌ إِنْ لَمْ تُمَوِّتْ تُسْكِرِ
152. الْجَلَّالِي: لَكِنَّهَا مَجْلَبَةٌ لِلذُّلِّ وَلِلْمَهَانَةِ الَّتِي تُذَلِّي
153. وَلِخُضُوعِ الرَّأْسِ لِلْأَذْنَابِ وَلِاتِّضَاعِ الِاسْتِ لِلْأَطْنَابِ
154. وَأَنَّهَا مَخْرَسَةٌ لِلْأَلْسُنِ عَنْ كَلْمَةِ الْحَقِّ وَقَوْلِ الْأَحْسَنِ
155. الْجَنَّانُ: إِذَا قَبَضْتَ الرَّاتِبَ الشَهْرِيَّا نَبَذْتَ مَا ذَكَرْتَهُ ظِهْرِيَّا
156. وَعُدْ لِمَا سِيقَ لَهُ الْحَدِيثِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْتَبِهَ الْخَبِيثُ
157. الْجَلَّالِي: لَأَفْعَلَنَّ فَاحْفَظِ الشَّهَادَهْ حَتَّى يُقِضَّ حِفْظُهَا مِهَادَهُ
158. وَأَدِّهَا فِي الْوَقْتِ كَالْعِبَادَهْ ....
الْجَنَّانُ: .... بِذَاكَ أَوْصَى رَبُّنَا عِبَادَهْ
159. الْجَلَّالِي: وَقَدْ عَرَفْنَا خَصْمَنَا اللَّدُودَا فَأَوْلِهِ الْإِعْرَاضَ وَالصُّدُودَا
160. وَجَازِهِ قَطِيعَةً وَهَجْرَا فَإِنَّ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ أَجْرَا

---

(1)*قرطة: اسم قسنطينة القديم. والزاب: منطقة في صحراء الجزائر. حزَّابا: قارئ ورد الحزب القرآني في المسجد بأجرة.

(2)*الرقاف الملس: أوراق النقد.

(3)"الْوَظِيف" ما يقدر للإنسان في كل يوم من طعام أو رزق. (الصحاح4/1439)





161. مَا زَالَ مِنْ دَلَالِهِ عَلَيْنَا   يُجْهِدُ فِي جَرِّ الْأَذَى إِلَيْنَا

162. حَتَّى رَمَاهُ اللهُ مِنِّي بِخَصِمْ   لَا يَنْثَنِي عَنْ خَصْمِهِ أَوْ يَنْقَصِمْ

163. الْجَنَّانُ: دَاكُورُ ....

الْجَلَّالِي: ..... يَا أَخِي وَمَا مَعْنَى دَاكُورْ؟   فَإِنَّنِي لِلَفْظِهَا غَيْرُ ذَكُورْ

164. الْجَنَّانُ: إِنْ لَمْ أُعِنْ أَخِي أَكُنْ غَيْرَ شَكُورْ   لِفَضْلِهِ وَكُنْتُ لِلْعُرْفِ نَكُورْ

165. وَكُنْتُ أَهْلًا لِلْجَفَاءِ وَالْمَلَامْ   وَالِاحْتِقَارِ الزُّمَلَاءِ ....

الْجَلَّالِي: .... وَالسَّلَامْ

166. وَعِشْتَ يَا جَنَّانُ وَانْتَعَشْنَا   وَإِنْ عَلَا السِّنُّ فَلَا ارْتَعَشْنَا

يَفْرَغُ الْمُدِيرُ فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِمَا؛

167. الْمُدِيرُ: وَيْحَكُمَا أَتَجْهَلَانِ النَّحْوَا؟   وَتَسْأَلَانِ بِالثُّبُوتِ الْمَحْوَا

168. وَتَفْهَمَانِ الْأَمْرَ بِالْمَقْلُوبِ   وَالْجَهْلُ حَظُّ الْخَاسِرِ الْمَغْلُوبِ

169. فَأَيْنَ مِنْكُمْ صَنْعَةُ الْبَيَانِ   وَسِرُّهَا الْمُودَعُ فِي الْأَذْهَانِ؟

170. وَأَيْنَ مَا صَرَفْتُمَا مِنْ زَمَنِ   فِي جَدَلٍ مِثْلَ الْمَخَاضِ الْمُزْمِنِ؟

171. وَأَيْنَ مَا تَسْتَفْرِغَانِ فِيهِ   جُهْدَكُمَا مِنْ غَرَضٍ نَبِيهِ؟

172. وَأَيْنَ مَا ضَيَّعْتُمَا مِنْ عُمْرِ   فِي ضَرْبِ زَيْدٍ لِأَخِيهِ عَمْرِو؟

173. وَلَوْ دَرَسْتُ عُشْرَ مَا دَرَسْتُمَا   لَمْ أَجْرُشِ الشَّرْيَ الَّذِي جَرَشْتُمَا

174. أَخْطَأْتُمَا مَوَاقِعَ الْإِصَابَهْ   وَوَضْعَهَا فِي النُّطْقِ وَالْكِتَابَهْ

175. وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْعَابِدِ اخْتِصَاصِي   تَشِيمُ بَرْقَ الْفَهْمِ مِنْ خَصَاصِ







176. وَأَنْتَ مِنْ حَمَلَةِ الْأَقْلَامِ ... وَأَنْتَ لَا تُحْسِنُ رَسْمَ اللَّامِ[1]

177. الْجَنَّانُ: أُحْجِيَّةٌ جَاءَ بِهَا الرَّئِيسُ ... لَا يَسْتَطِيعُ حَلَّهَا إِبْلِيسُ

178. الْمُدِيرُ: قَدْ قُلْتُ ذَاكَ الْقَوْلَ فِي أَدِيبِنَا ... وَمُسْتَحِقِّ الْفَضْلِ فِي تَأْدِيبِنَا

179. جَرْيًا عَلَى طَرِيقَةِ الْإِنْشَاءِ ... تَحْبِيرَ طَرَّازٍ لَهَا وَشَاءِ

180. وَلَمْ أُرِدْ بِالْجُمْلَةِ الْإِخْبَارَا ... وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الِاسْتِخْبَارَا

181. فَهْوَ كَلَامُ السَّائِلِ الْمُسْتَفْهِمِ ... عَنْ غَرَضٍ فِي ذِهْنِهِ مُسْتَبْهِمِ

182. وَحُجَّتِي فِيهِ كَلَامُ الْعَرَبِ ... وَنَحْوُهُمْ وَالضَّرْبُ غَيْرُ الضَّرَبِ[2]

183. الْجَلَّالِي: يَا عَجَبَا تَقْذِفُنِي بِالرَّيْبِ ... وَتَنْتَحِينِي بِعَظِيمِ الْعَيْبِ

184. ثُمَّ تَجِي بِالْعُذْرِ وَالتَّأْوِيلِ ... فِي مَنْطِقٍ مَا فِيهِ مِنْ تَعْوِيلِ

185. وَفِي كَلَامِكَ مِنَ التَّغْرِيرِ ... لِلْقَذْفِ مَا جَلَّ عَنِ التَّبْرِيرِ

186. وَالْحُرُمَاتُ بَيْنَنَا قِصَاصُ ... وَصَاحِبُ الْحَقِّ لَهُ اخْتِصَاصُ

187. الْمُدِيرُ: أُطْلُبْ وَطَالِبْ وَاجْتَهِدْ وَخَاصِمِ ... فَعَاصِمِي مِنْ شَرِّكَ ابْنُ عَاصِمِ

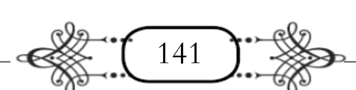
188. أَمَا قَرَأْتَ قَوْلَهُ فِي الْبَابِ ... عَنْ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ الْأَنْجَابِ

---

(1)*اللّام: الشخص. واللّام: الحَرْفُ. وكل منهما تأتي معه كلمة الرسم؛ ورسمُ الشخص: هو تصويرُه، ولذلك جاء الإلْغاز متمكنا، فالمدير يريد أن ابن العابد وإن كان كاتبًا لكنه لا يُحسن التصوير اليدوي للأشخاص، لأنه لكل فن رجاله، فجاء بهذه التورية البديعية التي تفطن لها الجَنَّانُ.

(2)*في الأبيات الثلاثة احتجاجٌ من المدير مُفْحِمٌ.

والضرْب بالسكون معروف، والضرَب بفتح الراء: العسل، وشتّان ما بينهما وهذا تمثيل.

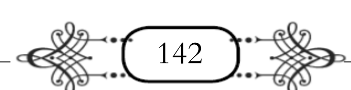




.189 "وَيُدْفَعُ الْحَدُّ بِالِاحْتِمَالِ ... فِي قَالَةِ الْقَذْفِ وَبِالْإِجْمَالِ"
.190 "وَبِالْكِنَايَةِ وَبِالْإِبْهَامِ ... وَمِثْلُهُ الْإِنْشَا بِالِاسْتِفْهَامِ"
.191 "وَشِدَّةُ الْخَفَاءِ فِي الدِّلَالَهْ ... كَيَا غُرَابُ أَوْ كَيَا ثُعَالَهْ"
.192 وَكُلُّ ذَا لِمَا رَوَى الْجُدُودُ ... "بِالشُّبُهَاتِ تُدْرَأُ الْحُدُودُ" [1]
.193 الْجَنَّانُ: يَا سَادَتِي يَا إِخْوَتِي يَا زُمَلَا ... أَمَا تَخَافُونَ افْتِضَاحًا فِي الْمَلَا؟
.194 هَذِي الْمُلَاحَاةُ إِذَا مَا شَاعَتْ ... بَيْنَ الْوَرَى وَاشْتَهَرَتْ وَذَاعَتْ
.195 فَإِنَّهَا حَيَاتُنَا تَدَاعَتْ ... أَرْكَانُهَا وَخَسِرَتْ وَضَاعَتْ
.196 أَمَّا إِذَا انْتَهَتْ إِلَى التَّدَاعِي ... تَرْفُلُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْإِقْذَاعِ
.197 وَأُعْلِنَتْ بِمَا بِهَا مِنْ فُحْشِ ... فِي مَنْطِقِ الْإِنْسِ وَفِعْلِ الْوَحْشِ
.198 فَالْقَبْرُ خَيْرٌ وَأَخَفُّ وَقْعَا ... مِنَ الْحَيَاةِ وَافْتِرَاشِ الدَّقْعَا
.199 إِنِّي أَرَى شَرًّا يُطِيرُ شَرَرَهْ ... وَسَوْفَ نَجْنِي غِبَّهُ وَضَرَرَهْ
.200 وَأَوَّلُ النَّتَائِجِ الْمُحَقَّقَهْ ... تَضْيِيعُنَا لِلْخُبْزَةِ الْمُرَقَّقَهْ
.201 وَنَحْنُ قَوْمٌ عَيْشُنَا بِالذِّكْرِ ... وَلَا كَعَيْشِ الْفُقَرَا (بِالذِّكْرِ)
.202 وَعَيْشُنَا رِبْحٌ وَرَأْسُ الْمَالِ ... فَضِيلَةُ الصَّبْرِ وَالِاحْتِمَالِ
.203 فَإِنْ عَدَتْنَا السِّيرَةُ الْحَمِيدَهْ ... فَكَيْفَ نَغْدُو قُدْوَةً رَشِيدَهْ

---

(1)يشير بهذا إلى ما رواه الدارقطني(السنن63/4 رقم: 3099) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنهم قَالُوا: "إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ الْحَدُّ فَادْرَأْهُ مَا اسْتَطَعْتَ"، وإلى ما رواه ابن ماجه (850/2 رقم: 2545) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ادْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهُ مَدْفَعًا" قال الألباني: ضعيف.





204. وَأَنْتُمُ مُسْتَوْدَعُ الْفَضَائِلِ وَحَامِلُو تَرِكَةِ الْأَوَائِلِ
205. وَأَنْتُمُ النُّورُ لِهَذِي الْأُمَّهْ فَمَنْ يُنِيرُ إِنْ عَرَتْكُمْ ظُلْمَهْ؟
206. أَنْتُمْ سِمَاتُ الْحَقِّ فِي أَغْفَالِهَا وَأُمَنَاءُ اللهِ فِي أَطْفَالِهَا
207. وَالْجِيلُ عَنْ مِرْآتِكُمْ يَنْعَكِسُ فَسَابِقٌ لِلْفَضْلِ أَوْ مُرْتَكِسُ
208. أَخْلَاقُكُمْ فِي النَّاشِئِينَ تَنْطَبِعْ فَحَاذِرُوا مِنْ أَنْ يُرَى فِيهَا طَبَعْ
209. وَإِنَّمَا صِغَارُهَا أَمَانَهْ نَبْغِي لَهَا الصِّدْقَ وَنَحْنُ مَانَهْ
210. وَفِيهِمُ الْحَصَاةُ وَالْجُمَانَهْ وَرُشْدُهُمْ فِي عُنْقِنَا ضَمَانَهْ
211. وَإِنَّمَا بَقَاءُ هَذِي الْأُمَّهْ مَا بَقِيَتْ بِفَضْلِكُمْ مُؤْتَمَّهْ
212. وَإِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ بِالْخُلُقِ يَنْشَقُّ فِي ظَلْمَائِهَا كَالْفَلَقِ
213. فَرَاقِبُوا الرَّحْمَنَ وَالْعِيَالَا وَنِعْمَةً نَخْشَى لَهَا الزِّيَالَا
214. وَرَاغِمُوا إِبْلِيسَ بِالتَّسَامُحِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّصَافُحِ
215. وَكُلُّ شَرٍّ جَرَّهُ الْعِتَابُ بَيْنَكُمُ فَسِتْرُهُ الْمَتَابُ
216. وَرَاجِعُوا نُفُوسَكُمْ حَتَّى تَفِي لِنُقْطَةِ الْحَقِّ وَبِالْعَهْدِ تَفِي
217. الْمُدِيرُ: فَلْنَسْتَعِنْ بِرَبِّنَا الْمَنَّانِ وَلْنَتَّبِعْ نَصِيحَةَ الْجَنَّانِ
218. فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ مُفِيدَهْ تَجْتَثُّ تِلْكَ النفْرَةَ الْمُبِيدَهْ
219. الْجَلَّالِي: وَإِنَّهَا كَالتِّبْرِ فِي التُّرَابِ وَإِنَّهَا كَالْكَنْزِ فِي الْخَرَابِ
220. وَإِنَّهَا دِلَالَةُ الْغُرَابِ وَإِنَّهَا رَقْرَقَةُ السَّرَابِ
221. الْمُدِيرُ: بَلْ إِنَّهَا كَبَارِدِ الشَّرَابِ لِلْكَبِدِ الْحَرَّى مِنَ الْحِرَابِ
222. أَوْ هِيَ سَيْفٌ سُلَّ مِنْ قِرَابِ لَمْ يَنْثَلِمْ مِنْ كَثْرَةِ الضِّرَابِ







223. أَوِ الْغَوَانِي الْخُرَّدِ الْعِرَابِ ... جُلِيْنَ لِلْعُرْسِ عَلَى الزَّرَابِي
224. الْجَلَّالِي: لَسْتُ أُرِيدُ الحَطَّ مِنْ قَدْرِ الزَّمِيلْ ... وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ مَحْبُوبٌ جَمِيلْ
225. بَلْ تِلْكَ مِنْهُ عَادَةٌ وَمِنِّي ... أُغْضِبُهُ عَمْدًا وَيُغْضِي عَنِّي
226. وَوَعْظُهُ كَانَ لَهُ الْوَقْعُ الْحَسَنْ ... قَدْ قَادَ نَفْسِي لِلرَّشَادِ بِرَسَنْ
227. الْمُدِيرُ: أَنَا سَحَبْتُ كِلْمَتِي وَأَنْتَا؟ ... .
الْجَلَّالِي: .... أَنَا سَمَحْتُ وَالرَّئِيسُ أَنْتَا
228. لَكِنَّنِي لَا أَتْرُكُ الْمُعَارَضَهْ ... وَلَا أُجِيزُ فِي الثَّنَا الْمُقَارَضَهْ
229. الرَّئِيسُ: بُورِكْتُمَا فَانْصَرِفَا وَسَجِّلَا ... رِئَاسَتِي وَأَسْرِعَا وَعَجِّلَا
230. وَالْحَمْدُ للهِ خِتَامُ الْجَلْسَهْ ... فَقَدْ مَضَتْ مَعَ طُولِهَا كَالْخُلْسَهْ
231. أَرْفَعُهَا الْيَوْمَ لِأَجْلِ الصُّلْحِ ... وَفِي غَدٍ أَنْصِبُهَا بِالْفَتْحِ
232. فِي الْوَقْتِ وَالْمَكَانِ وَالتَّارِيخِ ... كَأَنَّنَا فِي عَالَمِ الْمَرِّيخِ

الجلسة الثانية: الْمَشْهَدُ الثَّانِي: الثَّلَاثَةُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ.

233. الرَّئِيسُ: الْحَمْدُ للهِ افْتِتَاحُ الْعَمَلِ ... وَالشُّكْرُ للهِ بُلُوغُ الْأَمَلِ
234. الْجَلَّالِي: لَا تَتْرُكِ الْمَأْثُورَ مِنْ قَوْلِ السَّلَفْ ... فَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ
235. وَابْدَأْ بِـ"بِسْمِ اللهِ" فِي الْإِقْبَالِ ... أَلَيْسَ فِي اجْتِمَاعِنَا ذُو بَالٍ؟[1]

(1)يشير إلى ما رُوي عن عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ"، وفي رواية: "كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدُ لله فَهُوَ أَجْذَمُ"، قال الألباني(الإرواء29/1): ضعيف.







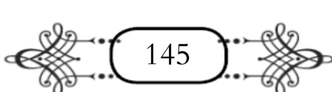
236. الْجَنَّانُ: بَلْ فِيهِ ذُو بَالٍ وَذُو مَبَالِ وَحَبَّذَا لَوْ كُنْتَ ذَا سِبَالِ
237. يَاضَيْعَةَ الْأَوْقَاتِ تَمْضِي فِي الْجَدَلْ وَالْوَقْتُ إِنْ ضَاعَ فَمَا عَنْهُ بَدَلْ
238. اِبْدَأْ بِذِكْرِ اللهِ مُطْلَقًا وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَ الشَّيْخِ فِيمَا أَوَّلَا
239. الرَّئِيسُ: وَبَعْدَ ذَا نَشْرَعُ فِي الْمَقْصُودِ مِنْ عَمَلٍ مُرَتَّبٍ مَرْصُودِ
240. وَأَوَّلُ الْمَرْسُومِ فِي ذَا الْجَدْوَلِ تَوْضِيحُ شَيْءٍ نَافِعٍ لَكُمْ وَلِي
241. فَلْتَعْلَمُوا وَلَسْتُ ذَا افْتِتَانِ أَنَّ الرَّئِيسَ صَوْتُهُ صَوْتَانِ
242. الْجَلَّالِي: نَعَمْ نَعَمْ وَمَوْتُهُ مَوْتَانِ وَقُوتُهُ بَيْنَ الْوَرَى قُوتَانِ
243. نَعَمْ لَوْ أَنَّ حَلْقَهُ حَلْقَانِ وَخَلْقَهُ فِيمَا نَرَى خَلْقَانِ
244. الْجَنَّانُ: تَثَبَّتُوا فَلَسْتُمُ تَلَامِذَهْ وَحَكِّمُوا الْمَنْطِقَ يَا أَسَاتِذَهْ

يَلْتَفِتُ إِلَى الرَّئِيسِ

245. يَا سَيِّدِي أَنْتَ الرَّئِيسُ حَقًّا وَإِنَّمَا أُعْطِيتَ هَذَا الْحَقَّا
246. لِيَحْصُلَ التَّرْجِيحُ فِي حَالِ اللَّدَدْ مَعَ تَسَاوِي الطَّرَفَيْنِ فِي الْعَدَدْ
247. أَمَّا هُنَا فَإِنَّنَا وِتْرٌ وَلَا دَاعِيَ لِلتَّرْجِيحِ عِنْدَ الْعَدَدْ
248. فَإِنْ عَرَضْتَ صُورَةً فَقُلْتُ "وِي"(1) وَقُلْتُمَا مِثْلِي فَرَأْيٌ مُسْتَوِي
249. وَإِنْ أَبَاهَا صَاحِبِي فَقَالَ "نُو" فَبَيْنَنَا فِيهَا خِلَافٌ مُعْلَنُ
250. فَصَوْتُكَ الْوَاحِدُ قَدْ يُؤَيِّدُ رَأْيًا مِنَ الرَّأْيَيْنِ أَوْ يُفَنِّدُ
251. وَرَأْيُكَ الثَّانِي اطْوِهِ فِي الْحَوْصَلَهْ وَاجْعَلْ لِعَقْلِكَ بِمَنْ صَحَوْا صِلَهْ

---

(1)*وي: كلمة فرنسية معناها نَعَم. نو: كلمة فرنسية معناها لا.



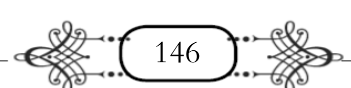


252. إِلَّا إِذَا كَانَ لَكُمْ رَأْيَانِ ... فِي الْمَطْلَبِ الْوَاحِدِ يُرْعَيَانِ
253. وَكُنْتَ تَنْفِي الْأَمْرَ ثُمَّ تُثْبِتُهْ ... أَوْ تَقْلَعُ الْعُسْلُوجَ ثُمَّ تُنْبِتُهْ
254. فَهَذِهِ سُخْرِيَّةٌ وَهَزْلُ ... وَالرَّفْضُ حَقٌّ بَعْدَهَا وَالْعَزْلُ
255. الرَّئِيسُ: دَعْنَا مِنَ الْهَزْلِ وَمِنْ عَزْلٍ وَمِنْ ... سَفَاسِفٍ لَسْتُ بِهَا فِيكُمْ قَمِنْ
256. وَإِنَّنِي أَحْبُوكَ بِاسْمِ الْمَجْلِسِ ... شُكْرًا كَمَا انْشَقَّ الضِّيا فِي الْغَلَسِ
257. وَقَدْ أَفَدْتَنَا بِهَذَا الدَّرْسِ ... وَقَدْ غَرَسْتَ الْعِلْمَ أَيَّ غَرْسِ
258. وَقَدْ شَرَحْتَ بَارَكَ اللهُ عَلَيْكْ ... حَقَائِقًا لَمْ نُلْفِهَا إِلَّا لَدَيْكْ
259. الجَلَّالِي: أَمَّا أَنَا فَلَا أَقُولُ حَرْفَا ... فِي شُكْرِهِ وَالْمُرْسلَاتِ عُرْفَا
260. فَمَا سَمِعْتُ غَيْرَ تَطْوِيلِ الْجُمَلْ ... فِي مِثْلِ مَا قَالُوهُ فِي حَرْثِ الْجَمَلْ(1)
261. وَأَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ السَّفَاسِفْ ... حَتَّى يَؤُودَ حَمْلُهَا الشَّرَاسِفْ؟
262. وَأَيُّ عِلْمٍ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ ... وَكُلُّ الْأَغْمَارِ لَهَا حُفَّاظُ؟
263. وَأَيُّ فَضْلٍ لِلَّذِي يَعْرِفُ مَا ... يَفْغَرُ كُلُّ نَاطِقٍ بِهِ الْفَمَا؟
264. صَغَائِرٌ يَعْرِفُهَا النُّوَّابُ ... قُلَيِّهُمْ وَالتَّيْسُ وَالْغُرَابُ (2)
265. مِنَ اِنْتِخَابَاتٍ وَأَغْلَبِيَّهْ ... وَكُلُّهُمْ فِي الشَّكْلِ لَوْلَبِيَّهْ
266. مَصَائِدٌ لِلْأَنْفُسِ الْأَبِيَّهْ ... وَخُدَعٌ لِلْأُمَمِ الْغَبِيَّهْ

---

(1) يشير إلى المثل الشعبي: "اللّي حرثها الجمل دكها"

(2)*القلي: نائب تقلّب في عدة مناصب بسطيف، والتيس نائب أيضا ويدعى بومعزة، والغراب نائب آخر يسمّى معمر بن غراب.



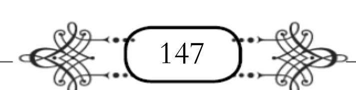


267. وَآفَةٌ لِلْعَقْلِ وَالضَّمِيرِ أَلْحَقَتِ الْإِنْسَانَ بِالْحَمِيرِ
268. وَقَدْ أَضَلَّتْ أُمَمًا فَزَلَّتْ وَمِنْ عُلَا سَمَائِهَا تَدَلَّتْ
269. يَخْتَالُ كُلُّ مَنْ لَهُ افْتِتَانُ بِحُبِّهَا وَهْوَ بِهَا يَخْتَانُ
270. خِبَاؤُهَا لَيْسَ لَهُ تِمْتَانُ وَعَيْثُهَا لَا غَيْثُهَا هَتَّانُ
271. وَرُوحُهَا التَّضْلِيلُ وَالْبُهْتَانُ وَقَدْ مَحَاهَا شَيْخُنَا بِيتَانُ(1)
272. لَوْ لَمْ يَجِئْ بَعْدَ خَرَابِ الْبَصْرَهْ وَفَقْدِ كُلِّ أَمَلٍ فِي النُّصْرَهْ
273. وَمَحْوُهَا أَرَاحَنَا مِنْ قَوْمِ مِنَّا غَلَوْ فِي اللُّؤْمِ لَا فِي السَّوْمِ
274. قَدْ مَلَكَتْهُمْ فِتْنَةُ الْكَرَاسِي فَأَصْبَحَ الْجَارِي بِهِمْ كَالرَّاسِي
275. وَمَحْوُهَا أَثْبَتَ أَنَّ الشَّرَّا فِيهَا وَفِي أَصْحَابِهَا اسْتَقَرَّا
276. الْجَنَّانُ: ذَهَبْتَ مِنِّي مَذْهَبًا بَعِيدَا وَصَارَ وَعْدِي كُلُّهُ وَعِيدَا
277. أَنَا شَرَحْتُ الْحَقَّ بِالْإِيضَاحِ وَلَمْ أُبَالِ مَا يَقُولُ اللَّاحِي
278. وَأَنْتَ فِي بَابِ الْحُقُوقِ مُلْحِدُ تَسْتَيْقِنُ الْفَضْلَ وَلَكِنْ تَجْحَدُ
279. لَكِنْ ....
الْجَلَّالِي: .... أَنَا لَمْ أَسْتَفِدْ نَتِيجَهْ صَادِقَةً كَالْغَرْسِ فِي مَتِّيجَهْ(2)
280. فَهَلْ أُفَدِّي مُنْبِطًا لَمْ أَجْنِ مِنْ مَائِهِ غَيْرَ صَرًى وَأَجْنِ؟(3)

(1) *بيتان: هو الماريشال بيتان رئيس فرنسا في أثناء الحرب العالمية الثانية.

(2) *متيجة: سهلٌ قريب من مدينة الجزائر.

(3) *استعمال الجنْي على الماء تمثيل، وحقيقته في الثمار والأزهار والكمأة. والصَّرى والأجن وصفان للماء معناهما المتغير الكدر.



.281 وَهَلْ أُزَكِّي بَانِيًا لَمْ يَبْنِ ... إِلَّا بِرَمْلٍ هَائِرٍ وَتِبْنِ؟[1]

.282 وَهَلْ أُهَنِّي زَارِعًا بِمَا زَرَعْ ... مِنْ حَنْظَلٍ إِنِّي إِذًا نِكْسٌ وَرَعْ؟[2]

.283 الرَّئِيسُ: لَكِنْ ....

الجَلَّالِي: .... أُهَنِّيكَ عَلَى التَّبْكِيتِ ... لِرَأْسِنَا وَبَارِعِ التَّنْكِيتِ

.284 وَرَأْسُنَا الرَّئِيسُ لَيْسَ يَفْقَهُ ... شَيْئًا عَدَا فِي الِارْتِفَاعِ أُفْقَهُ[3]

.285 الرَّئِيسُ: لَكِنْ ....

الجَلَّالِي: .... وَأَنْتَ يَا أَخِي مَعْذُورُ ... لَوْ لَمْ يَكُنْ يَشْمَلُنِي الْحُضُورُ

.286 الرَّئِيسُ: دَعْ ذَا وَلَكِنْ ....

الجَلَّالِي: .... أَنْتَ دَعْ "وَلَكِنِ" ... فَإِنَّهَا مَأْوَى اللِّسَانِ الْأَلْكَنِ

.287 وَإِنَهَا مِنْ أَضْيَقِ الْمَسَاكِنِ ... وَإِنَهَا مِنْ أَخْبَثِ الْمَرَاكِنِ

.288 الرَّئِيسُ: لَكِنْ بَدَا لِي أَنْ نَزِيدَ عُضْوَا ... .

الجَلَّالِي: .... أَثْقَلُ قَبْلَ ذِكْرِهِ مِنْ رَضْوَى

.289 الرَّئِيسُ: لَا بَلْ أَرَقُّ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ ... هَبَّ بِأَنْفَاسِ الْعَبِيرِ الشَّحَرِي[4]

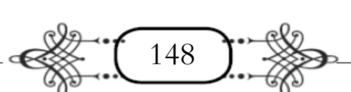
---

(1)*هائر وهار واحد، الأول هو الأصل والثاني مقلوب عنه ومثله عائق وعاق.

(2)*النِكس والوَرَع معناهما الجبان. وورع بفتح الراء من أبنية المصادر. والعرب كثيرًا ما يصفون بالمصدر كما قالوا: ثوب خلَق والقياس ورع وخلِق، وأئمة اللغة يسمّونه وصفا بالمصدر.

(3)*عدا أفقه: جاوز حدّه.

(4)*نسبة إلى مكان معروف بهذا الاسم.





290. الْجَنَّانُ: مَسْأَلَةُ الصَّوْتَيْنِ عَادَتْ جَذْعَهْ ... أَوْ لَا فَمَا مَعْنَاهُ فِيمَا ابْتَدَعَهْ[1]

291. لِأَنَّنَا إِذَا غَدَوْنَا أَرْبَعَهْ ... أَجَالَ إِنْ جَدَّ الخِلَافُ أَصْبَعَهْ

292. الْجَلَّالِي: كَأَنَّهُ يَحْسِبُنَا أَمْوَاتَا ... فَإِنْ سَكَتْنَا عَدَّهَا أَصْوَاتَا

293. الْجَنَّانُ: أُذَكِّرُ الرَّئِيسَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمْ ... فَفِيهِ لِلنَّفْسِ الحَرِيصَةِ شَكِيمْ

294. وَفِيهِ سِرٌّ لَيْسَ كَالْأَسْرَارِ ... إِذَا انْجَلَى لِأَنْفُسِ الْأَبْرَارِ

295. فَكُلَّمَا تَنَاوَلَ الْأَعْدَادَا ... بِالذِّكْرِ كَيْ يُذَكِّرَ الْعِبَادَا

296. تَنَاوَلَ الوِتْرَ وَخَلَّى الشَّفْعَا ... هِدَايَةً لِخَلْقِهِ وَنَفْعَا

297. وَآيَةُ النَّجْوَى لِقَصْدِي مَاهِدَهْ ... وَآيَةُ الْكَهْفِ عَلَيْهِ شَاهِدَهْ[2]

298. الرَّئِيسُ: وَلَمْ نُخَالِفْ أَبَدًا طَرِيقَهْ ... وَلَمْ ونُنَابِذْ[3] أَبَدًا فَرِيقَهْ

299. فَنَحْنُ بِالْعُضْوِ الْجَدِيدِ أَرْبَعَهْ ... وَنَحْنُ فِي الْأَصْوَاتِ خَمْسَةٌ مَعَهْ

300. أَنَا وَنَحْنُ أَنْتُمَا وَالْغَائِبْ ... .

الْجَلَّالِي: .... وَهَذِهِ نِهَايَةُ الرَّغَائِبْ

301. إِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَرِدْ عُضْوَيْنِ ... وَإِنْ يَكُونَا فِي الشَّقَا نِضْوَيْنِ

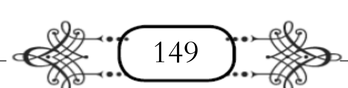
302. الرَّئِيسُ: إِذَنْ نَصِيرُ سِتَّةً بِصَوْتِي ... فَلَا تُضِعْ حَقِّي بِهَذَا الصَّوْتِ

---

(1)*تفطن من الْجَنَّانُ لحيلة ابن حافظ.

(2)*هذه النكتة من أسرار القرآن التي لا يفسرها إلا الزمان بفعل حوادث من عقول البشر وتأثيره فيها، والقرآن كتاب الدهر.

(3)*ننابذ: نخالف.





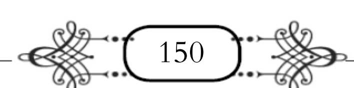
303. الجَلَّالِي: لَوْ كَانَ هَذَا الصَّوْتُ صَوْتَ الْمَوْصِلِي ... قَدْ زَلْزَلَ الْأَرْضَ بِضَرْبِ زَلْزَلِ(1)
304. أَوْ أَنَّهُ فِي السَّابِقِينَ الْأَوَّلِ ... صَوْتُ طُرَيْحٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ
305. أَوْ حَكَمِ الْوَادِي أَوِ ابْنِ عَائِشَهْ ... يَلْعَبُ بِالْأَلْبَابِ فَهْيَ طَائِشَهْ
306. أَوْ أَنَّهُ صَوْتُ الغَرِيضِ يَطْرَحُهْ ... عَلَى الْجَوَارِي وَالْعَقِيقُ مَسْرَحُهْ
307. أَوْ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ قَدْ كَانَ امْتَزَجْ ... بِنَبَرَاتِ مَعْبَدٍ حِينَ هَزَجْ
308. لَمَا صَرَفْتَ فِيهِ كُلَّ الْجُهْدِ ... وَلَزَهِدْتَ فِيهِ بَعْضَ الزُّهْدِ
309. لَكِنَّهُ صَوْتٌ بِالِاسْتِعَارَةِ ... جَاءَتْ بِهِ سَخَافَةُ الْحَضَارَةِ
310. وَلَفْظُهُ لَيْسَ يُفِيدُ مَا وُضِعْ ... لَهُ وَلَكِنْ قَدْرُنَا بِهِ وُضِعْ
311. قَدْ تَرْجَمَتْهُ فِئَةُ التَّقْلِيدِ ... وَجَهْلُ شَعْبٍ خَامِلٍ بَلِيدِ

312. الرَّئِيسُ: أَعْطُوا الرِّئَاسَةَ حَقَّهَا ... أَعْطُوا الرِّئَاسَةَ حَقَّهَا(2)
313. إِنَّ الْعُقُوقَ مَزَلَّةٌ ... تَعِسَ امْرُؤٌ قَدْ عَقَّهَا
314. الْحُرُّ يُعْلِي شَأْنَهَا ... وَالْغِرُّ يَبْغِي مَحْقَهَا

---

(1)هذه اللفتة من الجَلَّالِي حيث نقل كلمة الصوت من معناها الذي يتناقشون حوله (الانتخاب) إلى معنى آخر وهو صوت الطرب على عادته في الاعتراض، كأنه يقول للرئيس: لو أن هذا الصوت الذي تسعى جهدك لتحصيله كان صوتا من أصوات أقطاب الغناء العربي القديم لما حرصت هذا الحرص على تحصيله من أمثال إسحاق الموصلي وطريح الثقفي وحكم الوادي وابن عائشة والغريض ومعبد.

(2)*هذه القطعة على لسان الرَّئِيس هي أعمق ما في الرواية من معان قد بناها على بيان ما للرؤساء وما عليهم، وهي محتاجة إلى قليل من التنقيح.





.315 إِنَّ الرُّؤُوسَ رَئِيسَةٌ لَمْ تَعْدُ فِينَا أُفْقَهَا

.316 اللهُ أَحْسَنَ صَوْغَهَا وَأَجَلَّهَا وَأَدَقَّهَا

.317 أَوَ مَا تَرَاهَا أَشْرَفَتْ لَا شَيْءَ يَعْلُو فَوْقَهَا

.318 مَا الْقَوْلُ فِيمَنْ حَطَّهَا مَا الْقَوْلُ فِيمَنْ دَقَّهَا؟

.319 أَوْ هَدَّهَا أَوْ قَطَّهَا أَوْ شَجَّهَا أَوْ شَقَّهَا

.320 حَقٌّ عَلَى الرُّؤَسَاءِ أَنْ يُعْطُوا الجَمَاعَةَ شِقَّهَا

.321 هُمْ مَعْشَرٌ لَا يَمْلِكُو نَ مِنَ الْجَمَاعَةِ رِقَّهَا

.322 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يُحْسِنُوا تَصْرِيفَهَا أَوْ سَوْقَهَا

.323 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَحْمِلُوا مَا قَدْ تَجَاوَزَ طَوْقَهَا

.324 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَجْنُبُوا مَا لَا يُلَائِمُ ذَوْقَهَا

.325 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَرْهَبُوا رَبًّا تَوَلَّى خَلْقَهَا

.326 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَفْلِقُوا رَأْسًا يحَاوِلُ فَلْقَهَا

.327 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَسْحَقُوا خَلْقًا يُسَبِّبُ سَحْقَهَا

.328 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَقْتُلُوا بُرْغُوثَهَا أَوْ بَقَّهَا

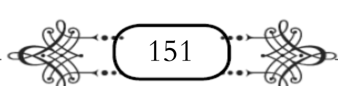
.329 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَحْفَظُوا أَبَدًا عَلَيْهَا رِزْقَهَا

.330 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَجْرَعُوا مَحْضَ الْحَيَاةِ وَمَذْقَهَا

.331 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَتْبَعُوا يُسْرَ الْأُمُورِ وَرِفْقَهَا

.332 وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَجْمَعُوا بِعَصَا الْكِيَاسَةِ فَرْقَهَا

.333 وَعَلَى الْجَمَاعَةِ أَنْ تَفِي لَهُمُ وَتُعْطِي صَفْقَهَا





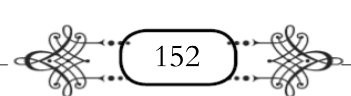
334. تَعْنُو لَهُمْ وَتَمُدُّ فِي الطَّاعَاتِ دَأْبًا عُنْقَهَا
335. إِنْ كُنْتَ كَبْشَ كَتِيبَةٍ فَاغْشَ الْكَتِيبَةَ وَالْقَهَا
336. فَالْخَيْلُ فِي الْهَبَوَاتِ تَعْـ ـرِفُ هُجْنَهَا أَوْ عُتْقَهَا
337. إِنَّ البُرُوقَ كَوَاذِبٌ وَالغَيْثُ يُظْهِرُ صِدْقَهَا
338. وَالسُّحْبُ لَا تُحْيِي الثَّرَى مَا لَمْ تُتَابِعْ وَدْقَهَا(1)
339. إِنَّ الفَخَارَ مَعَارِجٌ مَنْ يَخْشَهَا لَا يَرْقَهَا
340. وَالنَّخْلَةُ الْقِرْوَاحُ لَا تَجْنِي التَّنَابِلُ عِذْقَهَا(2)
341. إِنَّ الفَضِيلَةَ خَمْرَةٌ فَأْتِ الْمَحَامِدَ تُسْقَهَا
342. هِيَ خَمْرَةُ الْأَرْوَاحِ لَا أَعْنِي الْمُدَامَ وَزِقَّهَا
343. إِنَّ الْعَوَالِمَ أَفْصَحَتْ وَوَعَى الْغَيَالِمُ نُطْقَهَا
344. الْمَجْدُ حِصَّةُ مَنْ سَعَى بِالْجِدِّ يَنْفُضُ طُرْقَهَا
345. خَاضَ الصَّوَاعِقَ لَمْ يَهَبْ فِي جَوِّ جَرْبَةَ صَعْقَهَا
346. وَمِنَ الذَّوَابِلِ سُمْرَهَا وَمِنَ الأَسِنَّةِ زُرْقَهَا
347. يَلْقَى الْخُطُوبَ عَوَابِسًا بَشَّ الْأَسِرَّةِ طَلْقَهَا
348. أَسْرَارُ رَبِّكَ بَعْضُهَا عَقْلٌ تَوَلَّى خَرْقَهَا

---

(1)*الودق: المطر.

(2)*النخلة القرواح: الملساء الطويلة، قال سويد بن الصامت الأنصاري:

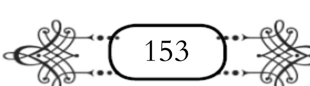
أَدِينُ وَمَا دَيْنِي عَلَيْكُم بِمَغْرَمٍ وَلَكِنْ عَلَى الشُّمِّ الجِلَادِ القَرَاوِحِ





.349	الْعِلْمُ يَسَّرَ فَتْحَهَا	وَالْجَهْلُ عَسَّرَ غَلْقَهَا
.350	إِنْ شِئْتَ تَفْقَهْ سِرَّهَا	فَاقْرَا الْحَوَادِثَ وَافْقَهَا
.351	لَا تَسْتَجِيبُ لِقَاعِدٍ	فَالْقَ الْمَكَارِمَ تَلْقَهَا
.352	وَالْأَرْضُ لَا تُعْطِي الْغِنَى	إِنْ لَمْ تُجَوِّدْ عَزْقَهَا
.353	إِنَّ الْحَيَاةَ مَوَارِدٌ	لِلْحَقِّ صَابَتْ غَدْقَهَا
.354	فَالذِّمْرُ يَشْرَبُ صَفْوَهَا	وَالْغُمْرُ يَضْرِبُ رَنْقَهَا
.355	إِنَّ اللَّيَالِيَ لُجَّةٌ	وَالْكُلُّ يَحْذَرُ غَرْقَهَا
.356	تُزْجِى إِلَى كُرَمَائِهَا	دُهْمَ الْخُطُوبِ وَبُلْقَهَا
.357	ذُو اللُّبِّ يَلْبَسُ لِلَّيَا	لِي كَيْسَهَا أَوْ حُمْقَهَا
.358	خَيْرُ الرِّجَالِ السَّابِقِيـ	ـنَ فَتًى يُجَارِي شَبْقَهَا
.359	نَسَقَ الْأُمُورَ قَلَائِدًا	غُرًا فَأَحْسَنَ نَسْقَهَا
.360	وَسَقَ الْعَظَائِمَ مَحْمَلًا	خِفًّا فَأَجْمَلَ وَسْقَهَا
.361	مَا هَابَ فِي غَمَرَاتِهَا	رَعْدَ الْخُطُوبِ وَبَرْقَهَا
.362	شَرُّ الْخَلَائِقِ أُمَّةٌ	عَلِمَ الْمُهَيْمِنُ فِسْقَهَا
.363	فَأَذَلَّهَا وَأَقَلَّهَا	عَدًّا وَقَتَّرَ رِزْقَهَا
.364	ضَاعَتْ وَإِنْ كَثُرَ الْحَصَا	أُمَمٌ أَضَاعَتْ خُلْقَهَا
.365	أَوَ مَا تَرَى أَنْ قَدْ عَلَا	غَرْبُ الْمَمَالِكِ شَرْقَهَا
.366	إِنَّ الْأَكَارِمَ عُصْبَةٌ	نَمَتِ الْمَكَارِمُ عِرْقَهَا
.367	فِي الْجَاهِلِيَّةِ قُسُّهَا	أَوْفَى فَعَفَّى شَقَّهَا

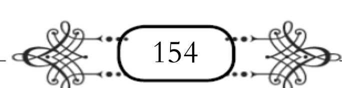







368. ثُمَّ انْبَرَى الْإِسْلَامُ يَرْ تُقُ بِالْفَضِيلَةِ فَتْقَهَا
369. النُّورُ مِنْبَعِثُ السَّنَا يَهْدِي الْعَوَالِمَ رَشْدَهَا
370. وَالْعِلْمُ يَقْتَادُ الْحِجَى لِلْحَقِّ يُذْكِي سَوْقَهَا
371. حَذِقَتْ فُنُونَ الْعِلْمِ وَالتَّـ ـارِيخُ سَجَّلَ حِذْقَهَا
372. خَفَقَتْ بُنُودُهُم عَلَى كُلِّ الْمَمَالِكِ خَفْقَهَا
373. سَلْ طَارِقًا وَسَلِ الْمَدَا ئِنَ إِذْ تَوَلَّى طَرْقَهَا
374. وَالِى الْفُتُوحَ جَلَائِلًا غُرًّا وَمَهَّدَ طُرْقَهَا
375. سَلْ بِالْمَشَارِقِ عَنْهُمُ بَغْدَانَهَا وَدِمَشْقَهَا
376. مَهْدُ الْمَعَارِفِ مِنْهُمَا نَشَقَ الْأَعَاجِمُ نَشْقَهَا
377. عَبِقَتْ بِرَيَّاهَا الْمَشَا رِقُ وَالْمَغَارِبُ عَبْقَهَا
378. حَتَّى انْبَرَى التَّفْرِيقُ يَفْ تِقُ بِالرَّذِيلَةِ رَتْقَهَا
379. رَشَقَتْهُم نَبْلُ الْعِدَا وَالدَّهْرُ سَدَّدَ رَشْقَهَا
380. مَشَقَ السُّيُوفَ لِحَرْبِهِمْ جَهْرًا وَوَاصَلَ مَشْقَهَا
381. يَا سَاحِرًا بِي كُلَّمَا سَمِعَ الْحَقِيقَةَ قَهْقَهَا
382. الْخَيْرَ مَا بَيَّنْتُهُ وَالشَّرُّ أَنْ لَا تَفْقَهَا

383. الْجَنَّانُ: أَمَا تَرَى أَنَّ الرَّئِيسَ قَدْ عَجَزْ فَأَخْرَجَ الْمِيزَانَ عَنْ بَحْرِ الرَّجَزْ
384. الْجَلَّالِي: مَهْ وَأَبِيكَ إِنَّه لَشَاعِرْ وَإِنَّهُ يَسْتَوْقِفُ الْمَشَاعِرْ
385. فَمَا عَرَفْتُهُ وَلَا غَيْرِي عَرَفْ بِأَنَّهُ يَمْلِكُ هَذِهِ الطُّرَفْ




386. فَلْنَتَنَازَلْ عَنْ مِكَاسِ السِّعْرِ ... فِي الْعُضْوِ إِكْرَامًا لِهَذَا الشِّعْرِ

387. الْجَنَّانُ: وَمَنْ يَكُونُ الرَّجُلُ الْمَزِيدُ ... حَتَّى نَرَى نَنْقُصُ أَوْ نَزِيدُ؟

388. الرَّئِيسُ: هُوَ أَبُو الْأَعْمَالِ وَالْكَمَالِ ... صَفِيُّنَا الْفَذُّ أَبُو الشِّمَالِ

389. الْجَنَّانُ: يَا حَبَّذَا وَمَرْحَبًا وَأَهْلَا ... وَتَكْرِمَاتٍ وَمَقَامًا سَهْلَا

390. الْجَلَّالِي: نِعْمَ الْفَتَى هُوَ وَلَسْتُ أَدْفَعُهْ ... عَنْ رُتْبَةِ الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَرْفَعُهْ

391. عَنْ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْمَهِينَهْ ... فَهْيَ بِكُلِّ ذِلَّةٍ رَهِينَهْ

392. وَرُبَّمَا كَانَتْ لَهُ أَعْمَالُ ... يَطْرُقُهَا التَّعْطِيلُ وَالْإِهْمَالُ

393. أَوْ كَانَ لَا يَشْرَكُنَا فِي الْمَعْنَى ... وَالْغَرَضِ الَّذِي لَهُ اجْتَمَعْنَا

394. وَإِنَّنِي أَعْرِفُهُ أَرِيبَا ... قَدْ مُلِئَتْ حَيَاتُهُ تَجْرِيبَا

395. يُعْطِي لِكُلِّ حَالَةٍ مِقْدَارَهَا ... وَرَيْثَهَا بِالقِسْطِ أَوْ بِدَارَهَا

396. يَقُومُ بِالْحُقُوقِ فِي أَوْقَاتِهَا ... لَا يَنْسَأُ الآجَالَ عَنْ مِيقَاتِهَا

397. أُجِلُّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَنَا ... وَيَسْتَطِيبَ خَمْطَنَا وَأَثْلَنَا

398. يُدْعَى إِلَى مُسْتَتِرٍ مَجْهُولِ ... وَيَسْتَعِيضُ الْقَفْرَ بِالْمَأْهُولِ

399. أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّنَا لِلسَّاعَهْ ... لَمْ نَتَبَيَّنْ هَذِهِ الْبِضَاعَهْ

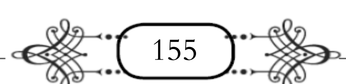
400. وَلَمْ تَزَلْ بِضَاعَةً مَلْفُوفَهْ ... وَبِالْغُمُوضِ وَالْخَفَا مَحْفُوفَهْ

401. فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَتَّقُوا ذَا الْبُطْئَا ... فَإِنَّ قَتْلَ الْوَقْتِ كَانَ خِطْئَا

402. الْجَنَّانُ: تَعِيبُنِي وَالْبُطْءُ مِنْكَ جَاءَا ... فَهَلْ تَرَى لَكَ مِنْهُ وِجَاءَا

403. الْجَلَّالِي: رَمَيْتَنِي بِدَائِكَ الْعَيَاءِ ... وَجِئْتَ بِالْبَهْتِ بِلَا حَيَاءِ

404. يَا عَجَبًا يَثْنِي الْحِجَى مُفَكِّرَا ... إِبْلِيسُ أَمْسَى وَاعِظًا مُذَكِّرَا





405. إِنِّي أَجَبْتُ الشَّيْخَ عَنْ مُلَاحَظَهْ   وَهْوَ حَلِيفُ الْحَقِّ فِيمَا لَاحَظَهْ

406. إِنَّ الْأَخَ الْجَدِيدَ لَا يَشْرَكُنَا   لَكِنَّهُ فِي النَّصْرِ لَا يَتْرُكُنَا

407. وَإِنَّهُ يَنْفَعُنَا بِحَزْمِهِ   وَرَأْيِهِ وَحِرْصِهِ وَعَزْمِهِ

408. وَإِنَّنَا نُرِيدُهُ لِلْحَرَكَهْ   وَالْعَمَلِ الْمُثْمِرِ لَا لِلْبَرَكَهْ

409. وَفِيهِ بَعْدَ الرَّأْيِ وَالْإِشَارَهْ   عَوْنٌ عَلَى نُفُوسِنَا الْأَمَّارَهْ

الْمَشْهَدُ الثَّالِثُ: يَدْخُلُ تِلْمِيذٌ صَغِيرٌ بِيَدِهِ طُبْسِي[1] فَطَائِرٌ بَارِدَةٌ

410. الرَّئِيسُ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْخَيْرُ يَا تِلْمِيذُ؟   ....

الْجَنَّانُ: ....   هَلَّا بِجَدْيٍ لَحْمُهُ حَنِيذُ

411. التِّلْمِيذُ: جَاءَ بِهَا أَسْوَدُ كَالْوَصِيفِ   مِنْ بَاعَةِ الْخُبْزِ عَلَى الرَّصِيفِ

412. وَقَالَ قَدْ بَارَتْ وَطَالَ مُكْثُهَا   وَلَمْ تَكُنْ كَالصُّوفِ يُجْدِي نَكْثُهَا

413. فَاذْهَبْ بِهَا صَدَقَةً لِلطَّلَبَهْ   فَالْفَقْرُ فِيهِمْ عَلَمٌ بِالْغَلَبَهْ

414. قُلْتُ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: ذُو الْأَنْفِ الْأَشَمْ   وَطَالِبٌ فِي عُلْبَةِ الْقَرْنِ يَشَمْ

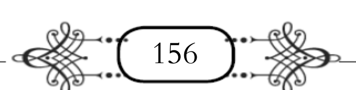
415. وَثَالِثٌ رَأَيْتُهُ فِي الْمَدْرَسَهْ   يَجُولُ فِي أَرْجَائِهَا كَالْحَرَسَهْ

416. الرَّئِيسُ: جَنَى عَلَيْكُمْ وَصْفُكُمْ يَا سَادَهْ   ....

الْجَلَّالِي: ....   إِنَّ الْمَرِيضَ يَأْلَفُ الْوِسَادَهْ

417. الْجَنَّانُ: جَنَتْ عَلَيْكُمْ عُصْبَةٌ بِالْبَادِيَهْ   مَخَايِلُ الذُّلِّ عَلَيْهَا بَادِيَهْ

(1) *طُبْسِي: صحن.




418. قَدْ أَرْشَدُوا النَّاسَ إِلَى احْتِقَارِهِمْ   بِذُلِّهِمْ لِلنَّاسِ وَافْتِقَارِهِمْ
419. الجَلَّالِي: جَنَى عَلَيْنَا أَنَّنَا بَيْنَ سَوَادْ   لَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَ التَّوَالِي والهَوَادْ
420. الرَّئِيسُ: لِنَعْتَصِمْ بِالحَقِّ وَلْنُصَابِرْ   حَتَّى تَضُمَّ نَشْرَنَا الْمَقَابِرْ

يَضَعُونَ الطُّبْسِي عَلَى الْمَكْتَبِ وَيَلْتَفُّونَ عَلَيْهِ

421. الرَّئِيسُ: كُلُوا عَلَى اسْمِ اللهِ وَاسْتَرِيحُوا   وَاسْتَمْتِعُوا إِنَّ الْحَيَاةَ رِيحُ
422. الجَلَّالِي: الرَّقْصُ رَقْصُ "طَنْقُو"   وَالزَّيْتُ زَيْتُ "صَنْقُو" (1)
423. قَدْ ذُقْتُهُ فَآذَى   مُذْ كُنْتُ فِي "مَرْنْقُو" (2)
424. الرَّئِيسُ: مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَكَ لَنْ يُصِيبَكْ   قُلْ لِي فَهَلْ تَهَبُ لِي نَصِيبَكْ؟
425. الجَلَّالِي: أَهَبُهُ لِصَاحِبِي الْجَنَّانِ   فَطَالَمَا بِحَظِّهِ وَاسَانِي
426. الجَنَّانُ: أَحُطُّ فِيهَا بِالْبَنَانِ الْخَمْسِ   إِنَّ لَهَا فَرْقَعَةً كَالْهَمْسِ
427. يَا حُسْنَهَا دَائِرَةً كَالشَّمْسِ   لَوْ لَمْ تَكنْ بَارِدَةً فِي اللَّمْسِ
428. الجَلَّالِي: تَشَابَهَ الْمَأْكُولُ وَالْمَقُولُ   لَدَيْكَ وَالْمَنْقُولُ وَالْمَعْقُولُ
429. الرَّئِيسُ: لَعَلَّنَا يَا قَوْمُ لَوْ فَصُحْنَا   لَمْ نَقُلِ الطُّبْسِي وَقُلْنَا الصَّحْنَا
430. الجَلَّالِي: الصَّحْنُ قِدْرٌ جُدْرُهُ قَصِيرُ   شِعْرُ ابْنِ كُلْثومٍ لَه نَصِيرُ

---

(1)*طنقو: اسم رقصة. والقاف تُنطق كالجيم المصرية. صنقو: نوع من الزيت. والقاف تُنطق كالجيم المصرية.

(2)*مرنقو: اسم مدينة، تسمّى الآن "حَجُّوط".






431. وَالرِّفْدُ وَالْعُسُّ مَعًا وَالْـجُنْبُلُ وَالْقَعْبُ أَنْوَاعٌ رَوَاهَا قُنْبُلُ
432. وَقَدَحُ الشُّرْبِ بِفَتْحَتَيْنِ وَالْجَمْعُ أَقْدَاحٌ بِغَيْرِ مَيْنِ
433. وَالْقِدْحُ فِي الْأَزْلَامِ بِالْكَسْرِ عُرِفْ وَعَنْ قِدَاحٍ جَمْعُهُ لَا يَنْحَرِفْ
434. وَالْقَدْحُ فِي الذَّمِّ بِفَتْحٍ فَسُكُونْ وَمِثْلُهُ لِلزَّنْدِ إِنْ أَوْرَى يَكُونْ
435. وَفِي الْجِبَالِ قَرْيَةٌ تُدْعَى الطَّبَسْ لَعَلَّ هَذَا الِاسْمَ مِنْهَا مُقْتَبَسْ

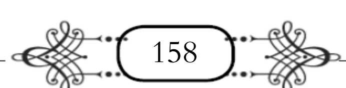
يَدْخُلُ تِلْمِيذٌ آخَرُ فِي يَدِهِ قُرْعَةُ شَمَّةَ(1) مَلْفُوفَةٌ فِي قِرْطَاسٍ

436. التِّلْمِيذُ: هَدِيَّةٌ مِنْ رَجُلٍ بَرَّانِي مِثْلُ حِمَارِ جَارِنَا الْحَرَّانِي
437. كَلَّفَنِي مِنْ بَعْدِ مَا مَنَّانِي بِحَمْلِهَا لِشَيْخِنَا الْجَنَّانِي
438. الْجَلَّالِي: قَدْ كَذَبَ الطِّفْلَ وَلَوْ قَدْ صَدَقَهْ لَكَانَتِ الشَّمَّةُ أَيْضًا صَدَقَهْ
439. الْجَنَّانُ: أَحْسَنْتَ يَا مُهْدِيَ هَذِي الْقَرْعَهْ وَوَرَّثَ الْأَصْلُ السَّمَاحَ فَرْعَهْ
440. لَمْ أَدْرِ مَنْ أَنْتَ وَلَكِنْ لِلْكَرَمْ مَزِيَّةٌ تُرْعَى كَمَا تُرْعَى الْحُرَمْ

يَفْتَحُهَا وَيَذُوقُهَا بِأَنْفِهِ

441. بُورِكَتِ الْأَيْدِي اللَّوَاتِي حَكَّتِ دُخَانَهَا وَفَرَّكَتْ وَفَكَّتِ
442. مَا ضَرَّهَا وَهْيَ بِهَذِي النَّشْوَهْ لَوْ أَوْدَعَتْهَا الْغَانِيَاتُ الْقَشْوَهْ
443. وَبُورِكَ التُّرْبُ الَّذِي أَخْرَجَهَا وَفِي خَفَا أَطْوَارِهِ أَدْرَجَهَا
444. وَبُورِكَ الظَّرْفُ الَّذِي حَوَاهَا وَبُورِكَ الْمَاءُ الَّذِي قَوَّاهَا

(1)*قرعة شمة: قنينة يوضع فيها مسحوق التبغ الذي يسمى (شمة) لأنه يشم.





445. وَبُورِكَ الْقِرْطَاسُ حِينَ لَفَّهَا ....

الْجَلَّالِي: .... وَبُورِكَ الْخَيْشُومُ حِينَ نَفَّهَا[1]

446. وَبُورِكَ الْفَمُ الَّذِي قَدْ سَفَّهَا وَلَمَّهَا بِالْأَكْلِ حَتَّى اسْتَفَّهَا

447. الْجَنَّانُ: "صَمَّطْتَهَا"[2] عَنِّي بِذِكْرِ الأَكْلِ إِذْ لَيْسَ شَكْلُ الْآكِلِينَ شَكْلِي

448. الْجَلَّالِي: أَعْذِرْ أَخًا تُطْرِبُهُ هَذِي النُّكَتْ وَلَوْ جَدَعْتَ أَنْفَهُ لَمَا سَكَتْ

449. لَمَّا رَأَيْتُ قَرْعَةً قَدْ لُفَّتْ وَبِيَدَيْكَ الرَّطْبَتَيْنِ حُفَّتْ

450. كَأَنَّ فِكْرِي جَرَّهُ بِمِقْوَدِ قَوْلٌ قَدِيمٌ فِي نَصِيبِ الْأَسْوَدِ

451. كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَا لِلنَّاسِ ....[3] لُفَّ فِي قِرْطَاسِ

452. الْجَنَّانُ: قُبْحًا لِأَشْيَاءٍ بِهَا تَرْمِينَا وَلِنِبَالٍ رِيشُهَا يُصْمِينَا

453. الرَّئِيسُ: الْجَمْعُ لَا يُثْمِرُ إِلَّا خَيْرَا ....

454. الْجَلَّالِي: .... وَالطَّرْحُ لَا يُثْمِرُ إِلَّا ضَيْرَا

455. الرَّئِيسُ: لَسْتُ أُرِيدُ الْجَمْعَ فِي فَنِّ الْحِسَابْ وَلَيْسَ لِي إِلَى جُمُوعِهِ انْتِسَابْ

456. وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الِاجْتِمَاعَا لِلْخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالِاسْتِمَاعَا

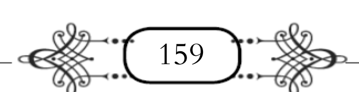
457. فَمِنْ ثِمَارِ الْجَمْعِ فِيمَا تَشْهَدُونْ جَاءَتْ هَدَايَا الْخَيْرِ مِمَّنْ تَعْهَدُونْ

---

(1)*نَفَّها: كلمة دارجة معناها استنشق.

(2)*صمَّطتها: كلمة عامية معناها "لقد أَثْقَلْتَ"

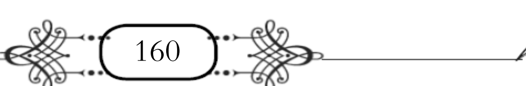
(3)هذا البيت قاله جرير لما رأى رجلا أسود وعليه ثياب بيض، وحذف منه الإبراهيمي كلمة يُستحى من ذكرها، وقصته ذكرها الجاحظ(الرسائل1/183) والقالي(الأمالي1/279) وغيرهما.



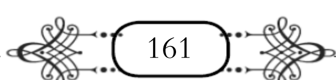


458. الجَلَّالِي: غَلِطْتَ إِذْ سَمَّيْتَ بِالْهَدِيَّهْ فَطَائِرًا فِي صُنْعِهَا رَدِيَّهْ
459. وَشَمَّةً مُنْتِنَةَ الْأَنْفَاسِ جَالِبَةً لِلْقَيْءِ وَالْعُطَاسِ
460. وَصَاحِبُ الْأُولَى دَعَاهَا صَدَقَهْ بِنِيَّةٍ مِنْ قَصْدِهِ مُحَقَّقَهْ
461. تَبًّا لَهُ فَإِنَّه قَدْ جَعَلَا لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُهُ وَافْتَعَلَا
462. تَقْدِيمُهَا مِنْهُ خَرَابُ ذِمَّهْ وَأَخْذُكُمْ لَهَا سُقُوطُ هِمَّهْ
463. وَالثَّانِي خَصَّ أَقْرَعًا بِقَرْعَهْ فَمَا تَرَى لَوْ خَصَّهُ بِصَرْعِهْ؟
464. وَلَا مِرَاءَ أَنَّ بَيْنَ الْمُهْدِي وَشَيْخِنَا تَوَاثُقًا بِعَهْدِ
465. وَصِلَةً أَنْفِيَّةً قَوِيَّهْ قَدْ عَقَدَتْهَا الشَّمَّةُ الْغَوِيَّهْ
466. إِنَّ الْأُنُوفَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ وَثَائِقٌ بِالْحِلْفِ وَالْوَلَاءِ
467. تَرَاهُمُ إِنْ جَمَعَتْهُمْ حَضْرَهْ تَفَاهَمُوا بِغَمْزَةٍ وَنَظْرَهْ
468. وَسَافَرَتْ بَيْنَهُمُ تِلْكَ الْعُلَبْ وَبَذَلَتْ أَعْلَاقَهَا قَبْلَ الطَّلَبْ
469. وَكُلُّ شَمَّامٍ رَأَى شَمَّامَا هَشَّ لَهُ مُهْتَبِلًا هَمَّامَا
470. كَالْأَصْفِيَاءِ حَفِظُوا الذِّمَامَا وَتَرَكُوا الْإِغْبَابَ وَالْإِلْمَامَا
471. وَكُلَّمَا تَكَتَّمَ الشَّمَّامُ فَعَرْفُهَا عَنْ حَالِهِ نَمَّامُ
472. وَمَا رَأَى النَّاسُ كِرَامًا غَيْرَهُمْ فِي الْمَحْلِ مَارُوا الْمُعْوِزِينَ مَيْرَهُمْ
473. وَعِنْدَهُمْ مصْطَلَحَاتُ الصَّرْفِ ظَاهِرَةً فِي فِعْلِهِمْ وَالظَّرْفِ
474. النَّقْلُ وَالتَّحْرِيكُ وَالتَّسْكِينُ وَالْفَتْحُ وَالتَّشْدِيدُ وَالتَّمْكِينُ
475. وَالضَّمُّ وَالصِّحَّةُ وَالْإِعْلَالُ وَالْحَذْفُ وَالتَّعْوِيضُ وَالْإِبْدَالُ
476. وَالْقَلْبُ وَالتَّرْخِيمُ وَالْإِدْغَامُ وَالْفَكُّ وَالتَّخْفِيفُ وَالْإِشْمَامُ



477. وَفِيهِمُ الْأُصُولُ وَالزَّوَائِدُ ... وَعِنْدَهُمْ فِي شَمِّهَا عَوَائِدُ
478. أَمَّا الدُّخَانُ وَلَه أَسْمَاءُ ... كُثْرٌ فَلَمْ تَأْتِ بِهَا السَّمَاءُ
479. وَهَلْ سَمِعْتَ مَا يَقولُ الرَّاوِي ... فِي وَاحِدٍ مِنْهَا اسْمُهُ الطَّهْرَاوِي
480. الرَّئِيسُ: عَجِبْتُ مِنْ خُرْطُومِكَ الْأَشَمِّ ... كَيْفَ حَرَمْتَهُ لَذِيذَ الشَمِّ
481. وَلَوْ غَدَا حَامِلُهُ مِنْ هَاشِمِ ... كَانَ أَمِيرَ أُمَّةِ الْخَيَاشِمِ
482. وَلَوْ غَدَا حَامِلُهُ شَمَّامَا ... كَانَ لَهُمْ بِأَنْفِهِ إِمَامَا
483. لَوْ كُنْتَ فِي زُمْرَتِهِمْ دَخَلْتَا ... كَرُمْتَ فِي النَّاسِ وَمَا بَخِلْتَا
484. وَإِنَّ لِي فِيكَ اعْتِقَادًا جَازِمَا ... أَقُولُهُ مُسْتَبْصِرًا وَجَازِمَا
485. الْجَلَّالِي: طُولُ الْعَرَانِينِ دَلِيلُ الشَّرَفِ ... لَا تَنْتَحِلْ عِرْفَانَ مَا لَمْ تَعْرِفِ
486. أَجْدَادُنَا الْعُرْبُ بِهِ تَفَاخَرُوا ... وَقَالَ فِيهِ أَوَّلٌ وَآخِرُ
487. وَقَدْ يَتِيهُ الرَّجُلُ الْأَنَافِي ... بِالْأَنْفِ لَا بِالْأَصْلِ مِنْ مَنَافِ
488. ولَيْسَ فِي الشَّمَّةِ مَا يَزِيدُ ... إِلَّا ادِّعَاءً فِعْلُهُ مَزِيدُ
489. ثُمَّ لَهَا بَعْدُ ذُنَانٌ قَذِرُ ... كَأَنَّهُ مِنَ الرَّجِيعِ يَقْطُرُ
490. أَصْحَابُهَا فِي الْحَيْضِ طُولَ الدَّهْرِ ... وَالْحَيْضُ يَأْتِي مَرَّةً فِي الشَّهْرِ
491. وَقَدْ حَوَتْ مِنَ الْعُيُوبِ الْكُبَرِ ... مَا يَقْتَضِينِي أَنْ أُرَى مِنْهَا بَرِي
492. تَنْسَابُ بَيْنَ أُنُفٍ تَشُمُّ ... وَأَلْسُنٍ مِنْ تَحْتِهَا تَذمُّ
493. وَلَيْسَ فِي الْعَيْبِ كَهَذِي الْخَلَّهْ ... أَنْ يَشْهَدَ الْجَارُ بِسُوءِ الدَّخْلَهْ
494. إِذْ لَيْسَ بَيْنَ الْأَنْفِ وَاللِّسَانِ ... إِلَّا زُهَا ذُبَابَةِ السِّنَانِ
495. الرَّئِيسُ: هَلْ لَكَ يَا جَنَّانُ أَنْ تُقَارِعْ ... زَمِيلَكَ الشَّيْخَ الْأَدِيبَ الْبَارِعْ





496. فَقَدْ دَهَاكَ بِقَوَافٍ مُحْكَمَهْ — كَأَنَّهَا وَثَائِقٌ فِي الْمَحْكَمَهْ

497. وَقَالَ فِي ذَاتِ السُّعَاطِ الْخَمْرِي — مَا لَمْ يَقُلْهُ مَالِكٌ فِي الْخَمْرِ

498. أَذَلَّهَا وَهْيَ الْعَزِيزَةُ عَلَيْكْ — وَذَمَّهَا وَهْيَ الْحَبِيبَةُ لَدَيْكْ

499. وَنَالَهَا بِالْعَيْبِ وَالتَّحْقِيرِ — وَهْيَ تُجَلُّ عَنْ سِوَى التَّوْقِيرِ

500. أَلَا تَغَارُ عَنْ حَبِيبِ الشَّمِّ — فَتَنْتَحِي مَنْ ذَمَّهُ بِالذَّمِّ

501. وَمَنْ أَحَبَّ هِرَّةً حَمَاهَا — وَذَادَ عَنْهَا الطَّارِقِي حِمَاهَا

502. فَكَيْفَ بِالْمَعْشُوقَةِ الْمِمْرَاحِ — جَالِبَةِ الْبَسْطِ وَالِانْشِرَاحِ؟

503. طَارِدَةِ الْغَمِّ وَالِاكْتِئَابِ — نَاقِلَةِ الرَّوْحِ لِشَهْرِ آبِ

504. فَصُنْ حِمَاهَا بِالدِّفَاعِ فَقَلِيلْ — فِي صَوْنِ مَنْ تُحِبُّهُ بَذْلُ الْجَلِيلْ

505. وَعَارِضِ الْقَوْلَ بِقَوْلٍ يُفْحِمُهْ — تُسْدِيهِ مِنْ مَدِيحِهَا وَتُلْحِمُهْ

506. وَشَنِّفِ الْآذَانَ مِنَّا بِالدُّرَرْ — وباللآلِئِ الثَّمِينَةِ الْغُرَرْ

507. وَالشَّيْخُ فِي هُجُومِهِ الْمُجْتَاحِ — كَأَنَّهُ يَدْعُوكَ لِلْكِفَاحِ

508. وَقَدْ وَقَفْتَ مَوْقِفًا يُؤَرِّخُ — فِيهِ عَلَيْكَ أَوْ لَكَ الْمُؤَرِّخُ

509. وَفِيهِ كَشْفٌ لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرْ — مِنْ نَسَبٍ فِي الْعُرْبِ وَالْعُجْمِ بُتِرْ

510. فَإِنْ بَلَغْتَ مِنْ كِفَاحِهِ الْأَرَبْ — فَأَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبْ

511. وَإِنْ تَخِمْ وَقَسْوَرُ الْغَابِ هَجَمْ — فَأَصْفَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَجَمْ

512. وَمَنْ يَكُنْ فِي غَرْبِهِ وَضُوحُ — حَقَّ عَلَيْهِ الرَّضْخُ لَا الرُّضُوخُ

513. وَهَذِهِ هِيَ الْمَيَادِينُ الَّتِي — قَدْ رَاضَهَا أَسْلَافُنَا فَذَلَّتِ

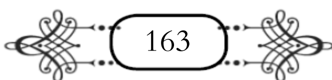
514. فَمِنْ قَدِيمٍ عُرِفَ السِّجَالُ — وَكَانَ كَالْحَرْبِ لَهُ رِجَالُ







.515 وَكَانَ فِي الشِّعْرِ لَهُ مَجَالُ ... رَوِيَّةٌ يَغْمُرُهَا ارْتِجَالُ
.516 مَشَاهِدٌ لِلْغَابِرِينَ الْأُوَّلِ ... لِغَيْرِهِمْ فِي الدَّهْرِ لَمْ تُنَوَّلِ
.517 مَفَاخِرٌ عَلَوْا بِهَا عَلَى الْأُمَمْ ... وَأَحْرَزُوا الْفَخْرَ الصَّمِيمَ مِنْ أَمَمْ
.518 مَوَاقِفٌ بَيَّضَتِ الْوُجُوهَا ... وَانْصَرَمَتْ وَمِنْكُمَا نَرْجُوهَا
.519 فَإِنَّ هَذَا النَّوْعَ فِي الْآدَابِ ... فِي عَصْرِنَا رَهِينَةُ الإِجْدَابِ
.520 فَأَشْقِيَاهُ مِنْ حَيَا الْقَرَائِحِ ... صَوْبَ الْغَوَادِي الدُّلَّجِ الرَّوَائِحِ
.521 وَأَحْيِيَاهُ فَحَيَاةُ الْأَدَبِ ... عِنْدَ النُّهَى إِحْيَاءُ مَجْدِ الْعَرَبِ
.522 وَجَدِّدَا أَرْسُمَهُ الْبَوَالِي ... كَمَا ازْدَهَتْ فِي الأَعْصُرِ الْخَوَالِي
.523 هَيْهَاتَ مِمَّنْ سَامَهَا انْتِسَافَا ... مَنْ زَادَ فِي أَصْلِ الْبِنَاءِ سَافَا
.524 الْجَنَّانُ: يَا قَوْلَةً قَدْ قَالَهَا أَبُو لَهَبْ ... تَبًّا لَهُ فِي الْغَابِرِينَ وَذَهَبْ
.525 كَاذِبَةً خَاطِئَةَ الْمَسَاقِ ... صَادِقَةً فِيكَ عَلَى اتِّسَاقِ
.526 كَأَنَّهَا وَدِيعَةٌ مُدَّخَرَهْ ... لَكَ وَقَدْ قَبَضْتَهَا بِأَخَرَهْ
.527 دَعْوَتَنَا لِغَرَضٍ مُهِمِّ ... كَمَا زَعَمْتَ أَوْ لِهَذَا الرِّمِّ
.528 فَمَا قَضَيْنَا وَطَرًا مُذْ أَمْسَا ... وَقَدْ قَضَى فِي اللَّهْوِ سَاعًا خَمْسَا
.529 وَقَدْ أَضَعْنَا جَلْسَةً خَطِيرَهْ ... .
الْجَلَّالِي: .... وَقَدْ أَكَلْتَ بَعْدَهَا فَطِيرَهْ
.530 الْجَنَّانُ: وَقَدْ خَسِرْنَا حِصَّةً مُهِمَّهْ ... .
الْجَلَّالِي: .... بَلْ قَدْ رَبِحْتَ قَرْعَةً مِنْ شَمَّهْ
.531 أَمَّا أَنَا فَلَمْ أُحَصِّلْ فَائِدَهْ ... وَلَمْ تَعُدْ مِنْكُمْ عَلَيَّ عَائِدَهْ

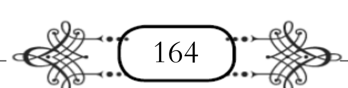






532. فَلَا لِذِي الصَّحْنِ عَلَيَّ أَجْرُ ... وَلَا لِذِي الشَّمَّةِ مِنِّي شُكْرُ
533. الجَنَّانُ: لَا تَقْطَعِ الْكَلَامَ عَنِّي حَتَّى ... أُحُتَّ هَذَا الْهَمَّ عَنِّي حَتًّا
534. وَأُفْثَأَ الْغَمَّ الَّذِي فِي صَدْرِي ... فَقَدْ غَلَى كَغَلَيَانِ الْقِدْرِ
535. مِنْكَ وَمِنْ رُؤَيْسِكَ الْخَزْنَانِ ... فَأَنْتُمَا قَوْسٌ بِلَا إِرْنَانِ [1]
536. أَضَعْتُمَا الْوَقْتَ النَّفِيسَ فِي حَقِيرْ ... مِنْ غَرَضٍ لَمْ نَسْتَفِدْ مِنْهُ نَقِيرْ
537. أَطَلْتُمَا الْقَوْلَ بِدُونِ طَائِلْ ... أَوْ لَا فَمَا هَذَا الْعُبَابُ السَّائِلْ؟
538. قُبِّحْتُمَا مِنْ مَاضِغَيْ كَلَامِ ... وَمُسْتَحِقِّي الْعَذْلِ وَالْمَلَامِ
539. أَسْرَفْتُمَا فِي اللَّغْوِ وَالْمِرَاءِ ... وَفِي الْكَلَامِ الْفَارِغِ الْهُرَاءِ
540. وَجِئْتُمَا بِمَا يَضِيقُ الصَّدْرُ ... بِهِ وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ الصَّبْرُ
541. وَحَالَةٌ تُبْدَا بِهَذَا النَّشْرِ ... مَوْصُولَةُ الْحَبْلِ بِيَوْمِ الْحَشْرِ
542. وَأَنْتَ غِرًّا أَبْلَهٌ مُغَفَّلُ ... بَابُ الذَّكَا دُونَكَ بَابٌ مُقْفَلُ
543. قَدْ جَرَّكَ الرَّئِيسُ فَانْجَرَرْتَا ... وَبِدَوَاعِي مَكْرِهِ اغْتَرَرْتَا
544. وَقَدْ بَدَا أَنَّ لَهُ شَيْطَانَا ... يَمُدُّ فِي الْكَيْدِ لَنَا الْأَشْطَانَا
545. يَلْهُو بِنَا فَإِنْ رَأَى إِغْضَاءَا ... مِنِّي وَمِنْكَ أَرَّثَ الْبَغْضَاءَا
546. وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَمُدَّ الشَّبَكَهْ ... لِي فِي اقْتِرَاحٍ صَاغَهُ وَسَبَكَهْ
547. لَكِنْ قَطَعْتُ الْحَبْلَ فِي يَدَيْهِ ... إِذْ كُنْتُ عَنْ عِلْمٍ بِمَا لَدَيْهِ

---

(1)*الخَزنان: كلمة عامية وهو الذى يكرر الكلام الفارغ، وأرنان القوس صفة مدح لها وهو تصويتها عند صدور السهم عنها، ويوصف السهم بالأرنان أيضًا.





548. وَعَدِّ عَنْ رَئِيسِنَا وَمَكْرِهِ ... وَمَا أَتَى فِي صَحْوِهِ وَسُكْرِهِ[1]

549. وَقُلْ هَدَاكَ اللهُ لِلصَّوَابِ ... أَمَا لِهَذَا الشَّرْطِ مِنْ جَوَابِ؟

550. وَهَلْ لِهَذَا الْمُبْتَدَا مِنْ خَبَرِ؟ ... وَإِنْ تَعُدْ فَإِنَّنِي مِنْكَ بَرِي

551. الجَلَّالِي: مِنِّي؟ ....

الجَنَّانُ: ... نَعَمْ مِنَ ابْنِ أُخْتِ خَالَتِكْ ... فَمَا رَأَيْتُ حَالَةً كَحَالَتِكْ

552. تَفْتَنُّ فِي الْهُزْءِ بِنَا وَتَعْبَثُ ... وَقَدْ تَطِيبُ تَارَةً فَتَخْبُثُ

553. وَتَارَةً تَلْبَسُ فَرْوَةَ فَقِيهْ ... وَتَارَة تَجْتَابُ بُرْدَةَ سَفِيهْ

554. وَتَارَةً تَبْتَزُّ جِلْدَ لُغَوِي ... فِي لَغْوِهِ إِنَّكَ فِينَا لَغَوِي

555. كَأَنَّمَا أَوْقَاتُنَا أَهْمَالُ ... فِي الْبِيدِ أَوْ لَيْسَتْ لَنَا أَعْمَالُ

556. نَلْهُ وَحَقُّ الْوَقْتِ جِدٌّ وَنِضَالْ ... وَاللَّهْوُ فِي أَمْثَالِنَا دَاءٌ عُضَالْ

557. أَمَّا الرَّئِيسُ فَهْوَ قَدْ دَعَانَا ... أَمْسِ فَلَبَّيْنَا الدُّعَا سُرْعَانَا

558. دَعَا دُعَاءً مُجْمَلًا فَأَشْعَرَا ... نُفُوسَنَا أَنَّ هُنَا خَطْبًا عَرَا

559. كَأَنَّ خَيْلًا طَرَقَتْ حِمَانَا ... وَأَنَّ جَيْشًا بِالْبَلَا رَمَانَا

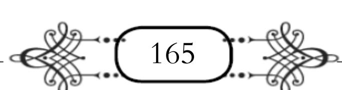
560. أَوْ أَنَّهُ بَيَّتَنَا عَدُوٌّ ... وَامْتَنَعَ الرَّوَاحُ وَالْغُدُوُّ

561. هَا أَنَّنَا جِئْنَا فَأَيْنَ الْخَطْبُ ... وَهَذِهِ الرَّحَى فَأَيْنَ الْقُطْبُ؟

562. وَقَدْ مَضَى يَوْمَانِ فِي بَحْثٍ عَقِيمْ ... وَجَدَلٍ فِي الرَّأْيِ غَيْرِ مُسْتَقِيمْ

563. لَمْ يَضْبِطِ الْجَلْسَةَ أَيَّ ضَبْطِ ... وَلَمْ يُحَقِّقْ شَرْطَهَا بِالرَّبْطِ

(1)*السُكر أنواع منها سُكر الجاه وسُكر المنزلة والمكانة وحاشا الرَّئيسُ من سُكر الخمر.





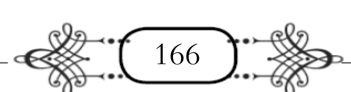
564. وَكُلَّمَا انْدَفَعْتَ فِي السُّخْفِ انْدَفَعْ وَمَا انْتَفَى مِنْ عَبَثٍ وَلَا انْتَفَعْ

يُوَجِّهُ الْخِطَابَ إِلَى الرَّئِيسِ

565. فَقُلْ لَنَا وَالْعَهْدُ عَهْدُ اللهِ أَمَاكِرٌ أَنْتَ بِنَا أَمْ لَاهِي؟
566. كَأَنَّمَا دَعوْتَنَا لِنَشْهَدَا لَكَ بِرُتْبَةِ الْعُلَى وَنَعْهَدَا
567. كَأَنَّ كُلَّ الْخَطْبِ فِي خُلُوِّكَا مِنْ لَقَبٍ يَزِيدُ فِي عُلُوِّكَا
568. أَنْتَ كَمَا قَدْ قِيلَ فِي الْأَلْفِيَّهْ ذَاتِ الْحُلَى وَالنُّكَتِ الْوَصْفِيَّهْ[1]
569. فِي رَجُلٍ ذِي دَخْلَةٍ سَقِيمَهْ لَيْسَ لَهُ بَيْنَ الرِّجَالِ قِيمَهْ
570. لَا يَزْدَهِيهِ مِنْ حُلَى التَّقْدِيرِ لَفْظٌ سِوَى الرَّئِيسِ وَالْمُدِيرِ
571. الرَّئِيسُ: الْخَطْبُ خَطْبٌ فَادِحُ وَالْعَيْبُ عَيْبٌ فَاضِحُ
572. وَعَارُنَا فِي النَّاسِ لَا تَحْمِلُهُ النَّوَاضِحُ[2]
573. وَالذَنْبُ فِي التَّطْوِيلِ لَيْسَ مِنِّي بَلْ ذَنْبُ هَذَا الشَّيْخِ شَيْخُ الْفَنِّ
574. فَكُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْ مُرَادِي دَفَعَنِي عَنْهُ بِالِاسْتِطْرَادِ
575. وَوَلَّدَ الْقَوْلَ بِلَا مُنَاسَبَهْ وَاعْتَرَضَ الرَّأْيَ بِلَا مُحَاسَبَهْ

(1)*الألفية: أرجوزة للمؤلف بديعة نظمها تفسيرًا لمشكلة موظف هو عبد لوظيفته وعبد للشيطان، هي من أبدع ما قال –لعنه الله– يصف فيها أولياءه، وقد وصف المشكلة وشرحها بلسانها مترجمة عن نفسها، وفيها فصول طوال في شخصين اثنين منهم، أحدهما المشكلة وهي وإن كانت في شخص فهي صادقة فيهم جميعًا.

(2)*النواضج ج ناضح وهو جمل السانية أو الركوب وقد يستعمل وصفًا عامًا له.





576. وَكُلَّمَا صَمَّمْت أَنْ أُعَارِضَهْ عَاجَلَنِي بِالنَّقْضِ وَالْمُعَارَضَهْ
577. كَأَنَّ بُعْدَ الْقَصْدِ مِنْ آرَابِهْ فَهْوَ يَرَى الْخَيْبَةَ فِي اقْتِرَابِهْ
578. وَإِنَّمَا أَطَلْتُ فِي الصَّوْتَيْنِ وَالْعُضْوِ لِلْإِصْلَاحِ فِي هَاتَيْنِ
579. لِأَنَّني أَحْسَسْتُ بِالْمُخَالَفَهْ فَالْعُضْوِ لِي فِي النَّفْعِ كَالْمُخَالَفَهْ
580. حَتَّى إِذَا أَجْمَعْتُمَا خِلَافِي رَجَعْتُ مِنْهُ لِلْمُعِينِ الْكَافِي
581. رِعَايَةً لِلْخَيْرِ وَاحْتِيَاطَا لِلنَّفْعِ لَا ظُلْمًا وَلَا اشْتِيَاطَا
582. وَمَنْ دَرَى خَلَّ امْرِئٍي مِنْ خَمْرِهِ دِرَايَتِي يَحْتَطْ لِكُلِّ أَمْرِهِ
583. وَإِنَّنِي أَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّكُمَا تَجْتَرِحَانِ ظُلْمِي
584. فَكُلَّمَا عَرَضْتُ مَا فِيهِ صَلَاحْ وَإِنْ يَكُنْ كَالصُّبْحِ فِي الْمَشْرِقِ لَاحْ
585. وَإِنَّنِي أَعْرِفُ مِنْ تَجْرِبِي رَأْيَكُمَا فِي الْقَصْدِ بِالتَّقْرِيبِ
586. فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ اسْتِظْهَارِي بِصَوْتٍ أَوْ بِرَجُلٍ قَهَّارِ
587. وَالْأَمْرُ إِنْ رُمَّ عَلَى اعْتِرَاضِ لَمْ يَفْتَرِقْ ذَوُوهُ عَنْ تَرَاضِ
588. وَاللهِ لَوْلَا شَرَفُ الْمَوْضُوعِ وَنَفْعِهِ لِلْفَرْدِ وَالْمَجْمُوعِ
589. وَأَنَّ عَارًا لَجَّ فِي انْدِلَاعِهْ فَوَجَبَ الْعَوْنُ عَلَى اقْتِلَاعِهْ
590. لَكُنْتُ فِيمَا اعْتَدْتُمَاهُ مِنِّي فِي حَافِظٍ كَالدِّرْعِ وَالْمِجَنِّ
591. شَقِيتُ فِيكُمْ وَاسْمِيَ السَّعِيدُ فَلَيْتَنِي أَوْ لَيْتَكم بَعِيدُ
592. وَلَيْتَ لِي بِكُمْ مِنْ الْعُرْبَانِ إِثْنَيْنِ أَسْوَدَيْنِ كَالْغِرْبَانِ
593. وَلَيْتَ حَظِّي كَانَ فِي أَنِيسِ فَرْدٍ وَلَوْ كَالطَّاهِرِ الْوَنِيسِ
594. الْجَنَّانُ: ظَلَمْتَ إِذْ ضَمَمْتَنِي لِهَذَا وَهْوَ الَّذِي جَرَّ الْبَلَا وَهَاذَى







595. وَجُرْتَ إِذْ حَشَرْتَنِي فِي زُمْرَتِهْ   وَخَمْرَتِي فِي الشُّرْبِ غَيْرُ خَمْرَتِهْ
596. فَهْوَ زَمِيلِي وَالدُّرُوسُ تَشْهَدُ   لَكِنَّنِي بِالزُّورِ لَسْتُ أَشْهَدُ
597. وَلَا أُدَارِيهِ وَلَا أَعْبُدُهْ   يَوْمًا وَلَوْ أَنَّ الْوَرَى أَعْبُدُهْ
598. وَإِنَّنِي إِذَا غَدَوْتُ فِي كَبَدْ   فَلَا أُبَالِي عَابِدًا وِإِنْ عَبَدْ
599. الجَلَّالِي: عَجِبْتُ مِنْكُمْ وَالْأَصَحُّ مِنْكُمَا   وَيْلِي عَلَيْكُمْ ثُمَّ وَيْلِي مِنْكُمَا
600. لَمْ أَدْرِ مِمَّا سُقْتُمَا إِلَيَّا   أَلِي يَكُونُ الْمَيْلُ أَمْ عَلَيَّا؟
601. فَتَارَةً أَسْمَعُ مَدْحًا صَادِعَا   وَتَارَةً أَسْمَعُ قَدْحًا رَادِعَا
602. وَتَارَةً تَتَّفِقَانِ لِغَرَضْ   وَتَارَةً تَخْتَلِفَانِ لِمَرَضْ
603. تَلَوِّيٌّ يَمْقُتُهُ الحُرُّ الْأَبِي   وَلَا يُغَرِّرُ سِوَى التَّيْسِ الْغَبِي
604. يَا قَوْمُ ذُو الْوَجْهَيْنِ لَوْ يُزْجِيهَا   شَمْسَ نَهَارٍ لَمْ يَكُنْ وَجِيهَا
605. يَا لَيْتَكُمْ حِينَ عَرَفْتُمُونِي   عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَا صَرَفْتُمُونِي
606. فَإِنَّنِي صِرْتُ عَدِيمَ الْفَائِدَهْ   فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ لَحْسِ الْمَائِدَهْ
607. أَصْبَحْتُ كَالْحِمَارِ لَا يُذَكَّى   فَيَدْفَعَ الْجُوعَ وَلَا يُزَكَّى (1)
608. وَانْعَكَسَتْ وَظَائِفُ الْأَعْضَاءِ   عِنْدِي فَإِسْخَاطِيَ مِنْ إِرْضَائِي
609. أَشُمُّ مِنْ عَيْنِي وَأَنْفِي يَسْمَعُ   أَسْعَى عَلَى بَطْنِي وَرِجْلِي تَدْمَعُ
610. لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَكُنْتُ أَفْتَدِي   بِالْمَالِ مِنْ هَذَا الرَّئِيسِ الْمُعْتَدِي

---

(1)*الحمار لا تجب فيه الزكاة ولا تعمل فيه الذكاة وفي كل من الزكاة والذكاة فائدة. فمن حُرِمَهُما فلا فائدة فيه ولكن فات الأستاذ أن الحمارَ وإن كان لا يذكى ففيه فائدة الركوب.







611. فَمَا عَرَفْتُ الْخَيْرَ مُذْ عَرَفْتُهْ ... وَلَوْ بَدَا لِي كَلِمًا حَرَفْتُهْ

612. وَلِي قَرُونَةٌ إِذَا مَا هَجَسَتْ ... هَوَاجِسُ الْإِلْهَام فِيهَا انْبَجَسَتْ(1)

613. فَيْضًا مِنَ الْحَدْسِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ ... وَذُو الشُّكُوكِ دَائِمًا مُعَذَّبُ(2)

614. وَحَدَّثَتْنِي الْيَوْمَ أَنَّ الْأَمْرَا ... رَمَادُ إِيهَامِ يُغَطِّي الْجَمْرَا

615. وَأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ فِيهِ سِرُّ ... سَيَنْجَلِي لِلْعَيْنِ وَهْوَ شَرُّ

616. وَأَنَّ هَذَا السَّيِّدَ الرَّئِيسَا ... لَا بُدَّ أَنْ يَرَى رَأْيًا نَفِيسَا

617. يَا عَالِمَ الْغَيْبِ اكْفِنَا الْعَوَاقِبَا ... وَوَاقِعًا تَحْتَ الدُّجَى وَوَاقِبَا(3)

618. الْجَنَّانُ: يَا أَيُّهَا الرَّئِيسُ فُضَّ الْجَلْسَهْ ... وَحُطَّ مِنْ فُلْكِ الْمَسِيرِ قَلْسَهْ

619. قَدْ نَالَ مِنَّا الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ ... وَقَدْ تَجَافَى الْغَرَضُ الْمَرْغُوبُ

620. الرَّئِيسُ: لَا أَرْفَعُ الْجَلْسَةَ أَوْ تَتَّفِقُوا ... عَلَى انْتِخَابِ مَنْ بِهِ أَرْتَفِقُ

621. الإِثْنَانِ مَعًا: نَعَمْ نَعَمْ نَعَمْ نَعَمْ نَعَمْ نَعَمْ ... وَلَا يُزَكَّى وَقَصٌ مِنَ النَّعَمْ(4)

622. نَعَمْ نَعَمْ نَعَمْ قَدِ اتَّفَقْنَا ... ثُمَّ بِدُونِ إِذْنِكَ افْتَرَقْنَا

إِنْتَهَتِ الْجَلْسَةُ الثَّانِيَةُ

صُورَةُ الِاسْتِدْعَاءِ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى السَّيِّدِ أَحْمَدَ بُوشْمَال

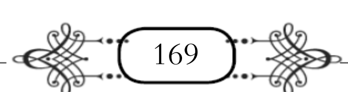
---

(1)*القَرونة: النفس.

(2)*الشطر الأخير مثل ضربه الأستاذ وليس راجعًا إليه هو لأنه على يقين.

(3)*البيت دعاء من الأستاذ لم يتقبله الله.

(4)*البيت كله هزء بالرَّئِيسُ والشطر الأخير لابن عاشر.

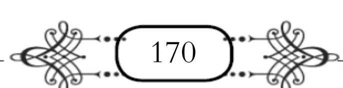







.623 إِلَى الأَخِ الْبَرِّ الصَّفِيِّ الْأَمْجَدِ ... الْعُمْدَةِ الْحُرِّ الْأَبِيِّ الْأَسْعَدِ
.624 أَبِي الشِّمَالَيْنِ إِذَا مَا كُنِّيَا ... وَطَاهِرٍ بِضِدِّ هَذَا عُنِيَا
.625 أَمَّا اسْمُهُ فَخَيْرُ الْأَسْمَاءِ اسْمُهُ ... وَكُلُّ نَفْعٍ لِلْعِبَادِ وَسْمُهُ
.626 حِرْفَتُهُ إِدَارَةُ الْجَرَائِدْ ... كَانَ وَمَا زَالَ لَهَا كَالرَّائِدْ
.627 إِنْ بَرَزَتْ كَانَ بِهَا مُخْتَالَا ... أَوْ عُطِّلَتْ كَانَ لَهَا مُحْتَالَا
.628 مَقَرُّهُ حَيْثُ يَكُونُ الْجُرْنَانْ ... مُقَرَّرًا وَلَوْ بِغَابِ الْفَرْنَانْ
.629 وَاطْلُبْهُ فِي إِدَارَةِ الشِّهَابِ ... تَجِدْهُ كَالْجَمْرَةِ ذَا الْتِهَابِ
.630 وَاطْلُبْهُ بَيْنَ أَدَوَاتِ الْمَطْبَعَهْ ... تَجِدْهُ ثَمَّ رَابِعًا لِأَرْبَعَهْ
.631 وَكُلَّمَا تَأَسَّسَتْ جَمْعِيَّهْ ... تَسْعَى إِلَى الْمَقَاصِدِ النَّفْعِيَّهْ
.632 فَاطْلُبْهُ فِي دِيوَانِهَا تَجِدْهُ ... مُهَيَّئًا مَنْ يَسْتَفِدْ يُفِدْهُ
.633 وَإِنْ تُرِدْ لِقَاءَهُ يَوْمَ الْأَحَدْ ... فَفِي مَكَانٍ لَيْسَ يَدْرِيهِ أَحَدْ
.634 لَكِنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ... أَيَّامِ فَقْدِ الزَّيْتِ وَالطَّعَامِ
.635 مُعْتَكِفٌ فِي سَيِّدِي الْمَبْرُوكِ ... مِثْلَ اعْتِكَافِ السَّاحِرِ الْمَرُّوكِ(1)
.636 يَبْحَثُ فِي الْخَرَائِبِ الْقَرِيبَهْ ... وَيَدْرُسُ الْعَقَاقِرَ الْغَرِيبَهْ
.637 وَيَقْتَنِي دَجَاجَةً وَعَنْزَا ... لِيُحْضِرِ الْجِنَّ وَيُبْدِي الْكَنْزَا
.638 بَعْدَ السَّلَامِ يَا أَخِي وَالرَّحْمَهْ ... وَاللَّحْمِ لَمَّا أَنْ غَلَا وَالشَّحْمَهْ

(1)*الْمَرُّوك: المغربي.





.639 وَالشَّمْعِ وَالْقَهْوَةِ وَالصَّابُونِ ... وَغَيْرِهَا مِنْ سِلْعَةِ الْجَابُونِ [1]

.640 مَطْلَبُ كُلِّ مُفْلِسٍ مَغْبُونِ ... قَدْ زَادَهُ هَمًّا ضَيَاعُ الْبُونِ [2]

.641 فَإِنَّنَا فِي حَالَةٍ لَا تُرْضَى ... بَيْنَ الْأَصِحَّاءِ وَبَيْنَ الْمَرْضَى

.642 وَلَا يَخُصُّنَا سِوَى اجْتِمَاعِ ... بِكَ وَلَوْ فِي أَنْجَسِ الْبِقَاعِ

.643 وَنَظْرَةٍ فِي وَجْهِكَ الْعَزِيزِ ... تَدْفَعُ هَمَّ الْبُونِ وَالْكَرِيزِ

.644 وَإِنْ ذَكَرْتَنِي وَلَوْ بِالْفِكْرِ ... ذَكَرَكَ اللهُ بِخَيْرِ الذِّكْرِ

.645 وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ صَدِيقِكَ الْقَدِيمْ ... فَإِنَّنِي لِلْبُؤْسِ وَالْهَمِّ نَدِيمْ

.646 وَزَادَنِي هَمًّا عَلَى هُمُومِي ... أَنْ يَدْخُلَ الْخُصُوصُ فِي الْعُمُومِ

.647 وَجُلُّ مَا أَلْقَى وَمَا أُكَابِدْ ... مِنْ صُحْبَةِ الْجَنَّانِ وَابْنِ الْعَابِدْ

.648 هُمَا صَدِيقَايَ بِرَغْمِ أَنْفِي ... وَلَمْ يَكُنْ صِنْفُهُمَا مِنْ صِنْفِي

.649 وَالرَّهْطُ مَهْمَا اشْتَرَكُوا فِي عَمَلِ ... أَوْ جَمَعَتْهُمْ وَحْدَةٌ فِي أَمَلِ

.650 فَمِنْ أُصُولِ الْأَدَبِ التَّعَاوُنُ ... بَيْنَهُمُ وَالسِّتْرُ وَالتَّصَاوُنُ

.651 لَكِنَّ صَاحِبَيَّ مِنْ لُؤْمِهِمَا ... لَمْ يَفْقَهَا هَذَا وَمِنْ شُؤْمِهِمَا

.652 وَقَدْ بَدَا شُؤْمُهُمَا عَلَيْهِمَا ... وَجَرَّنِي لِشِقْوَتِي إِلَيْهِمَا

.653 وَكَانَ قَدْ لَزِمَنَا مِنَ الْحُقُوقْ ... حَقٌّ فَأَشْرَفْنَا بِهِ عَلَى الْعُقُوقْ

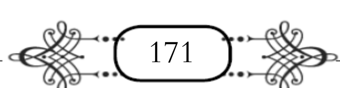
.654 حَتَّى أَضَعْنَا فَرْضَهُ وَنَفْلَهْ ... فِي غَمْرَةٍ مِنْ غَمَرَاتِ الْغَفْلَهْ

---

(1)*الجابون: بلد إفريقي.

(2)*الْبُون: كلمة فرنسية معناها قسيمة التموين.









.655 وَقَدْ تَلَطَّفْتُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ حَتَّى جَمَعْتُ الصَّاحِبَيْنِ حَوْلِي

.656 لِنَغْسِلَ العَارَ بِمَا يَرْحَضُهُ وَنَصِلَ الشَّرَّ بِمَا يَدْحَضُهُ

.657 وَلِي عَلَيْهِمَا مِنَ الْإِدَارَهْ مَا يُشْبِهُ السُّلْطَةَ وَالْإِمَارَهْ

.658 ثُمَّ هُمَا عِنْدَ ذَوِي الْأَفْهَامِ مِنْ أُمَّةٍ تُقَادُ بِالْأَوْهَامِ

.659 كَلِمَةُ الْخِزْيِ عَلَيْهَا حَقَّتْ تَخْضَعُ لِلْأَشْبَاحِ مَهْمَا دَقَّتْ

.660 وَالْفَرْدُ يَقْفُو فِي الْمَخَازِي الْجَمْهَرَهْ وَالسَّيْفُ إِنْ جَرَّبْتَ فَاخْبُرْ جَوْهَرَهْ

.661 لَكِنْ بَدَا لِي مِنْهُمَا تَصَلُّبُ يَعْسُرُ عَنْ ضَوْضَائِهِ التَّغَلُّبُ

.662 وَأَظْهَرَا فِي جَلْسَةِ افْتِتَاحِ فَوْضَى طَغَتْ كَالْعَارِضِ الْمِمْتَاحِ

.663 فَاحْتَلْتُ حَتَّى أَجْمَعَا رِئَاسَتِي بِحِيلَةٍ تُنْبِئُ عَنْ كِيَاسَتِي

.664 وَقَدْ عَقَدْنَا جَلْسَتَيْنِ مَرَّتَا كَالْقُرْحَتَيْنِ شَانَتَا وَعَرَّتَا

.665 فَكُنْتُ كَالْغَائِصِ وَسْطَ بَحْرِ مُرْتَطِمًا فِي غَمْرِهِ لِلنَّحْرِ

.666 يَنْتَابُنِي الشَّيْخَانِ بِالنَّوَائِبِ فِي كَلِمٍ كَالْأَسْهُمِ الصَّوَائِبِ

.667 وَبَعْدَ أَنْ رَأَيْتُ بِالْمُعَايَنَهْ مَا بَيْنَنَا فِي الْفِكْرِ مِنْ مُبَايَنَهْ

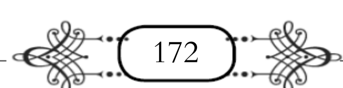
.668 أَلْحَحْتُ حَتَّى قَرَّرَا إِلْحَاقَكْ بِجَمْعِنَا وَسَلَّمَا اسْتِحْقَاقَكْ

.669 لِأَسْتَعِينَ بِكَ فِي الْمُرَادِ عَنْ مَارِدَيْنِ أَمْحَلَا مَرَادِي

.670 فَكُنْ ظَهِيرِي يَا ظَهِيرَ الضُّعَفَا فَكُلُّ مَنْ خَذَلْتَهُ رَبْعٌ عَفَا

.671 وَإِنَّنِي أَدْعُوكَ لِلْحُضُورِ عَنْ عَجَلٍ فِي مَكْتَبِي الْمَشْهُورِ

.672 لِجَلْسَةٍ نَعْقِدُهَا غَدَاةَ غَدْ وَإِنْ تَكُنْ أَحْسَسْتَ جُوعًا فَتَغَدْ





673. فَرُبَّمَا طَالَتْ إِلَى الزَّوَالِ ... وَأَنْتَ تَدْرِي أَنَّنِي زَوَالِي[1]
674. فَالْخُبْزُ بِالرُّؤُوسِ لَا بِالْأَرْجُلِ ... كَمَا تَرَى فِي "بُونِهِ" الْمُسَجَّلِ
675. أَوْ فَاصْحَبِ "الْبُونَ" فَخَيْرُ مَا صُحِبْ ... هُوَ إِذَا الْمَرْءُ مِنَ الدَّارِ سُحِبْ
676. وَالْبُونُ أَوْ وَرَقَةُ التَّمْوِينِ ... تَرْمِي حُقُوقَ الضَّيْفِ بِالتَّهْوِينِ
677. وَهُوَ عَلَى الْجُمُودِ وَالتَّصْرِيفِ ... أَلْزَمُ مِنْ وَرَقَةِ التَّعْرِيفِ
678. وَإِنَّنِي بِالرَّغْمِ مِنْ إِمْلَاقِي ... أُحْضِرُ مَا اسْتَيْسَرَ مِنْ ذَوَاقِ
679. هَذَا وَإِنَّ الْغَرَضَ الْمَنْوِيَّا ... مَا زَالَ سِرًّا عَنْكُمُ مَطْوِيَّا
680. فَلْتَحْتَفِظْ أَنْتَ بِمَا أَبْثَثْتُكْ ... فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَهُ حَثَثْتُكْ
681. لَا تُفْشِ لِلشَّيْخَيْنِ مِنْهُ لَفْظَا ... وَلَا تُذِعْ وَاللهُ خَيْرٌ حِفْظَا
682. وَدُمْتَ لِابْنِ حَافِظٍ مُعِينَا ... وَلِلْأَدِيبَيْنِ مَعًا مُهِينَا
683. وَدُمْتَ لِلْحَقِّ الصُّرَاحِ عَاضِدَا ... وَدُمْتَ لِلْكُفْرِ الْبَوَاحِ نَاقِدَا
684. إِلَى غَدٍ وَمَا غَدٌ بَعِيدُ ... وَإِنْ أَجَبْتَ فَأَنَا السَّعِيدُ

إِنْتَهَتْ بِطَاقَةُ الِاسْتِدْعَاءِ وَتَأْتِي بَعْدَهَا الْجَلْسَةُ الثَّالِثَةُ وَبِهَا الْخِتَامُ

(1)*زوالي: معناها فقير.



الجلسة الثالثة:

الْمَشْهَدُ: الثَّلَاثَةُ فِي مَكْتَبِ الرَّئِيسِ وَمَعَهُمْ بَوْشْمَال وَصِحْنُ فَطَائِرٍ وَإِبْرِيقُ أَتَايْ.

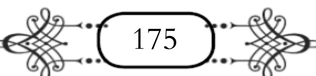
إِفْتِتَاحُ الْجَلْسَةِ

685. الرَّئِيسُ: أَبْدَأُ بِالأَكْلِ مُصَلِّيًّا عَلَى ... كَأْسٍ مِنَ التَّايِ اللَّذِيذِ قَدْ حَلَا
686. وَأَفْتَتِحُ الْجَلْسَةَ بِالْفَطَائِرِ ... مِنْ وَاقِعٍ فِي صَحْنِهِ وَطَائِرِ
687. جِئْتُ بِهَا تَشْوِي اللِّسَانَ وَاللَّهَا ... كَفَّارَةً عَمَّا مَضَى ضِدًّا لَهَا
688. فَأَشْبِعُوا بُطُونَكُمْ فَالْبِطْنَهْ ... كَمَا أَتَى عَنْهَا تُثِيرُ الْفِطْنَهْ
689. وَأَكْثِرُوا الأَكْلَ فَإِنَّ الْمَعِدَهْ ... لَيْسَتْ إِذَا مَا فَرَغَتْ بِالْمُسْعِدَهْ
690. وَالْعِلْمُ قَدْ أَثْبَتَ أَنَّ الْعَقْلَا ... فِي عَصْرِنا أَضْحَى يُضَاهِي الْبَقْلَا
691. فَتَارَةً يَثْبُتُ فِي الرُّؤُوسِ ... وَتَارَةً يَنْبُتُ فِي الضُّرُّوسِ
692. ثُمَّ يَمُدُّ عِرْقَهُ فِي الْبَطْنِ ... وَيَغْتَذِي وَلَا أَزِيدُ قَطْنِي
693. لِذَا تَرَوْنَ الْمَرْءَ يَعْرُوهُ الْغَضَبْ ... حَتَّى تَرَوْا مَاءَ الرِّضَى مِنْهُ نَضَبْ
694. حَتَّى إِذَا مَا أُطْعِمَ الطَّعَامَا ... حَامَ الرِّضَى بِوَجْهِهِ وَعَامَا
695. وَهَلْ رَأَيْتُمْ وَالْعُيُونُ ثَكْلَى ... أَنَّ الْغِضَابَ يَهْجُرُونَ الْأَكْلَا؟
696. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُدَاوُوا الْغَضْبَى ... فَأَطْعِمُوهُمْ عِنَبًا وَقَضْبَا
697. وَهَذِهِ فَوَائِدٌ عِلْمِيَّهْ ... أَشْهَى إِلَيْكُمْ مِنْ وِصَالِ مَيَّهْ
698. فَأَعْلِنُوا الْأَفْرَاحَ بِالْعُضْوِ الْجَدِيدْ ... ذِي الْمَنْطِقِ الْخَلَّابِ وَالرَّأْيِ السَّدِيدْ
699. الْجَنَّانُ: مَا لَكَ عَنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ تَغْفُلُ؟ ... .






.700 الجَلَّالِي: .... النَّاسُ تَرْقَى وَالرَّئِيسُ يَسْفُلُ
.701 الرَّئِيسُ: لَا تَجْهَلَا فَالْيَوْمُ يَوْمُ مَلْحَمَهْ وَيُذْكَرُ اسْمُ اللهِ عِنْدَ الْمَرْحَمَهْ
.702 وَسَائِلُوا أَئِمَةَ الْقِرَاءَهْ هَلْ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ فِي بَرَاءَهْ؟
.703 لِأَنَّهَا قَدْ نَزَلَتْ بِالسَّيْفِ لِكَسْرِهِ الشِّرْكَ وَمَحْقِ الْحَيْفِ
.704 وَيَوْمُنَا يَوْمُ نِزَالٍ وَصِرَاعْ يَوْمُ الْتِحَامٍ وَجِلَادٍ وَقِرَاعْ
.705 يَوْمُ حِرَابٍ لَيْسَ يَوْمَ حَفْلَهْ وَلَا يُنَادِي فِي النِّزَالِ طِفْلَهْ
.706 يَوْمٌ كَيَوْمِ رَحْرَحَانَ الْأَوَّلِ وَلَيْسَ عَنْ غِمَارِهِ مِنْ مَعْدِلِ
.707 يَوْمُ وَغَى غَاسِقُهُ قَدْ وَقَبَا كَيَوْمِ ذِي قَارٍ وَيَوْمِ الْعَقَبَا
.708 الجَنَّانُ: قَدْ قَفَّ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ شَعْرِي وَجَفَّ مِنْ ذِكْرِ الصِّرَاعِ بَعْرِي
.709 فَمَعَ مَنْ هَذَا الصِّرَاعُ يَا تُرَى؟ أَمْ ذَاكَ إِفْكٌ وَحَدِيثٌ مُفْتَرَى؟
.710 وَلِمَ ذَا كُنْتَ رَئِيسًا فِينَا إِنْ لَمْ تَكُنْ لِمِثْلِهَا تَكْفِينَا؟
.711 وَكَيْفَ لَمْ تَحْتَطْ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُحْرِقَنَا بِالْجَمْرِ؟
.712 وَكَيْفَ لَمْ تُعْقِدْ لَهُ مُعَاهَدَهْ بِالسِّلْمِ لَا فِي السِّرِّ بَلْ مُشَاهَدَهْ
.713 وَكَيْفَ لَمْ تَبْعَثْ لَهُمْ سَفِيرَا يَرُدُّ عَنَّا الْجَيْشَ وَالنَّفِيرَا
.714 وَكَيْفَ لَمْ تَرْضَ بِفَرْضِ الْجِزْيَهْ تَدْفَعُهَا عَنْ ذِلَّةٍ وَخِزْيَهْ
.715 وَكَيْفَ تَرْمِي فِئَةً قَلِيلَهْ لَيْسَ لَهَا غَوْثٌ وَلَا قَبِيلَهْ
.716 فِي هُوَّةٍ لَيْسَ لَهَا قَرَارُ وَلَيْسَ يُجْدِي عِنْدَهَا الْفِرَارُ
.717 يَا أَيُّهَا الرَّئِيسُ دَبِّرْ رَاسَكْ أَوْ فَادْعُ لِلْحَرْبِ الضَّرُوسِ نَاسَكْ
.718 أَمَّا أَنَا وَصَاحِبِي وَصَاحِبُكْ فَلَيْسَ فِينَا أَحَدٌ يُصَاحِبُكْ





719. وَهَا هُنَا يَخْذُلُكَ الصَّوْتَانِ * وَالْحَقُّ لَا يُدْفَعُ بِالْبُهْتَانِ

720. الْجَلَّالِي: أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي الْخُنْفُسَا * أَفْلِقُ الْهَامَ وَأُرْدِي الْأَنْفُسَا

721. إِنِّي إِذَا مَا حَمِيَ الْوَطِيسُ * لَا أَنْثَنِي أَوْ يَنْثَنِي الْفَطِيسُ

722. أَحْمِي الْحِمَى وَأَمْنَعُ الْعَشِيرَهْ * وَالْحُرُّ يَعْصِي فِي الْوَغَى مُشِيرَهْ

723. وَكَيْفَ قَدْ مَنَعْتَنَا الدَّبَابِسَا * وَالْحَجَرَ الصَّلْدَ الثَّقِيلَ الْيَابِسَا

724. وَأَنْتَ إِذْ جَرَّدْتَنَا مِنَ السِّلَاحْ * عَدُوُّنَا الْأَكْبَرُ مِنْ غَيْرِ تَلَاحْ

725. وَلَوْ سَمَحْتَ بِهِمَا لَكَانَتْ * نُفُوسُنَا اشْتَدَّتْ وَمَا اسْتَكَانَتْ

726. وَعِنْدَنَا مِنَ الْعِصِيِّ عَدَدُ * إِنْ لَمْ تُفِدْ فَفِي الْجِبَالِ مَدَدُ

727. وَعِنْدَنَا حِجَارَةٌ بِالْوَادِي * وَعِنْدَنَا الْأَنْصَارُ فِي الْبَوَادِي

728. وَعِنْدَنا الشَّيْخُ أَبُو الشِّمَالِ * لَيْثُ الْوَغَى كَمُصْطَفَى كَمَالِ

729. هَلْ تَذْكُرُونَ إِذْ عَلَا بِدَبْزَهْ * شَخْصًا فَخَلَّى وَجْهَهُ كَالْخُبْزَهْ

730. وَهَكَذَا الْأَبْطَالُ فَلْيَكُونُوا * لَيْسَ لَهُمْ إِلَى الْعِدَا رُكُونُ

731. مَنْ لَمْ يَمُتْ فِي الْعَزَمَاتِ هُونَا * وَعَاشَ فِي أَسْرِ الشَّقَا مَرْهُونَا

732. هَيَّا بِنَا هَيَّا بِنَا هَيَّا بِنَا * لِلْحَرْبِ لَا نَامَتْ عُيُونُ الْجُبَنَا

733. لَا تَذْكُرِ الْجَنَّانَ فَالْجَنَّانُ * كَلِمَةٌ تَصْحِيفُهَا جَبَانُ

734. أَمَا تَرَى اللَّفْظَيْنِ فِي رَسْمِ الْحُرُوفْ * تَشَابُهَا وَسَلْ بِذَا أَبَا الْحُرُوفْ

735. الرَّئِيسُ: مَلَأْتُمَا الدُّنْيَا عَلَيَّ هَوْلَا * مِنْ قَبْلِ أَنْ تُرَاجِعَانِي الْقَوْلَا

736. فَهَوِّنَا الْخَطْبَ يَهُنْ عَلَيْكُمَا * فَالْحَرْبُ غَادٍ مِنْكُمَا عَلَيْكُمَا

737. الْجَلَّالِي: مَا هَذِهِ الْأَلْغَازُ يَا جَنَّانُ؟ * ....





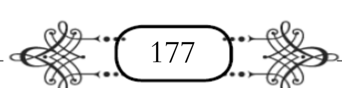


.738 الْجَنَّانُ: .... إِنَّ الرَّئِيسَ دَائِمًا خَرْنَانُ [1]
.739 كَرَاهِبِ الدَّيْرِ يُوَالِي الْغَمْغَمَهْ فَإِنْ أَرَادَ غَيْرَهَا فَالْجَمْجَمَهْ
.740 بُوشْمَال: مَا هَذِهِ الْفَوْضَى وَهَذِي الْحَرَكَهْ كَأَنَّنَا قَبْلَ اللِّقَا فِي مَعْرَكَهْ
.741 أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ سِرَّ الْجَمْعِ حَتَّى أُصِيخَ لِلْكَلَامِ سَمْعِي
.742 وَأَعْرِفَ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذَا الْكَلَامْ أَوْ لَا فَإِنِّي ذَاهِبٌ بِلَا سَلَامْ

يَنْهَضُ قَائِمًا

.743 الْجَمِيعُ: بِتُرْبَةِ الشَّيْخِ الرِّضَى قَمُّوشِ وَبِيعَةِ الْحِبْرِ الْجَلِيلِ مُوشِي
.744 وَرَحْمَةِ الْمُنَغَّمِ الْعَمُّوشِي وَقَائِلٍ لِلشَّيْخِ مَا لِمُوشِي؟
.745 إِلَّا جَلَسْتَ وَاسْتَرَحْتَ مَعْنَا حَتَّى يَبِينَ لِلْكَلَامِ مَعْنَى
.746 الْجَلَّالِي: وَلَوْ دَعَوْتُمْ حَاتِمًا أَوْ مَعْنَا وَهْوَ مِنَ الْجُودِ كَمَا سَمِعْنَا
.747 لَمْ يَحْبُكُمْ فِي الدَّهْرِ إِلَّا لَعْنَا فَفِي سَبِيلِ الدَّجْلِ مَا أَطَعْنَا
.748 وَفِي سَبِيلِ الرِّيحِ مَا أَذَعْنَا وَفِي سَبِيلِ اللَّهْوِ مَا أَضَعْنَا
.749 بُوشْمَال: مَنْ ضَيَّعَ الْوَقْتَ اسْتَحَقَّ الْمَقْتَا وَبَاءَ بِالْوِزْرِ وَسَاءَ سَمْتَا
.750 الْجَنَّانُ: قَدْ ذُقْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا قَدْ ذُقْتَا لَكِنْ وَسِعْتَ رَحْمَةً وَصَمْتَا
.751 وَمِنْ قَدِيمٍ بِالذَّكَاءِ فُقْتَا وَلَيْتَنِي أَفَقْتُ إِذْ أَفَقْتَا
.752 لَا تَحْتَمِلْ إِلَّا الَّذِي أَطَقْتَا فَإِنَّ لِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَقْتَا

(1)*خرنان: الذي يُكثر الكلام ويصرّ عليه.





753. لَوْ كُنْتَ مُذْ يَوْمَيْنِ قَدْ أَشْرَقْتَا   لَقُدْتَنَا إِلَى الْهُدَى وَسُقْتَا

754. الْجَلَّالِي: مَا ضَرَّ يَا أَحْمَدُ لَوْ أَعْتَقْتَا   إِخْوَانَ صِدْقٍ بِهِمُ الْتَحَقْتَا

755. مُقَدِّرِينَ كُلَّ مَا وَسَقْتَا   مِنْ حِكَمٍ غُرٍّ وَمَا نَسَقْتَا

756. وَلَوْ فَعَلْتَ كُنْتَ قَدْ أَنْطَقْتَا   أَلْسُنَهُمْ بِشُكْرِهَا أَغْدَقْتَا

757. وَمَا ثَوَابٌ مُنْفِسٌ أَنْفَقْتَا   فِي طِفْلَةٍ يَتِيمَةٍ أَصْدَقْتَا

758. أَوْ حُرَّةٍ أَسِيرَةٍ أَطْلَقْتَا   أَوْ وَالِدٍ عَنْ رُوحِهِ صَدَّقْتَا

759. أَوْ بَائِسٍ عَنْ حَالِهِ رَقَقْتَا   أَوْ دَمَ هَدْيٍ فِي مِنًى أَرْقَتَا

760. أَوْ قَوْلَ حَقٍّ فِي الْمَلَا نَفَّقْتَا   أَوْ بَاطِلٍ بَيْنَهُمُ مَحَقْتَا

761. أَجَلَّ مِنْ عِتْقٍ لَنَا حَقَّقْتَا   وَفَتْقِ مَا مِنْ أَمْرِنَا رَتَقْتَا

762. أَصَبْتَ فِي الْبَابِ الَّذِي طَرَقْتَا   وَجِئْتَ بِالْبُرْهَانِ إِذْ نَطَقْتَا

763. يَا زُمْرَةً إِنْ بَاعَدُوكَ اشْتَقْتَا   لَوْ كُنْتَ عَبْدًا لَهُمْ أَبَقْتَا

764. بُوشْمَال: لَكِنَّنِي لَمْ أَفْهَمِ الْمَقْصُودَا   كَأَنَّ فِيهِ طِلَسْمًا مَرْصُودَا

765. وَلِي مَآرِبٌ مَعَ الزَّوَاوِي   مَعْطُوفَةٌ بِالْفَاءَ لَا بِالْوَاوِي

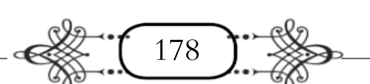
766. وَكُلُّ مَأْرَبٍ لَهُ ثَوَانِ   مَحْدُودَةٌ يُضِيعُهُ التَّوَانِي

767. فَيَا رَئِيسَ الْقَوْمِ هَاتِ الْمَسْأَلَهْ   حَتَّى يَرَى كُلُّ فَرِيقٍ مَوْئِلَهْ

768. الرَّئِيسُ: عُدْنَا وَقَدْ هَدَأَتِ الشَّقَاشِقْ   مِنْ نَابِلٍ بِقَوْلِهِ وَرَاشِقْ

769. وَصَاحِبٌ دَعْوَتُهُ لِي نَاصِرَا   عَلَى الْعِدَا أَضْحَى لَهُمْ مُنَاصِرَا

770. لَكِنَّنِي أَكْظِمُ غَيْظِي وَأَفِي   إِلَى الرِّضَى لِمَقْصِدٍ مُشَرِّفِ





771. وَهَلْ تَعُونَ مَا يَقُولُ النَّاصِحْ   وَالنُّصْحُ يَقْتَضِي الْكَلَامَ الْقَاسِحْ[1]

772. إِنَّ الصِّرَاعَ الْيَوْمَ يَا إِخْوَانِي   مَعَ طِبَاعِ الْعَجْزِ وَالتَّوَانِي

773. إِنَّ الصِّرَاعَ الْيَوْمَ مَعْ طَوَايَا   قَدْ أَقْفَرَتْ كَأَنَّهَا زَوَايَا

774. إِنَّ الصِّرَاعَ مَعَ عَدُوٍّ دَاخِلِي   أَدْخَلَنَا فِي أَضْيَقِ الْمَدَاخِلِ

775. نُصَارِعُ الْكُفْرَانَ وَالْجُحُودَا   وَاللُّؤْمَ وَالْخُمُولَ وَالْجُمُودَا

776. نُصَارِعُ الشُّحَّ الذَّمِيمَ الْمُرْدِي   فَقَدْ لَبِسْنَاهُ كَمِثْلِ الْبُرْدِ

777. نُصَارِعُ التَّفْرِيطَ وَالْإِضَاعَهْ   لِوَاجِبٍ يَسْتَوْجِبُ الْإِطَاعَهْ

778. نُعَالِجُ الْجَفَافَ فِي الْعَوَاطِفْ   لِتَأْلَفَ الْبَذْلَ بِذِي الْمَوَاقِفْ

779. نُقَاتِلُ التَّقْصِيرَ وَالْعُقُوقَا   فِي حَقِّ مَنْ وَفَّى لَنَا الْحُقُوقَا

780. نُقَاتِلُ الْجَفَاءَ فِي نُفُوسِنَا   وَمَانِعَ الْخَيْرِ عَلَى غُرُوسِنَا

781. نُفُوسُنَا يَا قَوْمُ لَا سِوَاهَا   هِيَ الَّتِي أَعْيَا الْأُسَاةَ دَاهَا

782. وَطَالَمَا النَّفْسُ دَعَتْنَا لِلْهَوَى   فَضَلَّ مَنْ لَهَا اسْتَجَابَ وَغَوَى

783. وَهِيَ الَّتِي نَرْجُو لَهَا الْحَيَاتَا   وَهَا هُنَا لِنَغْرِسِ النَّوَاتَا

784. وَتَرَكَتْنَا فِي الْوَرَى أُضْحُوكَهْ   بِفِعْلَةٍ مِنْ خُبْثِهَا مَحْبُوكَهْ

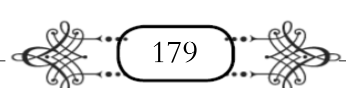
785. فَهَلْ أَتَاكُمْ وَالْحَدِيثُ يُذْكَرُ   أَنَّا فَعَلْنَا فِعْلَةً لَا تُشْكَرُ؟

786. جِئْنَا بِهَا شَوْهَاءَ لَا تُبَارَى   شَنْعَاءَ تُزْجِي الْعَارَ وَالْعُوَّارَا

787. إِنْ ضَاعَ فِي الْحَجِّ الدُّخُولُ مِنْ كَدَا   فَقَدْ أَضَعْنَا وَاجِبًا مُوَكَّدَا

---

(1)*القاسح: القاسي ... الشديد.



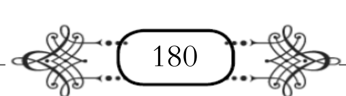

788. الجَلَّالِي: قَتَلْتَنَا يَا شَيْخُ بِالتَّطْوِيلِ ... وَبِالْإِشَادَةِ وَبِالتَّهْوِيلِ
789. فَاشْرَحْ لَنَا الْمَقْصُودَ مِنْ أَلْغَازِكْ ... وَاعْجَلْ فَقَدْ أَسْعَطْتَنَا بِغَازِكْ
790. وَخَلِّنَا نَكْوِ الحَشَا بِ"قَارُو" (1) ... وَنَسْتَمِعْ لِقَارِئِي "الْفِقَارُو" (2)
791. إِنَّ الدُّخَانَ رُقْيَةٌ مُهِمَّهْ ... لِلْهَمِّ وَالنَّفْثُ بِهَا تَتِمَّهْ
792. وَالْهَمُّ لِلشَّيْطَانِ لَيْسَ يُقْطَعُ ... إِلَّا بِنَارٍ وَدُخَانٍ يَسْطَعُ
793. وَالْعَاسِلُونَ يَطْرُدُونَ النَّحْلَا ... بِهِ فَيَجْنُونَ الرَّحِيقَ الْأَحْلَى
794. وَنَنْتَشِي بِقَهْوَةٍ مُرَوَّبَهْ ... كَأَنَّهَا زِنْجِيَّةٌ مُذَوَّبَهْ
795. تَخَالُهَا إِذَا طَفَا عَنْهَا الْحَبَبْ ... صَرْحًا مِنَ الْعَنْبَرِ تَعْلُوهُ الْقُبَبْ
796. أَمَّا الْأَخُ الْجَنَّانُ فَهُوَ كَالْقَرِمْ ... لِنَفَّةٍ تَشْفِي الدِّمَاغَ الْمُضْطَرِمْ
797. وَكُلَّمَا هَمَّ بِهَا كَالْمُبْلِسِ ... يَصُدُّهُ عَنْهَا وَقَارُ الْمَجْلِسِ
798. الرَّئِيسُ: أَتَذْكُرُونَ شَيْخَنَا الْمَنْفِيَّا؟ ... .

سَكْتَةٌ طَوِيلَةٌ وَوُجُومٌ

الجَنَّانُ: .... نَعَمْ وَقَدْ كَانَ بِنَا حَفِيَّا
799. وَكَانَ بَرًّا كَامِلًا صَفِيَّا ... وَكَانَ حُرًّا عَامِلًا وَفِيَّا
800. كَانَ إِذَا مَا زَارَنَا فِي مَرَّهْ ... أَحْلَى لَنَا هَذِي الحَيَاةَ الْمُرَّهْ

(1) *قارو: معناها سيجارة، والقاف تنطق كالجيم المصرية.

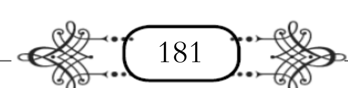
(2) *الفِقارو: هي الجريدة الفرنسية المعروفة Le Figaro.



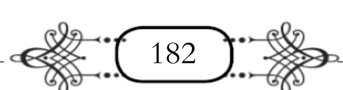


801. وَنَالَنَا مِنْ عَطْفِهِ وَحَدَبِهْ ... مَا نَالَنَا مِنْ عِلْمِهِ وَأَدَبِهْ
802. كُنَّا نَلُوذُ مِنْ حِمَاهُ بِكَنَفْ ... فَيُبْدِلُ النَّحسَ بِسَعْدٍ مُؤْتَنَفْ
803. وَكَانَ ...
804. وَكَانَ ...
805. وَكَانَ ...
806. وَكَانَ ...
807. عَهْدِي بِهِ يَخُصُّ هَذِهِ الْفِئَهْ ... بِالأَلْفِ مِنْ حِبَائِهِ لَا بِالْمِائَهْ
808. الْجَلَّالِي: هَيَّجْتَ يَا رَئِيسَنَا الْأَشْجَانَا ... وَقَدْ نَثَرْتَ الدُّرَّ وَالْمَرْجَانَا
809. لَا زِلْتَ تَبْغِي خَيْرَنَا مَجَّانَا ... وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا
810. بُوشْمَال: ذَكَرَهُ اللهُ بِخَيْرِ الذِّكْرِ ... فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَفَضْلِ الشُّكْرِ
811. وَرَدَّهُ ...
812. وَرَدَّهُ ...
813. وَرَدَّهُ ...
814. الْجَنَّانُ: لَا تَخْشَ مِنْ نَفْيٍ وَمِنْ تَغْرِيبِ ... فَلَسْتَ بِالْجَانِي وَلَا الْمُرِيبِ
815. ذُقْنَاكَ لِلتَّمْحِيصِ وَالتَّجْرِيبِ ... فَكُنْتَ عَيْنَ الْحَاذِقِ الْأَرِيبِ
816. وَكُنْتَ فِي التَّشْرِيقِ وَالتَّغْرِيبِ ... أَشْطَرَ مِنْ جَمَاعَةِ التَّهْرِيبِ
817. الْجَلَّالِي: رَمَيْتَنِي بِدَائِكَ الْغَرِيبِ ... فَجِئْتَ بِالتَّوبِيخِ وَالتَّثْرِيبِ
818. وَلَسْتُ عِنْدَ مَا ظَنَنْتَهُ بِيَهْ ... وَلَسْتَ مِثْلِي فِي سَدَادِ التَّرْبِيَهْ
819. الرَّئِيسُ: فَهَلْ ذَكَرْنَا فَضْلَهُ عَلَيْنَا ... وَهَلْ شَكَرْنَا بِرَّهُ إِلَيْنَا؟




820. وَهَلْ وَصَلْنَا رَحِمَ الْأُبُوَّهْ وَهَلْ سَلَكْنَا مَسْلَكَ الْفُتُوَّهْ؟
821. وَهَلْ نَهَجْنَا مَنْهَجَ الْوَفَاءِ؟ فَإِنَّهُ مِنْ وَاجِبِ الْأَبْنَاءِ
822. وَهَلْ عَرَتْنَا الدَّهْرَ أَرْيَحِيَّهْ؟ تُبْلِغُهُ عَنَّا وَلَوْ تَحِيَّهْ
823. وَهَلْ كَتَبْنَا مَرَّةً إِلَيْهِ؟ رِسَالَةً تَنْفِي الْأَسَى عَلَيْهِ
824. كَلَّا وَلَمْ نَسْتَعْمِلِ الْأَقْدَامَا فِي شَأْنِهِ يَوْمًا وَلَا الْأَقْلَامَا
825. فَلَا بِمَكْتُوبٍ أَزَلْنَا كُرْبَتَهْ وَلَا بِوُصْلَةٍ مَسَحْنَا غُرْبَتَهْ
826. وَلَا كَشَأْنِ الصَّاحِبِ الْأَبَرِّ جِئْنَا بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبِرِّ
827. بُوشْمَال: أَهْمِسُ فِي أُذْنِ الرَّئِيسِ هَمْسَهْ ....
الرَّئِيسُ: .... نَقْسِمُهَا لِكُلِّ فَرْدٍ خَمْسَهْ
828. الْجَنَّانُ: حَافِظْ عَلَى التَّفْخِيمِ فِي حَرْفِ الرَّا[1] وَحَاذِرِ الثِّيرَانَ أَنْ تَفِرَّا
829. الْجَلَّالِي: الشَّيْخُ قَدْ تَرَادَفَتْ زَلَّاتُهُ ....
الرَّئِيسُ: .... وَهَكَذَا قَدْ حَنْظَلَتْ نَخْلَاتُهُ
830. بُوشْمَال: لَا تُحْضِرُوهُ فِي مَقَامِ الْجِدِّ فَلَسْتُ مِنْكُمْ فِي مَقَامِ الْجَدِّ
831. وَالْجَدُّ جَدُّ أُسْرَةٍ مَشْهُورَهْ كَانَتْ لَهَا مَآثِرٌ مَأْثُورَهْ
832. وَالْجُدُّ مَالٌ لَيْسَ لِي مِنْهُ نَقِيرْ وَالْجَدُّ حَظٌّ وَأَنَا مِنْهُ فَقِيرْ
833. وَجُدَّةٌ بِالضَّمِّ فَرْضَةُ الْحِجَازْ وَإِنْ حَجَجْتَ فَلْيَكُنْ مِنْهَا الْمَجَازْ
834. الرَّئِيسُ: وَهَكَذَا يَصْرِفُنَا الْأُسْتَاذُ عَنْ مَقْصُودِنَا وَهْوَ الْعَلَامَةُ الْمِفَنْ

(1)لأن "الفرد" بترقيق الراء في العامية هو الثَّوْر.





835. الْجَلَّالِي: أَوْسَعْتَنَا يَا شَيْخُ سُخْفًا وَعَبَثْ لَأَنْفِيَنَّكَ كَمَا يُنْفَى الْخَبَثْ
836. الْجَنَّانُ: النَّفْيُ خَيْرٌ أُحْمَلَنْ عَلَيْهِ مِنْ غَرَضٍ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
837. وَلَيْسَ فِيهِ لَكُمُ مِنْ مَنْفَعَهْ وَقَدْ يُعِيدُهَا عَلَيْكُمْ جَذَعَهْ

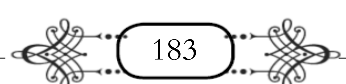
الْمَشْهَدُ الْأَخِيرُ: الْجَمَاعَةُ كُلُّهُمْ جَالِسُونَ وَابْنُ الْعَابِدِ وَاقِفٌ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ

838. كَلَامُكُمْ يَا حَضْرَةَ الْمُدِيرِ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنَ التَّقْدِيرِ
839. لَوْ كَانَ لِلْكَلَامِ لَوْنٌ يُبْصَرُ لَكَانَ فِي لَوْنِ السَّوَادِ يُحْصَرُ
840. أَوْ كَانَ لِلْأَقْوَالِ رِيحٌ يُنْتَشَى لَكَانَ فِي رِيحِ الْحَشَا بَعْدَ الْعَشَا
841. كَأَنَّمَا خَاضَتْ بِهِ الرِّيَاحُ أَحْشَاءَ قَوْمٍ مِلْؤُهَا رِيَاحُ
842. قَدْ أَكَلُوا دَشِيشَةً بِالْحَرْمَلِ وَشَرِبُوا مُخَلَّلًا بِالْخَرْدَلِ
843. فِي دَارِ شَيْخٍ مِنْ شُيُوخِ الطُّرُقِ يُخَادِعُ اللهَ بِبَيْعِ الْمَرَقِ
844. لَمَسْتَنِي فِي نُقْطَةِ الْإِحْسَاسِ وَسُمْتَنِي فِي صَخْرَةِ الْأَسَاسِ
845. وَرُمْتَ أَنْ أَدْفَعَ حَقَّ التَّنْبَرِ(1) فِي غَرَضٍ مِنْ عَرْضِهِ أَنَا بَرِي
846. قَدْ رُمْتَ يَا هَذَا مَرَامًا صَعْبَا مُلِئْتُ مِنْهُ دَهْشَةً وَرُعْبَا
847. إِذْ رُمْتَنِي أَنْ أَدْفَعَ الصَّوَارِدَا(2) وَتَجْتَنِي الشُّكْرَ الْجَزِيلَ بَارِدَا
848. وَلَيْسَ لِي مِنْهَا سِوَى فَرَنْكِ أَعْدَدْتُهُ لِحَادِثٍ ذِي ضَنْكِ
849. فَاسْمَعْ أَحَادِيثَ الْفَرَنْكِ مِنِّي وَارْوِ غَرَائِبَ الْغَرَامِ عَنِّي

---

(1)*التَّنْبَر: كلمة فرنسية معناها طابع البريد.

(2)*الصَّوارِدا: الدَّرا هِم.



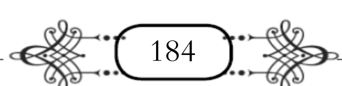


850. لَمْ تُلْفَ فِي مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ وَلَا حَوَتْهَا زِينَةُ الْأَسْوَاقِ
851. لَكِنَّهُ فِي الصَّوْتِ غَيْرُ رَنَّانْ وَإِنْ نَقَدْتَهُ بِرَأْسِ الزَّنَّانْ
852. قَدْ طَبَعَتْهُ غُرْفَةُ التِّجَارَهْ وَجَعَلَتْ ضَمَانَهُ الْحِجَارَهْ
853. وَنَقَشَتْ شِعَارَهُ فِي وَجْهِهِ فَجَاءَ نُورًا يَزْدَهِي فِي أَوْجِهِ
854. وَكَتَبَتْ فِي وَسْطِهِ رَقْمًا فَدَلْ عَنْ أَنَّهُ الْوَاحِدُ مَا مِنْهُ بَدَلْ
855. وَسَجَّلَتْ مَوْلِدَهُ وَعَصْرَهُ وَقَدْرَهُ وَجِنْسَهُ وَمِصْرَهُ
856. يَا حُسْنَهُ مُدَوَّرًا مُنَوَّرَا لَا مُدْمَجَ الْخَلْقِ وَلَا مُكَوَّرَا
857. مَا مِثْلُهُ مَرْكٌ(1) وَلَا دِينَارُ وَلَا أَخُو الْخَيْلِ وَلَا الدُّولَارُ
858. لَمْ يَحْوِهِ فِي تُرْبَةٍ رِكَازُ وَلَا احْتَفَى بِنَبْشِهِ عُكَّازُ
859. أَعَزُّ عِنْدِي مِنْ وَحِيدِ أُمِّهِ كُلُّ الْمُنَى فِي ضَمِّهِ وَشَمِّهِ
860. إِذْ سَاقَهُ الْحَظُّ إِلَيَّ وَحْدِي بَعْدَ اشْتِيَاقٍ وَشَدِيدِ وَجْدِي
861. وَفَّرْتُهُ مِنْ مَطْعَمِي وَمَلْبَسِي وَغَدْوَتِي وَرَوْحَتِي وَمَحْبَسِي
862. وَفُزْتُ فِي هَذا الزَّمَانِ الْخَانِقِ بِجَمْعِهِ الدَّانِقَ بَعْدَ الدَّانِقِ
863. لَفَفْتُهُ كَالْحِرْزِ فِي كَتَّانَهْ فِي غَايَةِ الْجَوْدَةِ وَالْمَتَانَهْ
864. وَخِطْتُهُ عَنْهَا بِخَيْطِ قُطْنِ لِصَوْنِهِ مِنْ غُفُلٍ وَفِطْنِ
865. وَزِدْتُ عَنْهَا قِطْعَةً مِنْ صُوفِ أَخَذْتُهَا عَنْ تَاجِرٍ مِنْ سُوفِ(2)

---

(1)*مَرْك: العملة الألمانية (المارك).

(2)*سُوف: مدينة جزائرية.





866. عَرَفْتُهُ بِالصِّدْقِ وَالْكَمَالِ ... فِي فُنْدُقٍ مِنْ رَحْبَةِ الْجِمَالِ (1)

867. وَرِدْتُ عَنْهَا قِطْعَةً مِنْ أَدَمِ ... كَأَنَّهَا مَقْدُودَةٌ مِنْ قَدَمِي

868. ثُمَّ لَفَفْتُ الْكُلَّ فِي قَصْدِيرِ ... مُلَيَّنٍ كَجِلْدَةِ الْبَنْدِيرِ

869. لَمْ تَسْتَطِعْ مَطَالِبِي إِخْرَاجَهُ ... مِنْ حِرْزِهِ يَوْمًا وَلَا إِحْرَاجَهُ

870. هَذَا وَكَمْ بِتُّ حَلِيفَ الْجُوعِ ... وَطَارَ مِنْ تَأْثِيرِهِ هُجُوعِي

871. وَرَاوَدَتْهُ الْقَهْوَةُ اسْتِسْلَامَا ... عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ اسْتِعْصَامَا

872. هَذَا وَكَمْ أَجْنَبْتُ بِاحْتِلَامِ ... وَلَزِمَتْنِي أُجْرَةُ الْحَمَّامِ

873. فَلَمْ تُطِعْ نَفْسِي بِهِ وَلَا سَخَتْ ... وَلَا لِعَهْدِ الِاحْتِفَاظِ نَسَخَتْ

874. وَحَتَّمَتْ عَلَيَّ أَنْ أُكَرْدِي (2) ... وَأَنْ أُقَاسِيَ أَلِيمَ الْبَرْدِ

875. فَإِنْ تَجَرَّدْتُ مِنَ الثِّيَابِ ... أَوْ كُنْتُ فِي زِيَارَةِ الْأَحْبَابِ

876. خِفْتُ عَلَيْهِ مِنْ يَدٍ تَمْتَدُّ ... بِالسُّوءِ حَيْثُ لَا يَدُ تَصُدُّ

877. أَفْدِيهِ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ الَّتِي ... مَا فَتَرَتْ فِي حُبِّهِ أَوْ مَلَّتِ

878. وَالْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْعَشِيرِ ... وَنَاصِحٍ بِعَذْلِهِ مُشِيرِ

879. وَمَا حَوَتْ زَاوِيَةُ الْمُخْتَارِ ... مِنْ حُرْمَةٍ مَهْتُوكَةِ الْأَسْتَارِ

880. وَمَا احْتَوَتْ زَاوِيَةُ الْحَمْلَاوِي ... عَلَيْهِ مِنْ ... وَمِنْ ......

881. وَالرَّكْبِ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ خَالِدْ ... مِنْ طَارِفٍ فِي حُبِّهِ وَتَالِدْ

---

(1)*رَحْبَة الجِمَال: سوق شعبي بمدينة قسنطينة.

(2)*أُكردي: كلمة أجنبية معناها أقترضُ.








882. قَدْ أَقْبَلُوا فِي السَّبْعِ وَالْعِشْرِينَا شَكَكْتُ مِنْ رَمْضَانَ أَوْ تَشْرِينَا
883. وَمَا حَوَتْ صَنَادِقُ النُّذُورِ مِنْ دِرْهَمٍ مُحَرَّمٍ مَحْذُورِ
884. وَسَادِنٍ يَأْتِيكَ بِالْخَوَارِقْ حَتَّى دَعَاهُ الْمُصْلِحُونَ سَارِقْ
885. وَشَادِنٍ هُنَاكَ فِي الصَّحْرَاءِ قَدْ نَبَذَ الْحِشْمَةَ بِالْعَرَاءِ
886. أَبَعْدَ ذَا تَطْمَعُ فِي الْمُحَالِ وَتَغْتَدِي لِلنُّصْحِ ذَا انْتِحَالِ؟
887. أُعِيذُهُ بِكَوْكَبٍ يَجْلُو الْغَسَقْ وَقَمَرٍ فِي نَهَرٍ قَدِ اتَّسَقْ
888. وَاللَّيْلِ فِي إِظْلَامِهِ وَمَا وَسَقْ وَالنَّخْلِ فِي أَكْمَامِهِ إِذَا اتَّسَقْ
889. مِنْ شَرِّ كُلِّ سَارِقٍ إِذَا سَرَقْ وَطَارِقٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ طَرَقْ
890. وَظَالِمٍ يَبْذُلُهُ فِي التَّنْبَرِ (1) وَإِنْ تَكُنْ أَصْبَاغُهُ مِنْ عَنْبَرِ
891. [وَهَلْ أَتَاكُمْ وَالْكِذَابُ يُرْدِي أَنِّي سَلَلْتُ بُرْدَهُ مِنْ بُرْدِي(2)
892. لِأَنَّهُ قَدْ سَبَّنِي سَبًّا شَنِيعْ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كُنْتُ كَالْحِصْنِ الْمَنِيعْ
893. وَنَالَ مِنِّي سَجْعُهُ الْقَبِيحُ مَا لَمْ يُبِحْهُ فِي الْوَرَى مُبِيحُ
894. وَعَدَّنِي مِنْ عُصْبَةِ الْيَهُودِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ شُهُودِي
895. قَدْ قَرَأُوا كِتَابَهُ إِلَيَّا وَأَثْبَتُوا تَشْنِيعَهُ عَلَيَّا]

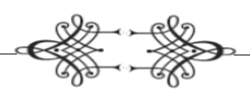
(1)"التنبر" كلمة فرنسية "Timbre" أي: طابع البريد.

(2)هذه الأبيات ذكرها الإبراهيمي في تقديمه للرواية، أثبتناها في هذا الموضع.







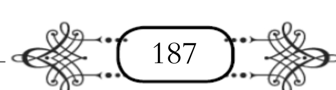

تم جمعه بحمد الله مساء الثلاثاء 29 ربيع الأول 1441هـ

الموافق لـ: 26 نوفمبر 2019 بالجزائر

نسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجعله خالصة لوجهه الكريم

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم

والحمد لله رب العالمين







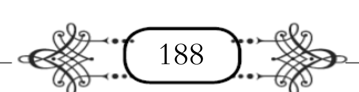


قائمة المصادر المراجع

فهرست الموضوعات











قائمة المصادر المراجع

📖 القرآن الكريم.

1- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، أحمد بن علي المقريزي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1.

2- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1،1997.

3- أخبار الزمان=أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، أبو الحسن على بن الحسين المسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ.

4- الإرواء= إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1405هـ.

5- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1415هـ.

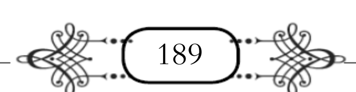
6- أمالي القالي، أبو علي القالي، دار الكتب المصرية، ط2، 1344هـ.

7- البخلاء، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال، بيروت، ط2، 1419هـ.

8- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر،1407هـ.

9- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال، بيروت، ط2، 1423هـ.

10- تاج العروس=تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزَّبيدي أبو الفيض محمد بن محمد، دار الهداية.





11- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003.

12- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .

13- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1407هـ.

14- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.

15- تفسير ابن كثير=تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1419هـ.

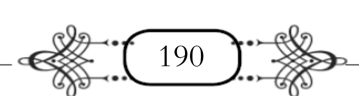
16- التقفية في اللغة، أبو بشر اليمان البندنيجي، تحقيق: خليل إبراهيم، مطبعة العاني، بغداد، 1976.

17- تكملة المعاجم العربية، المستشرق رينهارت بيتر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.

18- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001.

19- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.

20- الجواب الصحيح= لجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ابن تيمية، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ.





21- حياة الحيوان الكبرى، أبو البقاء محمد بن موسن دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.

22- خزانة الأدب=خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ.

23- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، علي بن لالي القسطنطيني، تحقيق: حاتم صالح، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.

24- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، عبد الرحمن بن زيدان، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937.

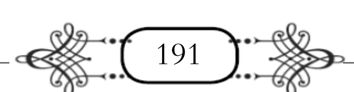
25- رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ.

26- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

27- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1424هـ.

28- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.

29- الصحاح=تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.





30- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

31- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

32- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: سليمان إبراهيم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1405هـ.

33- الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، ط2.

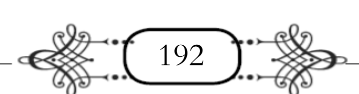
34- القاموس المحيط، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط8، 1426هـ.

35- الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ.

36- لسان العرب، أبو الفضل محمد ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

37- لوامع الأنوار البهية=لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط2، 1402هـ.

38- المثل السائر=المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1420هـ.





39- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين، دار المعرفة، يروت.

40- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، 1416هـ.

41- المحكم=لمحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.

42- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1420هـ.

43- مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط5، 2001.

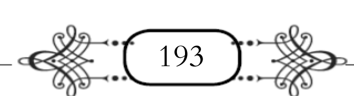
44- مشارق الأنوار=مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى، المكتبة العتيقة ودار التراث.

45- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995.

46- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

47- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ.

48- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1428هـ.

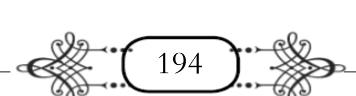







49- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ.

50- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ.

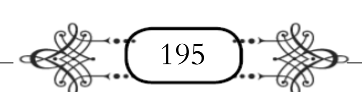




فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
ترجمة ذاتية للإمام الإبراهيمي	02
المرحلة الأولى	02
المرحلة الثانية	05
المرحلة الثالثة	06
المرحلة الرابعة	09
المرحلة الخامسة	10
ضرورة الانتقال إلى التعليم الثانوي	23
مالية جمعية العلماء	25
أثر أعمالي وأعمال إخواني في الشعب	25
مؤلفاتي	27
خلاصة الخلاصة	29
المرحلة الأخيرة	32







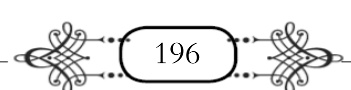


قضايا الهوية

الإسلام [الرجز]	35
[الدين] [الرجز]	38
المنابر [الْبَسِيط]	40
[خوف الكفار من عودة المسلمين لدينهم] [الرجز]	41
[خيانة الدين] [الرجز]	42
لغة العرب [الْبَسِيط]	43
الاشتراكية	43
[الغوثية والقطبية] [الطَّوِيل]	45
اِفْتِرَاءُ مُسْتَشْرِقٍ [الرَّجَز]	45

قضايا العلم والتعليم والعلماء

يا طالب [السَّرِيع]	54
إنْ أَرَدتَّ [أن تكون كاتبا أو شاعرا] [مجزوء الرمل]	51
كليّة الأعظمي [العبرة بالحقائق لا بالأسماء] [الرجز]	57
إلى علماء نجد [الرَّجَز]	59
تعليم البنت [الرَّجَز]	66





هموم وأحزان

تَسَاؤُلُ نَفْسٍ [الرَّمَل] 74

شكوى العاصمي [الْمُتَقَارِب] 77

ذكرى 8 ماي [مَشْطُور الْبَسِيطِ] 84

قضايا العالم الإسلامي والعربي

سكتُّ...وقلت (هدية إلى حُماة العروبة بالمغرب الأقصى) [الطَّوِيل] 87

السلطان محمد بن يوسف [الرجز] 90

هل لمن أضاع فلسطين عيد؟ [البسيط] 92

[يا ابن اليمن] [مجزوء الرجز] 93

غار على أحسابه [الرجز] 94

مداعبات رسائل إخوانية

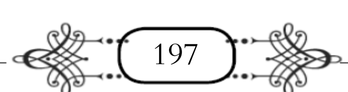
خير الدين الزِّرِكْلي [الكامل] 97

محمد علي جناح محرر باكستان [الوافر] 97

إلى ولدنا الأستاذ عبد الحميد الهاشمي [الخفيف] 97

إلى ولدي الأديب عمر بهاء الدين الأميري [الطويل] 99

إلى الدكتور فاضل الجمالي [الرجز] 100





إلى الأستاذ صالح الأشتر [مشطور البسيط] 105

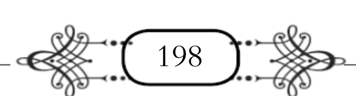
عبد العزيز العلي المطوع [المجتث] 107

جمعية [مجزوء الرجز] 108

الطائرة [الرجز] 109

رواية الثلاثة 113

الفهارس 188



قال الإمام الإبراهيمي عن ثمرة نشاط جمعية العلماء المسلمين:

«وأول يد بيضاء لها تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وإن تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان، وأصل له، **ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا**»

[آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج:03، ص:56]

مركز الأثر للبحث والتحقيق

